الجمـهورية الجزائـــريـــة الديمــقراطيـة الشعـــبية
وزارة التـــعليـم العـالي والبحـــث العلمي
جامـعـــة وهـران
كلية الآداب واللغات والفنون
قســـم اللـغة **العـربـــية وآدابها**

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات التداولية
موسومة بـ:

"حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث"

إعداد الطالبـة:
بوخشـة خديجة.

إشراف الأستاذ الدكتور:
أ-د بن عيسى عبد الحليم.

أعضاء لجـنة المناقــشة:

أ.د. بويجرة محمد بشيـر	**جامعة وهـران**	**رئيســا.**
أ.د. بن عيسى عبد الحليم	**جامعـة وهران**	**مشرفاومقررا.**
أ.د. اسطمبـول نـاصر	**جامعـة وهران**	**عضـــوا.**
أ.د. زروقي عبد القـادر	**جامـعة تيـارت**	**عضـوا.**
أ.د. منصوري مصطـفى	**جامعة سيدي بلعباس**	**عضـــوا.**
أ.د. بلقندوز هـواري	**جامعة سعيـدة**	**عضـــوا.**

السنة الجامعية: (1435ـ -1436هـ/2013-2014م).

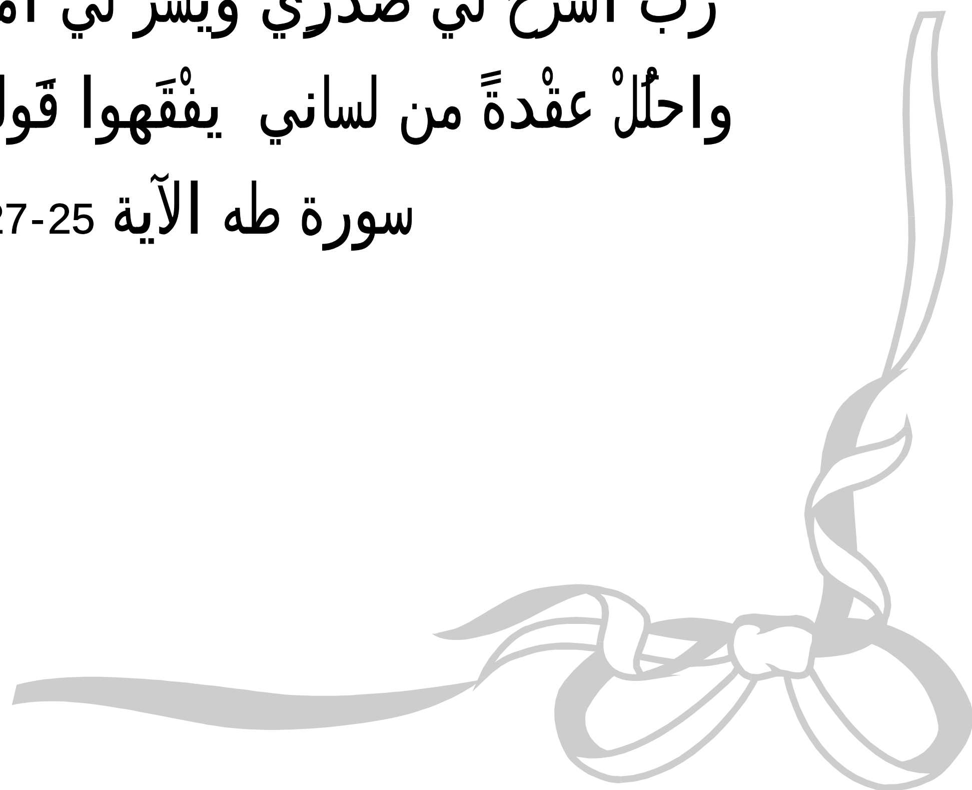


بسم الله الرحمن الرحيم

رب اشرح لي صدرِي ويسر لي أمري

واحلُلْ عقْدةً من لساني يفْقَهوا قَولي

سورة طه الآية 25-27





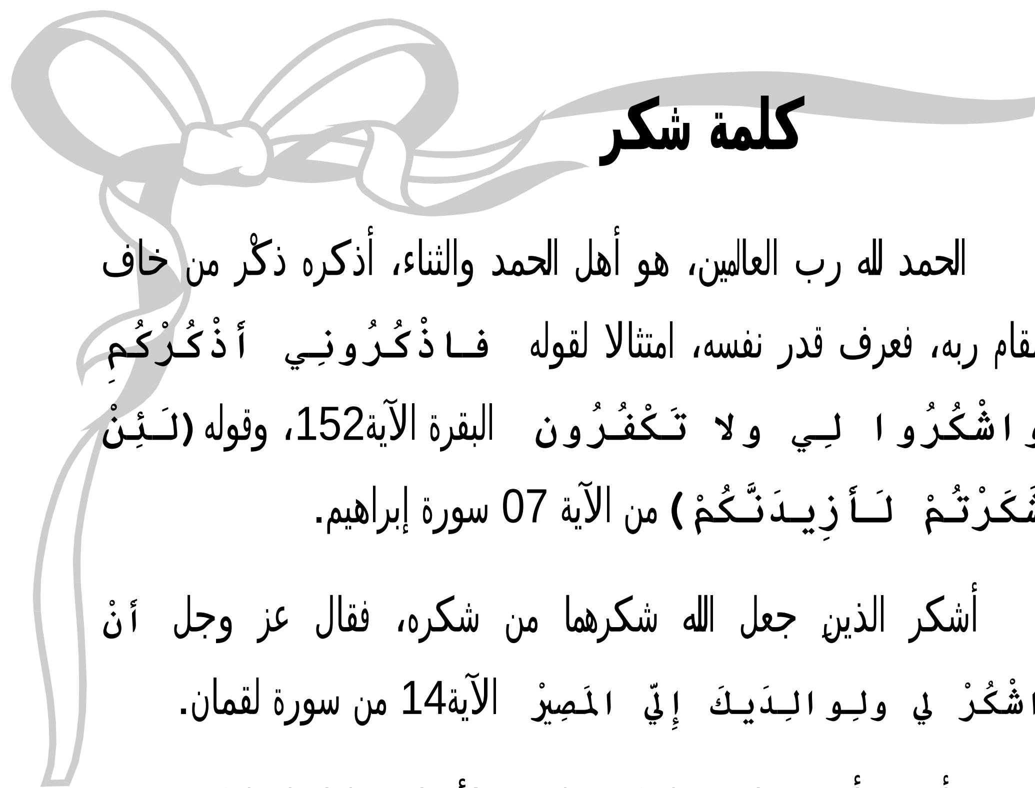
إهداء:

إلى **الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما.**

إلى **كل من تربطني م علاقة محبة وصداقة...**

تقديرا وعرفانا.



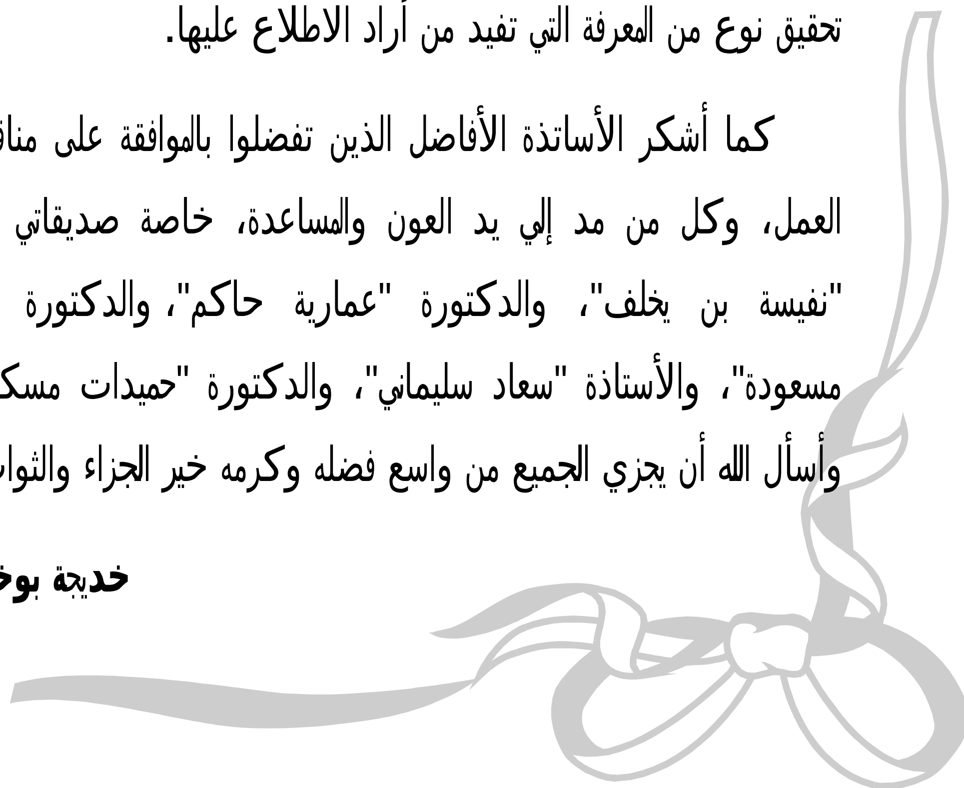


كلمة شكر

الحمد لله رب العالمين، هو أهل الحمد والثناء، أذكره ذكْر من خاف مقام ربه، فعرف قدر نفسه، امتثالا لقوله فـاذْكُرُونِـي أَذْكُـرْكُمِ واشْكُرُوا لِـي ولا تَـكْفُـرُون البقرة الآية152، وقوله (لَـئِنْ شَكَرْتُـمْ لَـأَزِيـدَنَّـكُمْ) من الآية 07 سورة إبراهيم.

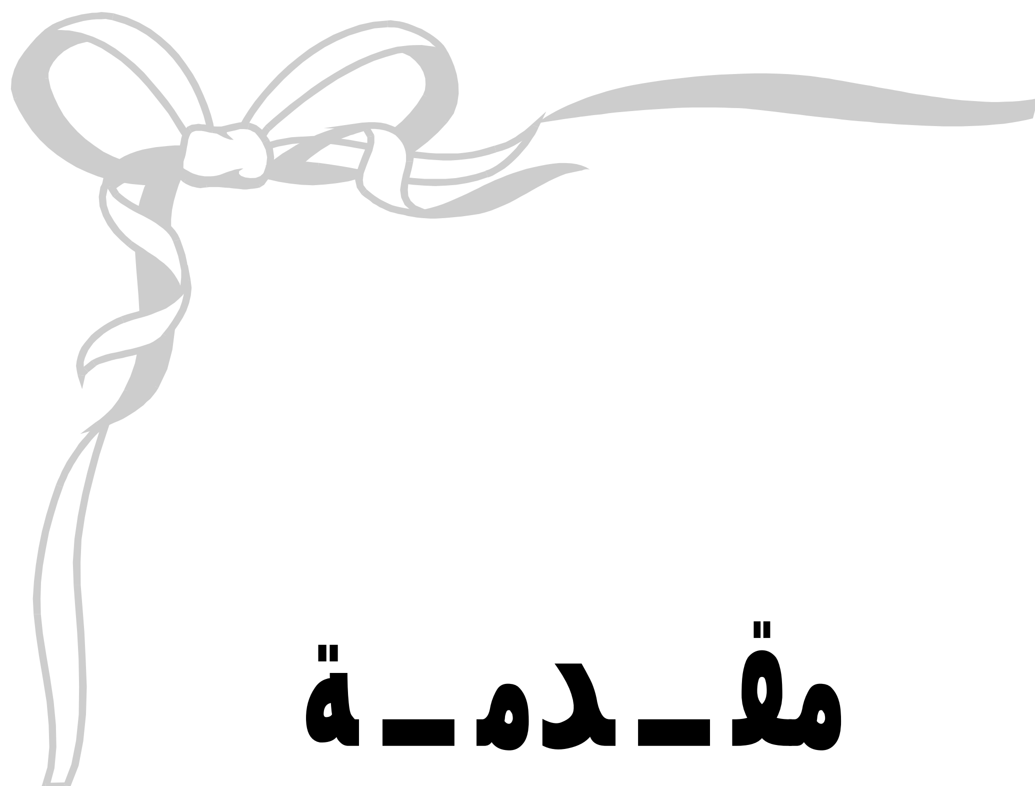
أشكر الذين جعل الله شكرهما من شكره، فقال عز وجل أَنْ اشْكُرْ لِي ولِـوالِـدَيـكَ إِلَيّ الْمَصِيرْ الآية14 من سورة لقمان.

وأتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير لأستاذي الفاضل الدكتور"**عبد الحليم بن عيسى**" لما قدمه إلي من آراء وتوجيهات قيمة ساعدتني على إخراج هذا البحث في هذه الصورة، والتي أرجو أن أكون قد وفقت فيها إلى تحقيق نوع من المعرفة التي تفيد من أراد الاطلاع عليها.



كما أشكر الأساتذة الأفاضل الذين تفضلوا بالموافقة على مناقشة هذا العمل، وكل من مد إلي يد العون والمساعدة، خاصة صديقاتي الأستاذة "نفيسة بن يخلف"، والدكتورة "عمارية حاكم"، والدكتورة "مرسلي مسعودة"، والأستاذة "سعاد سليماني"، والدكتورة "حميدات مسكجوب"، وأسأل الله أن يجزي الجميع من واسع فضله وكرمه خير الجزاء والثواب.

خديجة بوخشة.



مقـدمـة



يقوم التخاطب الإنساني على عمليات تواصلية معقدة، تزداد تعقيدا كلما انتقلنا من التخاطب اليومي المتداول إلى التخاطب الأدبي التخييلي، ذلك أنّ اللغة تكتنفها مقاصد معينة وهذه المقاصد والخبايا قد تنطوي على حججٍ تعمل على تحريك المتلقي إلى الاقتناع بالفكرة، ولعل ذلك ما يفسر بروز الدراسات التي تختص بالحجاج وتوليه مكانة مميزة في الدرس اللغوي.

بدأت الدراسات الحجاجية -منذ خمسينيات القرن العشرين- تتخذ سمة الاستقلالية في أبحاث الدارسين، وقد حظي الحجاج بجهود مستفيظة من طرف علماء المنطق والفلاسفة واللسانيين ومحللي الخطاب، على أساس أنّ اللغة تحمل في طيا ا بعدا حجاجيا موجها نحو المتلقي بغية التأثير عليه وإقناعه.

و دف دراسة الحجاج إلى تحديد دور الحجج وتقويمها، ومدى قدر ا على إحراز الإقناع، وتحديد مدى تجانس الحجج بعضها مع البعض الآخر؛ أي البحث في العلاقات القائمة بين المقدمات والنتائج الواردة في المحتوى الكلامي مثلا، وذلك يبدو جليا في الخطابات العادية أو النثرية ولكن يزداد صعوبةً وخفاءً في الخطابات الشعرية لغلبة جانب التخييل عليها.

ولذلك ألقيت في هذا البحث الضوء على الشعر الجزائري الحديث، دارسة حجاجيته من وجهة نظر تداولية، محاولة في ذلك الكشف عن الوظيفة الحجاجية التي يضطلع ا الخطاب الشعري، فكان موسوما بـ"**حجاجية الحكمة** في **الشعر الجزائري الحديث**".

ومن الأسباب الذاتية التي دفعتنا إلى الخوض في هذا البحث أنّ موضوع رسالة الماجستير كان حول الروابط الحجاجية في شعر المتنبي، فأردنا أن يكون بحثنا هذا تكملةً لمشروعنا الأول وتوسيعا له فلا يقتصر على الروابط الحجاجية فحسب؛ بل يبحث كذلك في



حجاجية الفعل الكلامي، وكذا الآليات والعلاقات الحجاجية، وخصصنا شعر الحكمة الجزائري الحديث كمدونة للبحث، ابتغاء كشف مكنوناته القائمة على الأبعاد الإقناعية.

ومن الأسباب الموضوعية التي جعلتنا نلج غمار هذا البحث:

- محاولة الكشف عن ظاهرة الحجاج تداوليا، إلى جانب السعي في إثر الصورة التكاملية الجامعة بين الدراستين اللغوية والأدبية عبر الإفادة من التراث العربي.
- تعد قلة التطبيقات التداولية التي تم بالأعمال الأدبية مثل الشعر، خاصة إذا كان الأمر يتعلّق بالشعر الجزائري الحديث الذي مازال يحتاج إلى مقاربة من هذا النوع، تفيد من الدرس البلاغي العربي، وتستلهم من بلاغة الحجاج **لبيرلمان** Perelman**وتيتيكا** Tyteca وكذا أعمال **أوستين** Austin و**سيرل** Searle**وغرايس**Grice، وكذلك نظرية الحجاج في اللغة كما تصورها **ديكرو**Ducrot.
- وتحديد مدونة البحث في غرض الحكمة بالذات حصر لمقام الشعر من جهة أولى، ولما توفره الحكمة من قدرة فائقة على الإقناع من جهة ثانية؛ ولأنّ أقوى الحجج في الشعر غالبا ما تكون حكمةً وعظيةً إرشاديةً من جهة ثالثة.
- وبتدقيق الاختيار لشعر الحكمة الجزائري الحديث يكون البحث قد حدد المدونة، ففي شعر الحكمة مخاطبة للعقل، وحجاجيته متوقعة ومنتظرة، كما أنه شعر ينفتح على القراءة والتأويل والنقاش، وفيه حجاج مقصود وإعمال روية، واختيار مدروس وانتقاء واعٍ للفظ والعبارة والصورة.

ونظرا لحجم المدونة – الشعر الجزائري الحديث- عمد البحث إلى حصر المدونة التطبيقية عبر التنقيب عن شعر الحكمة - بدءًا من السنوات العشرين من القرن الماضي- في دواوين شعراء الجزائر، وبمساعدة المراجع التي تناولت الشعر الجزائري الحديث منها: "موسوعة إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر"**لمحمد بن رمضان شاوش** و**الغوثي بن حمدان**،



وكتاب "الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975 "لمحمد ناصر، وكتاب"الشعر الجزائري الحديث"لصالح خرفي وكتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" بجزأيه لمحمد الهادي السنوسي الزاهري ...)، وقد اقتصر البحث على الشعر العمودي فقط حتى يكون مركزا؛ ولأنّ الشعر الحر اقترن في الأغلب بالشعر المعاصر.

ولما كانت الحكمة غالبا ما ترد على شكل بيت أو شطر متناثرة في ثنايا القصائد الشعرية، ويستخدمها الشاعر لتخدم غرض القصيدة ككل، وتحقق هدفها، وتدعم فكر ا، وتقوي بناءها، وتسري ا إلى عقول متلقيها لتلامس إحساسهم، وتقودهم للاقتناع والتصديق -ونظرا لكون هذه الدراسة تركز على غرض الحكمة في الشعر- فإنّ ذلك يحتم علينا أن ندرسها في سياقها الذي وردت فيه، ابتغاء تبين تعالقها مع باقي الأغراض الشعرية في القصيدة.

إنّ الإشكالية التي يتمحور حولها هذا البحث تختص بمواصفات الخطاب الحجاجي في شعر الحكمة الجزائري الحديث، وهي خصائص من شأ ا أن تجعل العلاقة الإقناعية ممكنة. ولعل هذا ما يبرز التركيز على حجاجية الخطاب الشعري وأبعاده الجمالية والإنجازية والإقناعية، وتضمنت الإشكالية مجموعة من الأسئلة حاول البحث الإجابة عنها ضمن فصوله:

- هل يتسع شعر الحكمة الجزائري للوظيفتين التخييلية والتداولية؟ وإن كان الشعر حجاجيا فهل حجاجيته إقناعية أم اقتناعية؟
- هل يضطلع البعد الجمالي بوظيفة حجاجية؟ وما الدلالات الحجاجية للأساليب البلاغية؟
- ما وظيفة الفعل الكلامي الحجاجية؟ وهل كل فعل كلامي فعل إنجازي حجاجي قادر على التأثير؟
- وما هي متضمنات القول التأثيري؟ أو كيف يضمن المتكلم في كلامه ما يجعل الآخر يقتنع عفويا بوجهة نظره؟

- ما التقنيات الحجاجية التي يعتمدها الشاعر؟ وكيف يرتب حججه لتأدية غرضه الإقناعي؟

وعلى هذا الأساس اعتمدنا في بحثنا خطة اهتدينا إليها في رسم معالم هذه الإشكالية على النحو الآتي:

تناول **المدخل** مفاهيم عامة في الحجاج في شكل عرض تحليلي للمصطلح والمفهوم، وكذا ما يتعلق به من مصطلحات كالبرهان والاستدلال.

وكان **الفصل الأول** بعنوان: **الحجاج وشعر الحكمة الجزائري الحديث**، درسنا فيه مقومات الحجاج ومسلماته التي يستند إليها المحاجج عامة والشاعر بصفة خاصة؛ ثم بحثنا في مفهوم الشعر الحديث، وخصائص الشعر الجزائري، وأهم مواضيعه وأغراضه وشعرائه، للوصول إلى وظيفة الشعر الحجاجية، وخصص مبحثٌ لدراسة الحجاج بين الجدل والخطابة، ثم الحجاج والشعر، مع توضيحٍ لماهية الحكمة ونشأ ا وتطورها، لندرس بعد ذلك الحجاج في شعر الحكمة الجزائري، وعلاقة الشعر بالتخييل والإقناع، ثم الحجاج في شعر الحكمة بين الإقناع والاقتناع.

أما **الفصل الثاني** فكان بعنوان **حجاجية الأساليب البلاغية** في **شعر الحكمة الجزائري الحديث**، قدمنا فيه الأساليب البلاغية واستعمالا ا الحجاجية، وكان التركيز على البعد الجمالي الذي يحقّقه الخطاب الشعري لما له من موقع مهم في الحجاج؛ لكونه يؤدي دور الإثارة والاستمالة، ومن ثم العزف على الوتر الحساس للمتلقي وجعله يقتنع بآراء الشاعر، لكن لم يختار الشاعر أسلوبا بلاغيا بعينه دون غيره من الأساليب؟ وللإجابة عن هذا السؤال بحثنا عن الدور الحجاجي لاستعمال بعض الأساليب البيانية والبديعية، ثم حجاجية الإيقاع الشعري والتكرار.

بينما ركّز **الفصل الثالث** على **حجاجية الفعل الكلامي** في **شعر الحكمة الجزائري الحديث،** وهنا انتقل البحث من البعد الجمالي إلى البعد الإنجازي والتوجيهي؛حيث سعى إلى استنتاج القيمة الحجاجية للفعل الإنجازي ومدى تأثيره على المتلقي، ورصد القوة الإنجازية التي يحققها الفعل الكلامي، واستكشاف التأثيرات التي تحدثها في المتلقي المباشر أو المتلقي الكوني -حسب القصيدة الشعرية وما حققته في زمنها بمراعاة الشروط التداولية لنجاح الفعل الكلامي من متكلم ومتلقٍ وسياق وزمان ومكان- وتكمن حجاجية الفعل الكلامي في القدرة على توجيه المتلقي وإقناعه ومن ثم دفعه إلى الإنجاز والفعل.

وقد خصص **الفصل الرابع** لفحص **آليات الحجاج** في **الشعر الجزائري الحديث،** مركزا على البعد الإقناعي، فتم التطرق فيه إلى التقنيات الحجاجية التي يستعملها الشاعر للإقناع، ثم السلم الحجاجي ووسائله، وفي الأخير العلاقات الحجاجية، ووضعنا أمثلة لهذه التقنيات والسلالم والعلاقات الحجاجية من شعر الحكمة الجزائري الحديث.

أما **الخاتمة** فرصدت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

يروم هذا التناول إلى كشف الغطاء عن التحليل التداولي الحجاجي، من أجل إبراز فعاليته في تحليل الخطاب الشعري -شعر الحكمة الجزائري الحديث- بالتركيز على حجاجية الأساليب البلاغية والفعل الكلامي والآليات الحجاجية، محاولة منا للظفر بالقصد الكامن في النص ذاته ونفس منتجه وفي نفس متلقيه، وفي عناصر السياق المختلفة التي تحيط بعملية إنجازه، استنادا إلى القوة التواصلية الحجاجية للأفعال الكلامية الضمنية المنجزة، ودراسة العلاقات الحجاجية التي تنتظم ا حجج الشاعر.

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي نظرا لما تتطلبه الدراسة اللغوية؛ فجاء الوصف وسيلة لتبيين مدى تعالق الحجاج ببعض المفاهيم التداولية الأخرى وإثبات إمكانية الحديث عن الحجاج في الشعر، أما التحليل فقد انتقيناه حجاجيا

لولوج عوالم الخطاب الشعري وفق آليات إجرائية تداولية، عبر موضوعٍ لم ينل الحظ الوفير من الدراسة مثلا في الحكمة الواردة في الشعر الجزائري الحديث.

ومن أهم الكتب التي استند عليها البحث؛كتب التداولية والحجاج خاصة تلك التي درست الشعر دراسة حجاجية؛ مثل "الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه"**لسامية الدريدي** و"بلاغة الحجاج في شعر ابن الرومي" **لإبراهيم عبد المنعم إبراهيم"،** و"الحجاج في النص الشعري" **لمحمد عبد الباسط عيد،** بالإضافة إلى كتاب"الحجاج مجالاته ومفاهيمه"**لحافظ إسماعيلي علوي"**، وتمّ جمع المدونة الشعرية من الكتب التي ذكرت آنفا.

ومن أهم الصعوبات التي اعترضت طريق البحث؛ قلة توافر الممارسة في هذا النوع من البحث، وصعوبة تطبيق المفاهيم التداولية على الخطاب الشعري. وإشكالية تعدد المصطلحات اللسانية للمفهوم الواحد، أو تعدد المفاهيم للمصطلح الواحد، كما وجد البحث مشقةً في الإمساك بالحكمة في الشعر الجزائري الحديث عبر التنقيب عنها في الدواوين الشعرية، والدراسات التي جمعت الشعر الجزائري، خاصة وأنه لم يسبق لأي دراسة حسب ما توافر لنا في مكتبة البحث -وحسب علمنا- أن خصصت لهذا الغرض في الشعر الجزائري الحديث؛ بل توجهت معظم الدراسات صوب شعر الثورة والمقاومة.

وإذا جاء في هذا البحث ما قد يستحسنه القارئ فبفضل الله سبحانه وتعالى وتوفيقٍ منه، ثم بفضل جهود أستاذنا المشرف الدكتور **عبد الحليم بن عيسى** فنتقدم له بخالص الشكر والتقدير والعرفان لتواضعه العلمي، وتوجيهاته السخية، ورعايته لهذا العمل بصبر ورحابة صدر. وشكري إلى كل من علموني أنّ تحصيل العلم ليس إلا باتخاذ الصبر مطية والتواضع حلية.

خديجة بوخشة

سعيدة في:20جانفي 2014



المدخــــل





مدخل : مفاهيم عامة في الحجاج

أولا: مفهوم الحجاج.

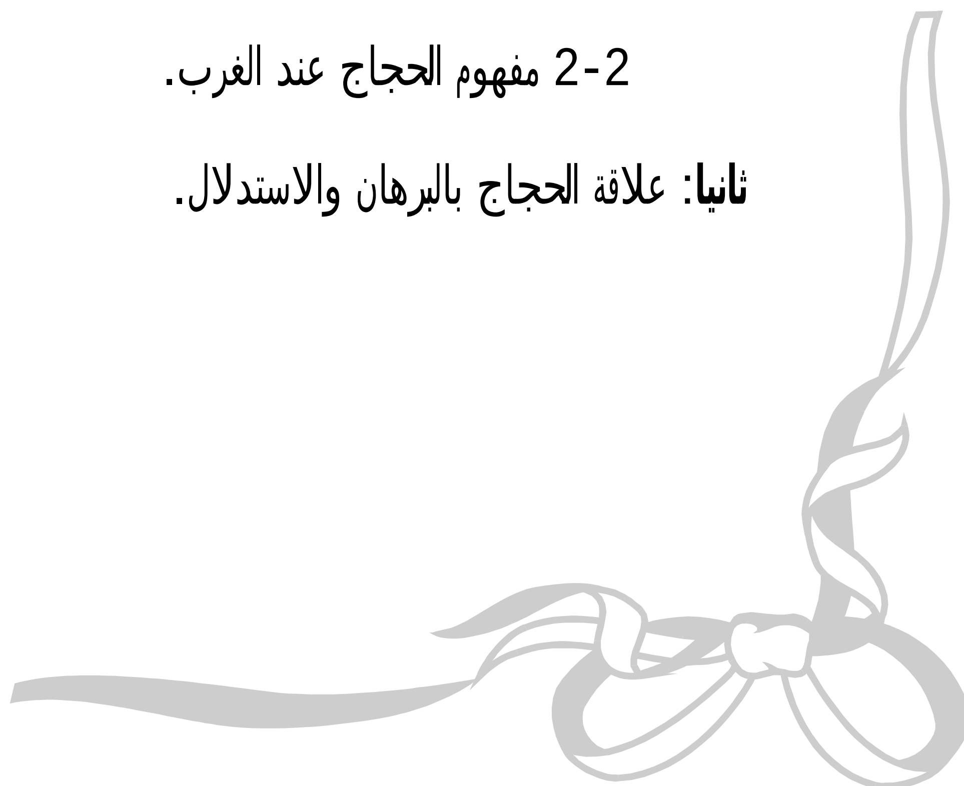
1- المفهوم اللغوي.

2- المفهوم الاصطلاحي.

2-1 مفهوم الحجاج عند العرب.

2-2 مفهوم الحجاج عند الغرب.

ثانيا: علاقة الحجاج بالبرهان والاستدلال.





مدخل: مفاهيم عامة في الحجاج:

استحوذ الشعر على اهتمام الباحثين في الدراسات البلاغية والنقدية واللسانية والأسلوبية والسيميائية والتداولية؛ ولعل هذه المكانة التي حظي ا تعود لكونه تعبيرا فنيا جماليا يشعر به الشاعر، ويقصد منه نشر الفضائل ومكارم الأخلاق خاصة في شعر الحكمة.

يهتم البحث بالوظيفة الحجاجية للخطاب الشعري مركزا على شعر الحكمة الجزائري الحديث؛ حيث سيثبت في البداية وجود الحجاج في الشعر، ثم يدرس في المدونة التطبيقية حجاجية الأساليب البلاغية لينتقل إلى حجاجية الفعل الكلامي، ثم يبرز أهم الآليات الحجاجية التي يستعملها الشاعر في شعره ويقصد ا إحراز اقتناع المتلقي والتأثير فيه.

سينطلق البحث من عرض بعض المفاهيم سواء تلك المتعلقة بالحجاج ودلالته اللغوية والاصطلاحية، أو ما قد يلتبس به من مصطلحات؛ كالبرهان والجدل والاستدلال.

أولا : مفهوم الحجاج:

1-الحجـاج لغة: (L'argumentation)

الحجاج لغةً من حاجج، جاء في معجم العين «الحج كثرة القصد إلى من يعظّم... حجوا عمامته: عظموه... ويقال الحجة الموسم... والمحجة: قارعة الطريق الواضح، والحجة: وجه الظفر عند الخصومة»[1]. فدلّ الحجاج على الخصام.

وفي هذا الصدد يرى **الزمخشري (**ت538ه) أنّ الحجاج هو المخاصمة، ويضيف بعض المعاني ا ازية التي يمكن استعمالها بلفظة الحجاج؛ حيث يقول«احتج على خصمه بحجة شهباء، وبحجج شهبٍ، وحاج خصمه فحجه، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجة وملاجة، وسلك المحجة، وعليكم بالمناهج النيرة والمحاج الواضحة، وأقمت عنده حجة كاملة... وحجوا مكة، وهم حجاج وفلان تحجه الرفاق أي تقصده... ومن ا از: بدا **حجاج** الشمس، كما يقال حاجبها... ومروا بحجاجي الجبل، وهما جانباه...»[2].

ويقول **ابن منظور** (711هـ) «حاججته، أحاجه، حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت ا. وحاجه محاجة وحجاجا، نازعه الحُجة. والحُجة البرهان. قال الأزهري: الحُجة، الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. ويقال أيضا رجل محجاج أي جدلٌ. والتحاج بمعنى التخاصم. وحاجه أي نازعه الحُجة»[3].

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي أ:خ منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1، 2003م-1424ه، باب الحاء ، ا لد الأول ص286.

[2] جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ، ط1، 1426-1427ه،2006م مادة (ح ج ج) ص113.

[3] ابن منظور : "لسان العرب " .ا لد الرابع. دار صادر . بيروت. مادة (ح ج ج) ج1 .ص38.



فعلى هذا يعني الحجاج الـ اع والخصومة بواسطة الأدلة والبراهين الكلامية والحجج العقلية، فيكون مرادفا للجدل؛ لأنه يجمع بين معنيي اللفظين المخاصمة والمنازعة مع «أنّ فعل حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة... والأغلب أنه يفيد الخصام بباطل».[1]

وأصل الحجاج الخصومة والـ اع وهما لا تستلزمان العداوة؛ «بل مدارهما على الاختلاف مع الطرف الآخر؛ لأن ظروف المنازعة ودواعي الصراع يقتضيان تصلبا في الرأي مما يدفع به إلى إقحام كل ما يملكه من الدلائل لكي يفحم به الخصم».[2]

ويرجع **أبو بكر الرازي** مفهوم الحجاج إلى القصد، وغلبة الخصم بالحجة والبرهان؛ فيقول: «الحج في الأصل القصد (...) والحجة البرهان، وحاجه فحجه من باب رد، أي غلبه بالحجة... ورجل محجاج بالكسر أي جدل، والتحاج التخاصم والمحجة بفتحتين: جاد الطريق»[3]، وهذا التعريف بدوره يجعل من الحجاج والبرهان والجدل مصطلحات مترادفة لا فرق بينها.

بينما نجد **أبا هلال العسكري** يفرق بين "الحجة" و"الدلالة" و"البرهان" قائلا: «الحجة هي الاستقامة في النظر والمضي فيه على سنن مستقيم من رد الفرع إلى الأصل، وهي مأخوذة من الحجة وهي الطريق المستقيم، وهذا هو فعله المستدل وليس من الدلالة في

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ط الدار التونسية للنشر، تونس 1984، ص32.

[2] سعيد فاهم : معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقا ا المختلفة السور السبع الطوال أنموذجا، دراسة دلالية معجمية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر جامعة مولود معمري تيزي وزو،كلية الآداب واللغات 2012، ص14.

[3] محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح: عني بترتيبه محمود خاطر بك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع طبعة1401-1981. مادة حاجج.



شيء. وتأثير الحجة في النفس كتأثير البرهان فيها، وإنما تنفصل الحجة من البرهان؛ لأنّ الحجة مشتقة من معنى الاستقامة في القصد: حج يحج إذا استقام قصده»[1].

وتتفرع من مادة (ح ج ج) معاني جزئية ثلاثة :«فالمعنى الأول: المُحاج وهو صاحب الغلبة(الغالب) والثاني: المحجوج (المغلوب)، والثالث: الحجج التي يتبادلها المتخاصمان»[2].

وردت كلمة حجاج تسعة عشر (19) مرة في القرآن الكريم بصيغ صرفية عديدة مثل"حجة، حجتنا، حجتهم، حاج، حاجوك، حاجك، حاججتم، تحاجون، يحاجون، يحاجوكم، أتحاجوني، أتحاجوننا، حاجه." نذكر منها:

-قوله عز وجل **ألم تَرَ إلى الَذي حَاج إبرَاهيمَ في رَبه** [3].حيث دلّ الفعل حاج على دخول إبراهيم والنمرود في خصام وجدال، وفي تفسير هذه الآية الكريمة "حاج" أي "جادل"[4].

وفي تفسير ابن كثير **ألم تَرَ** أي بقلبك يا محمد إلى **الَذي حَاج إبرَاهيمَ في رَبه** أي وجود الله، وذلك أنه أنكر أن يكون ثمّ إله غيره... وكان طلب من إبراهيم دليلا على وجود الرب الذي يدعو إليه...»[5]، فحاج هنا بمعنى طلب الدليل.

---

[1] أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، ضبط وتحقيق حسام الدين القدسي دار الكتب العلمية الطبعة الأولى بيروت 1401-1981، ص16

[2] سعيد فاهم: معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقا ا المختلفة السور السبع الطوال أنموذجا، دراسة دلالية معجمية، ص14

[3] البقرة 258.

[4] جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي: تفسير الإمامين الجلالين للقرآن الكريم، حققه ونسقه الشيخ محمد الصادق القمحاوي، مكتبة: رحاب، الجزائر ، ص37.

[5] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، كتب هوامشه وضبطه حسين بن إبراهيم زهران، طبعة جديدة مخرجة الأحاديث ومصححة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، الجزء الأول 1426ه-1427ه 2006م ، ص287.



- وقوله عز وجل **وَحَاجه قَومه،قَالَ أتحَاجونِي** في **اللِهِ وَقَد هَدَان** [1]. وفي تفسير هذه الآية الكريمة:«يقول الله تعالى مخبرا عن خليله إبراهيم حين جادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد، وناظروه بشبه من القول أنه قال : أتحاجوني في الله وقد هداني":أي أتجادلونني في أمر الله وأنه لا إله إلا هو وقد بصرني وهداني إلى الحق وأنا على بينة منه فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة» [2] ، فجاءت كلمة تحاجونني بمعنى تجادلونني.

- وقال الله تعالى **هَا أنتم حَاجَجتم فيمَا لَكُم بِه علْم،فَلمَ تحَاجون فيمَ لَيسَ لَكُم بِه علْم** [3]؛ وهذا «إنكار على من يحاج فيما لا علم له به، فإنّ اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديا م التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد(صلى الله عليه وسلم) لكان أولى م» [4] ، فمعنى الحجاج هنا الجدال والإنكار.

- وقال تعالى **فَإِنْ حَاجوكَ فَقُلْ أسلمت وَجهي لله** [5]؛ أي «جادلوك في التوحيد فقل أخلصت عبادتي له وحده لا شريك له» [6].

- وقال عز وجل **لئَلا َيكُونَ للناسِ عَلَى اللِهِ حجةً َبعدَ الرسلِ** [1]، وفي تفسير هذه الآية الكريمة نجد «أنّ الله تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه لئلا يبقى لمعتذر عذر» [2] ، فجاء معنى كلمة حجة : عذر.

1 الأنعام 80.
2 ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج2، ص676.
3 آل عمران 66
4 ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1، ص338.
5 آل عمران 20.
6 ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1،ص323.



- وفي قوله **حجتهم دَاحضَةٌ عندَ رَبهم** [3] أي أنّ حجتهم«باطلة عند الله»[4].

فدلّت لفظة الحجاج في هذه الآيات على الخصام أو الإنكار أو الجدال أو طلب الدليل أو الإدعاء.

وإذا كانت معظم المعاجم العربية وتفاسير القرآن الكريم قد ربطت الحجاج بالجدل، فإنّ محمد الطاهر بن عاشور (ت1393ه) أشار إلى الفرق بينهما حين فسر قوله تعالى **ألم تَرَ إلى الَّذي حَاج إبرَاهيمَ في رَبه** [5]. بقوله «معنى حاج خاصم، وهو فعل جاء على زنة المفاعلة ولا يعرف لجاج في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام ولا تعرف المادة التي اشتق منها ومن العجيب أنّ الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى مع أنّ حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة... وأنّ الأغلب أنه يفيد الخصام بباطل»[6] ، كما فسر الجدل في تفسيره لقوله تعالى **ولا تجَادلْ عن الذين يَختَانونَ أنفُسَهم** [7] بأنّ ا ادلة «مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام، والحجة فيه وهي منازعة بالقول للإقناع برأيك»[8]، وقال في موضع آخر«ا ادلة المخاصمة بالقول ، وإيراد الحجة عليه، فتكون في الغير كقوله يجادلنا في قوم لوط، وتكون في الشر، ولا جدال في الحج»[9].



[1] النساء 165.

[2] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1، ص355.

[3] الشورى 16.

[4] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج4، ص1666.

[5] البقرة 258.

[6] التحرير والتنوير، ج3، ص31-32.

[7] النساء 107.

[8] ابن عاشور: التحرير والتنوير،ج3 ، ص194.

[9] نفسه ج12، ص60.



فالجامع بين لفظي الحجاج والجدل هو المخاصمة لكنها في الحجاج قائمة على الباطل عادة كما أشار إلى ذلك ابن عاشور معتمدا على القرآن، في حين أنّ الجدل منه ما هو حق ومنه ما هو باطل.

إنّ المراوحة بين الحجاج والجدل في الاستعمال باعتبارهما مترادفين«من شأنه أن يضيق مجال "الحجاج" ويغرقه في"الجدل" من حيث هو صناعة منطقية ... والحال أنّ الحجاج أوسع من الجدل»[1].

2- الحجاج اصطلاحا:

2-1 مفهوم الحجاج عند العرب:

يقول **أبو الوليد الباجي (474ه)** عن الحجاج أنه «من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا؛ لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجةً ولا اتضحت محجة ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم »[2]، وهذا ما يبين أهمية الدراسة الحجاجية.

فالحجاج تقنية يقوم المتكلم بها ليوضح موقفه ويعلله أمام مخاطبه إنه« إجراء يسلكه فرد أو مجموعة لدفع المستمع إلى تبني موقف اعتمادا على إثباتات أو حجج».[3] ولا تقوم الحجة إلا بالسبب والعلة والإثبات.



[1] عبد الله صوله: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت لبنان ط1 2001، تونس منوبة، ص15-16.

[2] أبو الوليد الباجي: المنهاج في ترتيب الحجاج تحقيق عبد المجيد التركي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 المغرب 1987، ص08.

[3] محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، ص08.



والحجة «ما دلّ به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد»[1]، فأساس الحجاج الارتكاز على دليل معين قصد إثبات قضية من القضايا وبالتالي بناء موقف معين، وقد بحث **الغزا**لي في مفهوم السببية وربطها بالعلة والتعليل، ورأى أنّ أصل اشتقاق السبب «من الطريق ومن الحبل الذي يـ ع به الماء من البئر، وحده ما يحصل شيء عنده إلا به، فالوصول بالسير لا بالطريق ولكن لا بد من الطريق ونزع الماء بالاستسقاء لا بالحبل»[2].

تحدث "**طه عبد الرحمن**" عن الحجاج في قوله «الحجاج كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»[3] ، فالحجاج يتعدى المعرفة المبسطة فيما نطق به المتكلم لتتعلق بما يقتضيه المنطوق أي ما هو متضمن فيه.

ويرى **طه عبد الرحمن** أنّ للحجة وجهين تختص ـما «يتمثل الأول في إفادة الرجوع أو القصد إنّ الحجة من فعل حج الذي يعني رجع، فتكون الحجة أمرا ترجع إليه أو تقصده إلا لحاجتنا إلى العمل به... والثاني يتمثل في إفادة الغلبة ذلك أنّ الفعل حج يدل أيضا على معنى غلب فيكون مدلوله هو إلزام الغير بالحجة»[4]، فركز بذلك على المعنى اللغوي للحجاج المتمثل في القصد والغلبة بالحجة.

---

[1] الشريف علي بن محمد الجرجاني: التعريفات تحقيق إبراهيم الأنباري، دار اللسان العربي، بيروت ، لبنان 1992، ص482.

[2] الغزالي المستصفى ج1ص60، ضمن كتاب مفهوم السببية عند الغزالي أبو يعرب المرزوقي، دار بوسلامة للطباعة تونس، ط1، ص200.

[3]طه عبد الرحمن: اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي، ط1 ، 1998. ص226.

[4] نفسه، ص137.

2-2 مفهوم الحجاج عند الغرب:

ترجم مصطلح Argumentation في الدراسات اللسانية الحديثة بالحجاج الذي يقصد به «سلسلة من الحجج تتجه جميعها نحو نفس النتيجة»[1]، وهذه الحجج الموجهة لإثبات موقف أو دحضه.

وفي هذا الصدد نجد في قاموسle grande robert مصطلح Argumentation هو «فن استعمال الحجج أو الاعتراض ا في مناقشة معينة والفعل حاجج Argumenter هو الدفاع عن اعتراض أو أطروحة بواسطة حجج»[2] ؛ بمعنى إتباع طريقة معينة في تقديم الحجج لتحقيق الإقناع.حيث تحيل لفظة Argumentation على عدة معاني من بينها:[3]

- القيام باستعمال الحجج.
- مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.
- فن استعمال الحجج أو الاعتراض ا في مناقشة معينة.

الحجاج هو توجيه خطاب إلى متلق ما لأجل تعديل موقفه أو رأيه أو سلوكه، وغايته الإقناع. والإقناع حسب **فيليب بروتون**Philipe Breton «هو أحد من الحالات الأساسية للتواصل، وذلك تبعا لكون القصد هو التعبير عن إحساس أو حالة أو نظرة خاصة إلى العالم أو إلى الذات، أو الإخبار؛أي الوصف الموضوعي إلى أقصى درجة

---

[1]محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، دار الثقافة، الدار البيضاء ط1، 1426هـ 2005 م ، ص 08.

[2] Le grand Robert : Dictionnaire de la langue française, T.1Paris, 1989, P.535

[3]Le grand Robert : Dictionnaire de la langue française P.535.

لمقام ما...الإقناع أي التوجه إلى المستمع بالمبررات المقبولة لتبني رأي ما»[1]؛ حيث يتعلق مجال الإقناع بالمتلقي ومدى استعداده للاستجابة إلى مؤثرات المتكلم من أجل تعديل الرأي أو السلوك.

كان ميدان الحجاج يعتمد أساسا قبل "**ديكرو**"Ducrot على البلاغة الكلاسيكية(**أرسطو**) أو البلاغة الحديثة (**بيرلمان**)Perelman، أو يعتمد على المنطق الطبيعي (**غرايس**)Grice.

وضع اللغوي الفرنسي "**ديكرو** Ducrot نظرية الحجاج في اللغة منذ سنة 1973، وهي نظرية لسانية تم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إ ا تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير؛ حيث يقول ديكرو Ducrot «إننا حين نتكلم إنما دف إلى التأثير في هذا السامع أو مواساته أو إقناعه أو جعله يأتي عملا ما ، أو إزعاجه أو إحراجه وغير ذلك »[2] ، وبعبارة أخرى فإنّ دراسة الحجاج أخذت تم باستراتيجية الخطاب الهادف إلى الاستمالة استنادا إلى أنماط الاستدلال الصورية، وذلك بغاية إحداث تأثير في المخاطب بالوسائل اللسانية والمقومات السياقية التي تجتمع لدى المتكلم أثناء القول من أجل توجيه خطابه والوصول إلى بعض الأهداف الحجاجية.[3]

---

[1] Philipe Breton , l'argumentation dans la communication, Alger. Casbah,1998 p.4.

[2] Anscombre et ducrot : L'argumentation dans la langue, , philosophie et langage troisième édition, MARDAGA , P.05.

[3]ينظر عبد السلام عشير : "عندما نتواصل نغير " مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج إفريقيا الشرق، المغرب 2006. ص67.



تريد نظرية الحجاج أن تبين أنّ اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها. ومن هذه الزاوية يصبح الحجاج بعدا جوهريا في اللغة ذا ا، مما ينتج عن ذلك أنه حيثما وجِد خطاب العقل واللغة؛ فإنّ ثمة استراتيجية معينة نعمد إليها لغويا وعقليا إما لإقناع أنفسنا أو لإقناع غيرنا، وهذه الاستراتيجية هي الحجاج ذاته [1].

قد يعتمد الخطاب الحجاجي على التفسير، ويشترط فيه عدم تبني موقف وتوضيح مختلف المواقف المتخذة ويتخذ موقف الحياد، ثم تبرير اتخاذ موقف ما بعد ضمان صحة موقفه «وأن يقدم في الآن نفسه المخاطب وسائل للحكم عليه لأنه ينبغي لهذا الأخير بدوره أن يكون قادرا إما على الاقتناع بالموقف المتخذ أو دحضه»[2]، والتفسير هو «إظهار دلالات النص بما تقتضيه ألفاظها دون وجود عوامل تخفيها عن المفسر فهو بذلك يظهر المعنى المباشر»[3].

يعتبر **ديكرو** Ducrot الحجة عنصرا دلاليا يخدم عنصرا دلاليا آخر، قد يكون ظاهرا أو مضمرا[4]، فالحجة هي الدليل لدعم الإثبات.

ولأخذ فكرة واضحة عن مفهوم الحجاج (Argumentation) ينبغي مقارنته بمفهومي البرهنة (Démonstration) والاستدلال المنطقي.

---

[1] حبيب أعراب : " الحجاج والاستدلال الحجاجي ". مجلة عالم الفكر . العدد1. ا لد 30. ص67.

[2] باتريك شارودو . الحجاج وأشكال التأثير ، ترجمة ربيعة العربي، ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي اشراف حافظ اسماعيل علوي ص 300.

[3] سمير شريف استيتية: اللسانيات ا ال والوظيفة والمنهج عالم الكتب الكويت ، جدارا للكتاب العالمي ط1 1425هـ 2005 م . ط2 2008/1429 إربد ، عمان الأردن، ص714.

[4] أبو بكر العزاوي : حوار حول الحجاج ،الأحمدية للنشر الدار البيضاء ، ط1، 2010، ص45-46.

ثانيا : علاقة الحجاج بالبرهان والاستدلال:

الخطاب الطبيعي ليس خطابا برهانيا بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو لا يقدم براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي. ولفظة الحجاج لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما، أو إظهار الطابع الصحيح لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية[1]، فمجال الحجاج«هو المحتمل وغير المؤكد والمتوقع... ف**أرسطو** (322ق م-384ق م)على سبيل المثال في دراسته لأصناف المقدمات كان يؤكد فكرة تعارض الاستنتاج البرهاني الذي ينطلق من الإثباتات الصادقة مع الاستنتاج الجدلي الذي ينطلق من أفكار وآراء مقبولة فقط، ثم إنّ البرهنة مجالها هو المنطق أو اللغات الاصطناعية الرمزية بشكل عام، ومجال الحجاج هو الخطاب»[2].

ويمكن التمثيل لكل من البرهنة والحجاج بالمثالين التاليين:

1- كل اللغويين علماء.

-زيد لغوي.

- إذن زيد عالم.

يتعلق الأمر هنا ببرهنة أو بقياس منطقي، فاستنتاج أن زيدا عالم حتمي وضروري لأسباب منطقية. فالأمر هنا محسوم بالقبول أو الرفض، فتنتفي أية ضرورة للحجاج.

أما قولنا : 2- انخفض ميزان الحرارة .

إذن سيـ ل المطر.

---

[1] Jacques Moeschler : " Argumentation et conversation" p. 46

[2] أبو بكر العزاوي: حوار حول الحجاج، ص25.

فهذا القول لا يعدو أن يكون حجاجا أو استدلالا طبيعيا غير برهاني، فاحتمال نزول المطر يقوم على معرفة العالم، وعلى معنى الشطر الأول من الجملة، وهو استنتاج احتمالي.[1]

يقابل لفظ "حاج (Argumenter) ألفاظ من مثل("برهن" (أثبت،أقام الدليل) (prouver) واستنتج (Déduire) والخطاب الحجاجي ليس خطابا حاملا لأدلة وبراهين، كما أنه ليس خطابا لقيم استنتاجية منطقية، و"حاج" لا تعني مطلقا برهن على صحة قضية، ولا إبراز الطابع المنطقي للبرهان.[2]

تخضع العلاقة المنطقية دائما لشروط الصدق(Valeurs de vérité) وهذا ما لا نجده في العلاقة الحجاجية ؛ فـ«ليس من الضروري أن يكون لكل تعبير عن السببية صحة حجاجية»[3]، ويمكن ملاحظة ملفوظات غير مقبولة منطقيا ومع ذلك فهي مقبولة وموجودة في الخطاب. فقولنا:

- ليس لدي وقت، ومع ذلك أتناول فنجان قهوة.

هذا القول لا يخضع للمنطق، من حيث أنّ المتكلم ليس لديه الوقت الكافي، وبالتالي لا يمكنه شرب القهوة، مما يدلّ على أنّ العبارة الثانية خاطئة، ومع ذلك لا يتبادر إلى ذهن أحد بأنّ الملفوظ السابق فيه تناقض، والعلامة التي جعلت التناقض ينتفي من القول هي"ومع ذلك". وبالتالي يصبح الملفوظ السابق مقبولا حجاجيا مرفوضا منطقيا. وهكذا يتضح الفرق بين الحجاج والبرهان، ومن هنا وجب التمييز بين الاستدلال (Raisonnement) والحجاج(Argumentation) ؛ لأ ما ينتميان إلى نظامين مختلفين جدا، نظام ما نسميه عادة بنظام المنطق ونظام الخطاب.

[1] Voire, Jacques Moeschler : " Argumentation et conversation: p 46

[2] Ibid: p48

[3] باتريك شارودو: الحجاج وأشكال التأثير، ترجمة: ربيعة العربي ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي، إشراف حافظ اسماعيلي علوي ص299

والاستدلال عند علماء الأصول «دليل ليس بنص ولا إجماع ولا قياس ... المعرف بأنه: (دليل ليس بنص) من كتاب أو سنة (ولا إجماع) من أهل العقد والحل ولا قياس من الأقيسة الشرعية»[1].

كما نجد مفهوم الاستدلال inférence هو«كل قضية ضمنية يمكن استخلاصها من قول أو استخلاص نتيجة من محتواها الحرفي بالتأليف بين معطيات متنوعة(من داخل القول ومن خارجه)»[2].

وتطلق **أوركيو**نيOrecchionneاسم استدلال inférence على«أي جميلة مضمرة يمكننا استخلاصها من القول واستنتاجها من محتواه الحرفي عبر التوفيق بين معلومات ذات وضع متغير (من داخل القول وخارجه)»[3] ، فهي تربط الاستدلال بالقول المضمر الذي يمكن استنتاجه من محتوى القول.

إنّ الأقوال التي يتكون منها استدلال ما مستقلة بعضها عن بعض، بحيث إن كل قولٍ منها يعبر عن قضية ما؛ أي يصف حالة ما، أو وضعا ما من أوضاع العالم، باعتباره وضعا واقعيا أو متخيلا، ولهذا فإنّ تسلسل الأقوال في الاستدلال ليس مؤسسا على الأقوال نفسها، ولكنه مؤسس على القضايا المتضمنة فيها؛ أي على ما نقوله بشأن العالم.[4] أما الحجاج فهو مؤسس على بنية الأقوال اللغوية وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب. ونوضح هذا بالمثال الآتي:

---

[1]محمد الطيب الفاسي: مفتاح الوصول إلى علم الأصول في شرح خلاصة الأصول، الشيخ عبد القادر الفاسي، تقديم وتحقيق: إدريس الفاسي الفهري، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ،الإمارات العربية المتحدة، دبي ط1 2004/1425 ص 308.

[2]آن ربول جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل ترجمة: سيف الدين دعفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة ، بيروت ط1- تموز يوليو 2003 ، ص 262.

[3] كاترين كيربرات أوركيوني: المضمر، ترجمة ريتا خاطر، مراجعة جوزيف شريم، المنظمة العربية للترجمة مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى بيروت، كانون الأول (ديسمبر)2008، ص76.

[4]أبو بكر العزاوي : "اللغة والحجاج". العمدة في الطبع.الطبعة الأولى.الدار البيضاء .المغرب.ص16.



- أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة.

إذا نظرنا في الجملة السابقة سنجد أ ا تتكون من حجة ونتيجة، والحجة يتم تقديمها لتؤدي إلى نتيجة معينة. التعب يستدعي الراحة، فالتعب دليل وحجة على أنّ الشخص المعني بالأمر بحاجة إلى أن يرتاح.

إنّ الحجة عبارة عن عنصر دلالي يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، والحجة قد ترد في هذا الإطار على شكل قول أو فقرة أو نص أو قد تكون مشهدا طبيعيا أو سلوكا غير لفظي إلى غير ذلك.

وقد تكون الحجة ظاهرة كما تكون مضمرة بحسب السياق، والشيء نفسه بالنسبة إلى النتيجة والرابط الحجاجي الذي يربط بينهما، ويمكن أن نبين ذلك ذه الأمثلة:

-" أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة"؛ حيث تم التصريح بالحجة والرابط والنتيجة في هذا الملفوظ.

- "أنا متعب، أنا بحاجة إلى الراحة"؛ وهنا أُضمر الرابط في هذا المثال .

-"أنا متعب"؛ حيث لم يصرح هنا إلا بالحجة وأضمرت النتيجة التي يتم استنتاجها من السياق.

- "أنا بحاجة إلى الراحة"؛ وفي هذا المثال ذُكرت النتيجة وأضمرت الحجة.

يتميز الحجاج عن البرهان؛ لأنّ الأول استدلال طبيعي، أما الثاني فهو استدلال صوري؛ ف البرهان «الاستدلال الذي يعنى بترتب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالا ا»[1]، أما حد الحجاج فهو أنه«فعالية تداولية جدلية،

[1] طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى 1998ص226.

فهو تداولي لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي... وهو أيضا جدلي؛ لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة كأن تبنى الانتقالات فيه لا على صور القضايا وحدها كما هو شأن البرهان؛ بل على هذه الصور مجتمعة إلى مضامينها أيما اجتماع، وأن يطوى في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات، وأن يفهم المتكلم المخاطب معاني غير تلك التي نطق ا تعويلا على قدرة المخاطب على استحضارها إثباتا أو إنكارا كلما انتسب إلى مجال تداولي مشترك مع المخاطب»[1]. فمجال الحجاج أوسع من مجال البرهان؛ لأنّ الحجاج يركز على مضمون العبارة واستعمالها بين المتكلم والمتلقي مع مراعاة الشروط المقامية والفكرية والاجتماعية للمتخاطبين.

كما أن الحجاج يختلف عن البرهان؛ لأنّ الحجاج «يتوجه إلى الاعتقاد بالدرجة الأولى؛ أي كل ما هو متعلق بترتيب القيم، بدل ترتيب الحقائق نظرا لعلاقة القيم بما هو ممكن وما هو محبذ، فقوة الحجة هو ما يحدد الإقرار ا على عكس البرهان الذي يهتم بترتيب الحقيقة»[2]. وغالبا ما تحمل الأقوال الكلامية تضمينات وتلميحات ومعان خفية غير مباشرة، فتعرقل بذلك عمل القواعد المنطقية في البرهان، لذلك فإنّ حقيقة الاستدلال في الخطاب الطبيعي حجاجي وليس برهاني.

وأهم ما يميز الحجاج عن البرهان أنه«إذا كان البرهان أحادي الاتجاه وواقعا بالضرورة تحت حكم الصدق والكذب، فإنّ الحجاج متعدد الاتجاه واقع تحت نوع آخر من الحكم وهو الأقرب إلى الصدق»[3] فقيمة البرهان تتعلق بالصدق والكذب، أما تقويم التعابير الحجاجية فترتبط بالآخر الذي وضعت من أجله بغية إقناعه، وليست الغاية من الحجاج

[1] طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي،ط4 2010ص65.

[2] عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير ، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص125.

[3] حمادي صمود: أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، تونس كلية الآداب منوبة المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ص.135.



الحكم بالصدق أو الكذب ولا بالبرهنة القطعية الصارمة؛ بل هي الإفحام والإقناع والتأثير في المتلقي بغض النظر عن صحة الحجة وصدقها.

يحاول الخطاب الحجاجي أن يوفق بين إرضاء العقل وإرضاء الآخر،[1] انطلاقا من تسلسل يضبطه العقل بين التعابير الحجاجية المرتبطة بالموضوع المحدد، والتي تجعل المخاطب يقبل على الاستماع عن طريق إشراكه في الحديث بإثارة ردود أفعاله، مع الأخذ في الحسبان الطبيعة الداخلية للمخاطبين من انتظارات ومواقف زمانية ومكانية تغطي عملية التخاطب مع معرفة الأشياء التي يستوجب إبرازها، والأشياء التي يجب التلميح إليها، وتلك التي ينبغي معارضتها.

وإذا كانت نتائج البرهان تتصف باليقين، فإنّ الحجاج يخضع «لتراتبية هرمية تجعل أدلته تتراوح بين الضعف والقوة، فهو عكس البرهان يوصلنا أحيانا إلى أكثر من نتيجة، ولا ينغلق على نفسه لاحتمال إضافة دليل أو أدلة جديدة»[2]. فالنتيجة التي يتوخاها الخطاب الحجاجي تؤكدها الوقائع والحقائق أو المواقف والأخلاق، حيث يمكن تحقيق أهداف الحجاج من عملية حجاجية مباشرة أو عبر أهداف وسيطة: مثل يئة المناخ المناسب للفكرة أو الموقف أو السلوك أو خلق الرغبة في تقبل الفكرة الحجاجية المطروحة.

يتطلب الحجاج متخاطبين ويراعي المقام وشروط الخطاب؛ أما البرهان فلا يستهدف شخصا معينا ولا يهتم بأسباب إنشاء الخطاب وفهمه.[3] فالمحاجج يكون على وعي بأحوال مخاطبيه ومقاما م التي يهدف إلى إقناعها، فيراعي مستوى العقل؛ لأنّ«بناء الحجاج

[1] ينظر عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ص126.

[2] حسن بدوح: المحاورة مقاربة تداولية ، عالم الكتب الحديث المغرب، إربد، 2012 ط1، ص133.

[3] ينظر نفسه، ص133.

مرتبط أساسا بتنوع المعنيين به، فهم المقصودون بفحواه المطالبون بإنجاز محمولاته، المشاركون في صياغته وإخراجه»[1].

يتمثل الحجاج عند "**بيرلمان**"Perelman في مجموعة من التقنيات الخطابية الموجهة إلى إقناع المتلقي، وحتى وإن كانت يميز بين البرهنة والحجاج فإنه «يعتبر البرهنة شكلا من أشكال الحجاج، إلا أ ا تختلف عنه من حيث إ ا تركز على جانب واحد هو الجانب الصوري الاستنتاجي، فإذا كانت البرهنة يمكن أن تقدم على شكل حساب فإنّ الحجاج يهدف إلى الإقناع والتأثير والاتفاق، ولا يمكن تصوره إلا في إطار نفسي اجتماعي»[2]، حيث يمكن للمحاجج أن يستعمل البرهنة من أجل تحقيق الإقناع وتتجلى خاصة في الحجج شبه المنطقية.

كما نجد أنّ"**ميشال ماير**" Meyer يقابل بين المنطق والحجاج قائلا«إنّ المنطق لا يسمح بأي غموض، وليست أحادية المعنى التي تشكل قاعدته نتاجا لأوضاع واقعية مرتبطة باستعمال اللغة، ففي هذه الأوضاع لا نصرح بالمعلومات كلها، ولا بالقواعد التي تلزم معالجتها من خلالها إننا نترك للمخاطبين أي المستمعين، فرصة اتخاذ القرار بشأن المفاهيم المستعملة؛ بل وفرصة جعلها أحادية المعنى وهذا اللبس الخاص باللغة الطبيعية هو الذي كان وراء السمعة السيئة للحجاج، فإذا ما كانت ألفاظ رسالة ما ملتبسة فلا شيء يمنع من اللعب على تعددية المعنى هاته، والتلاعب بموافقة المستمع عن طريق الغموض والضبابية، غير أنّ هذا اللبس هو ما يشكل غنى اللغات الطبيعية، فبإعطائها الفرصة للسياق كي يمنح للمستمع وسائل الحسم باتجاه هذا المعنى أو ذاك ستتوافر اللغة الطبيعية على مرونة كبيرة شبه لا ائية،

[1] محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعصرة ، مجلة عالم الفكر، ا لمد28 العدد3، مارس 2000، ص64.

[2] أبو بكر العزاوي: حوار حول الحجاج ، ص30.

ذلك بالنظر إلى كل وضعية ممكنة للاستعمال»[1]، من هنا وجبت دراسة الحجاج بشكل مستقل عن المنطق، فهذه الدراسة هي التي تساعد على تحليل نصوص ذات طبيعة حجاجية قوية من خلال البحث في التقنيات البلاغية والمنطقية، وهذا لا يمنع من دراسة كل الخطابات مهما اختلفت درجات حجاجيتها.

كما ربط **ميشال ماير"** Meyer الحجاج بالمساءلة «فما الحجة عنده إلا جواب عن وجهة نظر يجاب ا عن سؤال مقدر، يستنتجه المتلقي ضمنيا من خلال الجواب»[2].

يذهب **جان ميشال آدم** J. M. Adam إلى اعتبار الوظيفة الحجاجية من وظائف اللغة مضافة إلى الوظائف الست التي اقترحها **رومان جاكوبسون** Jakobson Roman **(**1896-1982)، وأنّ مفهوم الحجاج؛ إما أنْ ينظر إليه على مستوى الخطاب، أو على مستوى التفاعل الاجتماعي، وإما أن ينظر إليه على مستوى التنظيم التداولي للنص.[3]

حاول **أبو بكر العزاوي** تبيين الفرق بين كل الحجاج والاستدلال والبرهان، فالحجاج «يرتبط بالخطاب، والبرهنة ترتبط بالمنطق أو الرياضيات... ولفظ الاستدلال هو المصطلح الأعم الذي يشملهما جميعا فكل حجاج استدلال، وليس كل استدلال حجاجا، وكل برهنة أو استنباط أو قياس تعتبر استدلالا والعكس غير صحيح»[4].

---

[1]Meyer M.: Logique, Langage et Argumentation, Paris, Hachette,1982, P.113.

[2] عبد الله صولة : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ص41.

[3] ينظر محمود طلحة : تداولية الخطاب السردي ، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، تقديم د مسعود صحراوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن ط1، 2012، ص103-104.

[4] أبو بكر العزاوي: حوار حول الحجاج ص28.

والكثير من الأفعال الكلامية حسب **- ديكرو-** Ducrot لها وظيفة حجاجية عندما ـدف إلى توجيه المتلقي إما بفعل شيء أو بتركه لهذا يطلق عليه الحجاج داخل اللغة.[1]

أسس **ديكرو**Ducrot نظرية حجاجية تداولية تدرس الوسائل اللغوية التي يمتلكها المعلم ليقنع مخاطبه حيث يكون الحجاج بتقديم المتكلم قولا (ق1) أو (مجموعة أقوال يقضي إلى التسليم بفعل آخر (ق2) أو (مجموعة أقوال)[2].

فيكون القول الأول حجة للقول الثاني، وقد تكون الحجة مصرحا ا أو ضمنية مفهومة من القول.

يرى **ديكرو**"Ducrot" أنّ الوظيفة الحجاجية تتوافر على خصائص في بنية اللغة ذا ا، فالقيمة الحجاجية لقول ما ليست مجموعة المعلومات التي يقدمها فقط؛بل«إنّ الجملة بإمكا ا أن تشتمل على مورفيمات وتعابير أو صيغ، والتي بالإضافة إلى محتواها الإخباري تصلح لإعطاء توجيه المتلقي في هذا الاتجاه أوذاك»[3]. ومن هنا يكون الحجاج التداولي أوسع وأرحب مجالا كونه يدرس كل الأفعال الكلامية التي يتلفظ ا المتكلم إلى مخاطبه، وتربط بظروف مقاله، والتي من شأ ا إفادة المستمع وإقناعه، وتظهر الحجة من خلال أدوات لسانية خاصة، والتي تفرض نتيجة معينة على المخاطب.

وإذا كانت نتيجة البرهان حتمية فإنّ الحجاج اللغوي ليس حتميا؛ بل تكثر متانته وتشتد قوته مع حضور حجج قوية، ومع ذلك فإنه لا يؤدي إلى الحقيقة المطلقة؛ فالحجاج

[1]Voir Ducrot Osswald : Les Echelles argumentatives, Edition de Minuit, Paris, P.12.
[2] :voir J. c. Ancombre et Ducrot : L’argumentation dans la langue, philosophie et langage troisième édition, MARDAGA , P.08.
[3] Ducrot Osswald : Les Echelles argumentatives : P.18.

«اطراد جملي وتعبيري تتخلله حجج قولية أو سلوكيات غير كلامية هدفه إيصال فكرة معينة وإقناع الطرف المتحاور معه ا»[1].

وللتمييز بين الحجاج والاستدلال والبرهان واستنادا على ما سبق ذكره نستنتج ما يلي:

- أنّ الاستدلال مصطلح أعم يشمل كلا من البرهان والحجاج، وكل حجاج استدلال ليس كل استدلال حجاجا، وكل برهان استدلال والعكس غير صحيح.

- الحجاج استدلال طبيعي أما البرهان فهو استدلال صوري.

- الحجاج أوسع من البرهان فهو يتطلب متخاطبين ويراعي المقام وشروط الخطاب، أما البرهان فلا يستهدف شخصا معينا ولا يهتم بأسباب إنشاء الخطاب وفهمه.

- يقوم الحجاج على ترتيب القيم مرتكزا على ما هو ممكن ومحبذ والحكم فيه قائم على الأقرب إلى الصدق، بينما البرهان فإنه يقوم على قواعد منطقية وترتيب الحقائق والحكم فيه يستند على الصدق أو الكذب.

- نتائج البرهان حتمية يقينية أما نتائج الحجاج فهي غير حتمية؛ بل تخضع إلى تراتبية هرمية وأدلة الحجاج تتراوح بين القوة والضعف.

يتضح مما سبق أنّ الحجاج في الدراسات الحديثة على ضربين «الأول ضيق ا ال لا يبرح حدود المنطق، مرادف للبرهنة والاستدلال، يعنى بتتبع الجانب الاستدلالي في المحاجة، والثاني واسع ا ال ينعقد في الخطاب الصريح أو الضمني وفي تقنياته اللغوية الباعثة على

---

[1] أيوب المزين المغرب -t? html4285http://www.aklaam.net/forum/erchive/index.php

إقناع المخاطب بما ينقل إليه»[1] ، والمعنى الثاني هو الذي سيعتمده البحث؛ لأنّ معنى الحجاج فيه مستقل عن البرهان؛ ولأنّ الحجاج يشمل مفهوم الاستدلال في بعده التفاعلي بواسطة اللغة.

وكما سبق الإشارة إلى رأي **ديكرو** بأنّ كل قول مهما كانت الغاية منه قولا حجاجيا، فهذا من شأنه أن يجعل الحجاج مفهوما واسعا جدا، لكن اللغة ليست ذات طاقة حجاجية في ذا ا، فمن أنماط الإبداع ما ليس حجاجيا ولا يراد به الإقناع، فما هي المعطيات التي تجعل الخطاب الشعري خطابا حجاجيا؟ ولذلك سيسعى الفصل الأول إلى البحث في هذا الإشكال بعد تقديم المدونة المراد التطبيق عليها.

[1] أحمد اتزكنرمت: الحجاج في المناظرة مقاربة حجاجية لمناظرة أبي سعيد السيرافي لمتى بن يونس، ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي دراسات في البلاغة الجديدة إشراف حافظ إسماعيلي علوي، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع ط1 ، 2011، ص149.



الفصل الأول





الفصل الأول

الحجاج وشعر الحكمة الجزائري الحديث

توطئة:

أولا: مقومات الحجاج ومسلماته.

1-1 مقومات الحجاج.

1-2 مسلمات الحجاج.

ثانيا- الوظيفة الحجاجية للشعر.

ثالثا: الحجاج بين الجدل والخطابة والشعر.

1- الحجاج بين الجدل والخطابة.

2- الحجاج والشعر.

3- الشعر بين التخييل والإقناع.

رابعا: خصائص الشعر الجزائري الحديث وأهم مضامينه واتجاهاته:

1- مفهوم الشعر الحديث.

2- مضامين الشعر الجزائري الحديث وخصائصه.

3- أغراض الشعر الجزائري واتجاهاته.

4- مفهوم الحكمة وتطورها.

5- الحجاج في شعر الحكمة الجزائري.

خامسا: الحجاج في شعر الحكمة بين الإقناع والاقتناع.





يقول محمد العيد آل خليفة :[1]

وما الشعر إلا محنةٌ طَيّ محنة   لذا قل من بالشعر فينا تمتعا

"الشعر الجزائري أصدر حكمه وفق رؤاه محرضا الآخرين على قبول هذا الحكم مقتنعا بعدالته؛ فهو يترك شهادته حيث هي دون تنميق ويطبعها على لوح الحفريات القادمة التي ستعيـ ـد مرة أخرى قراءة أسطورة الشاعر، أسطورة وجوه لفحتها نيران الحرب، وطبع عليها الحصار طبعته، فهي لا تحتاج لأقنـ ـعة يلبسها النص"[2].



[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ص189.

[2] عبد الكاظم العبودي: أم المعارك في ديوان الشعر الجزائري، دار الهدى ، عين مليلة، الجزائر ص"أ".



الفصل الأول: الحجاج وشعر الحكمة الجزائري الحديث.

توطئة:

تم بحوث الحجاج بتقنيات إجراء اللغة وآليا ا وبدراسة القيم والحقائق والأساليب الموظفة توظيفا حجاجيا؛ والتي تسهم في إقناع المتلقي والتأثير عليه، عن طريق تنويع الخطاب ومراعاة مقامه. ولم ينحصر الاهتمام بالحجاج في اللسانيات التداولية فحسب؛ بل تناولته ميادين معرفية أخرى؛ كالمنطق والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس، بيد أننا نركز في دراستنا على الطرح التداولي؛ باعتبار الحجاج من أبرز المفاهيم التداولية وأهمها.

يركّز البحث التداولي على العناصر التواصلية دف الوصول إلى مقاصد المتخاطبين؛ إنه يبحث في «كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو دراسة معنى المتكلم»[1]؛ حيث تسعى التداولية إلى دراسة الاستعمال اللغوي في الاتصال اللساني وفق معطيات سياقية واجتماعية معينة، هذه العناصر يمكن إجمالها في ما يلي: المتكلم، المتلقي، الزمان، المكان، السياق.

ومن أهم سمات الخطاب عموما أنه يقتضي باثا (المتكلم) ومتلقيا؛ حيث يعرض المتكلم فكرته وهي تشكل محتوى الخطاب وغايته، ويحاول توضيحها دف إقناع المتلقي.

وبالنسبة إلى زمان الخطاب الشعري الجزائري ومكانه، فإنّ الفترة الزمنية التي رافقت الشعر الجزائري الحديث -في معظمه- هي فترة الاستعمار الفرنسي، فترة عانى فيها الشعب من الجهل والفقر والاستعباد والظلم والذل، حينها كان الجزائري يتساءل عن الحياة الفاضلة، عن القانون والعدل، عن الحرية والسعادة، فالحكمة في الشعر-والتي كانت بسيطة مباشرة حينا وتلميحية مضمرة حينا آخر - أسهمت في إصلاح ا تمع؛ حيث يحاول الشاعر بقصائده التأثير في سامعه وإقناعه ودفعه إلى التغيير، بجميع وسائل الإقناع المتاحة له، فكان

[1] محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية 2002، ص12.

يرشد المتلقي مثلا إلى ضرورة العلم والتعلم وسبيله بناء المدارس، كما يدفع المتلقي إلى القضاء على الفقر عن طريق التعاون ومساعدة المحتاجين، والجهاد من أجل تحقيق الاستقلال، كما يدفعه إلى أخذ الدروس والعبر من التجارب السابقة والاتحاد ونبذ التفرق، كما ارتبط الفعل في الخطاب الشعري بالزمن الحاضر المرتبط بما قبل ثورة التحرير، والنظر إلى المستقبل برؤية تفاؤلية.

وتحديد السياق يمكن استخراج متضمنات القول؛ لأنّ التداولية تدرس«الطريقة التي يستخرج ا المخاطب مقترحات ضمنية من خلال ما يقال له في سياق مفرد، وخاصة عندما تكون العبارة مخصصة لإطلاق استدلال ما...»[1]؛ حيث يمكن تحديد قصد المتكلم ضمن السياق الذي يتحدث فيه، وبالنسبة إلى السياق في الخطاب الشعري، فلكل قصيدة سياقها الخاص ومقام معين قيلت فيه.

وردت الحكمة في الشعر الجزائري في شكل بيت أو عدة أبيات متتابعة، وإما أن تكون شطرا واحدا صدرا أو عجزا، وإذا كانت المناسبة تستدعي إمعانا في النظر واستجلاء العبر، فإنّ الشعر في غرض الحكمة يتسم بمسحة من الوعظ والإرشاد.

إن البحث في هذه العناصر -"المتكلم، المخاطب، الزمان، المكان،السياق"- يساعد على فهم مقصدية الشاعر وتحليل الأبعاد الحجاجية وقيمتها الإنجازية.

أولا: مقومات الحجاج ومسلماته:

ونحن بصدد تبيين إمكانية الحديث عن الحجاج في الشعر، حري بنا في البداية أن نتطرق إلى مقومات الحجاج ومسلماته التي ينطلق منها المتكلم؛ حتى نبحث عن توافقها مع الخطاب الشعري أو عدمه.

---

[1] Dominique Maingueneau : Aborder la linguistique, Edition du Seuil collection Mémo, Paris, P.29.



تدرس نظرية الحجاج القيم والحقائق والافتراضات والأساليب الموظفة توظيفا حجاجيا، ويهدف الخطاب الحجاجي إلى الإقناع بوجهة نظر أو في طريقة تناول الأشياء؛ بل قد يحمله على الإذعان، ويدفعه إلى العمل، ويوضع الخطاب على شكل مخصوص مترابط الأفكار ومتناغما بقصد معلن مع وعي المتكلم بما يقوله وفق تقنيات خاصة مضبوطة.

1- مقومات الحجاج:

يهدف الحجاج بالضرورة إلى استمالة المتلقي لكونه طرفا مهما في العملية الحجاجية، لذلك يتوجب على المتكلم سواء أكان خطيبا أم كاتبا العناية بالمتلقي، وبخاصة أفكاره ومشاعره وكذا أحواله، يقول **بيرلمان** Perelman «بما أنّ الغاية من الحجاج هي إثارة مستمع ما واستمالته نحو الأطروحات المراد تزكيتها أو زيادة التزكية، وليس استنباط النتائج من بعض المقومات، فإ ا لا تدور في فراغ، إ ا تقتضي تماسا فكريا بين الخطيب والمستمع ، ينبغي للخطاب أن يكون مسموعا ولكتاب ما أن يكون مقروءاً، إذ بدون هذا يغدو تأثيرها صفرا»[1]، من هنا وجب على الخطاب أن يكون واضحا حتى تتحقق الغاية من الحجاج وهي الإقناع.

كما يعتمد الحجاج على حضور شخصية المتكلم والمتلقي الذي من أجله تقوم المحاججة والإقناع، والذي يتعدد بحسب المقام، ويتم تحديده بمجموع أولئك الذين يريد المحاجج التأثير فيهم بمجموع الصفات الجوهرية.[2]

ويتغير الحجاج تبعا لتعدد المتلقي والمقامات والظروف «والحجاج عرضة للتغيير والتحوير في بنائه واتساقه التي يقوم عليها، وذلك تبعا لتغير المقام وتغير ظروف المحاجج، حتى وإن ظل النقاش هو ذاته»[1].

---

[1]Ch. Perelman : le champ de l'argumentation p23. نقلا عن بوزناشة نور الدين: الحجاج في الدرس اللغوي الغربي (مقال) مجلة علوم إنسانية Issue 44, Year 7th , Jan. – السنة السابعة: العدد 44 : شتاء2010 WWW.ULUM.NL

[2] ينظر، محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، دار الأمان، الرباط، ط1،1426ه-2005، ص368.

يمكن للمتكلم أن يختار مستمعه، ولكن هذا الاختيار لا يمكنه أن يمنع أيا كان من الاستماع إليه، كما لا يستطيع أن يفرض على مخاطبه تلقي الرسالة، والتي بدورها لا تصل إليه في بعض الحالات، وأحيانا أخرى يتلقى رسالة لم يبعثها المتكلم إليه، وبالنسبة للخطاب فقد يتسع ا ال التأويلي فيها لتخرج عن مقصد المتكلم، أو تتعارض معه، فيطالها التغيير والتبديل بالحذف والزيادة.[2]

ويتوجب على المتكلم معرفة المتلقي متى رام تحقيق الاقتناع والتأثير، لكون المتلقي فاعلا نشيطا لا يستقر على حال «والمتكلم (خطيبا، أو كاتبا) لا يستطيع تخيل هذا المخاطب ما لم يكن على دراية عميقة بأحوال المخاطبين الراهنة، وبموروثهم الثقافي والحضاري و ـموم مستقبلهم»[3]. لذلك كان التركيز على المتلقي ودراسة أحواله من أهم مقومات الحجاج؛ لأنه هو المعني بالعملية الإقناعية.

والمتكلم في الخطاب الشعري – الشعر الجزائري الحديث- هو الشاعر صاحب القصيدة، يهدف إلى تحقيق مجموعة من الأغراض ذات أبعاد أخلاقية؛ أهمها التأثير في المتلقي وإقناعه بوجهة نظره.

وأما المتلقي (القارئ أو المتلقي الكوني) فإما أن يكون حاضرا أثناء الخطاب حين تلقى القصيدة على مسامعه من طرف الشاعر الجزائري في المحافل والمهرجانات والمناسبات، أو يتلقاها عن طريق قراء ا في ا لات والجرائد التي كانت تنشر فيها آنذاك في أرجاء الوطن أهمها؛ جريدة البصائر والمنتقد، والشهاب، أو في ديوان الشاعر، وكذلك الدراسات والأبحاث التي جمعت أعمال الشعراء.

---

[1] محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة،، مجلة عالم الفكر: الكويت، ا لد 28 العدد3، يناير مارس 2000، ص61.

[2] ينظر محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص371.

[3] محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، ص69.

2- مسلمات الحجاج:

يحرص المتكلم أن يكون خطابه مؤثرا، وملائما حتى ينال التسليم والقبول من قبل المتلقي، فيتخذ منطلقا حجاجيا يبني عليه خطابه، فيعتمد على المسلمات التي تحظى بالقبول، وغيا ا قد يؤدي إلى نتائج عكسية، إذ«إنّ ذلك الذي يتجاهل في حجاجه قبول المستمع لمسلمات خطابه يقترف خطأً كبيراً وهو المصادرة على المطلوب»[1]؛ حيث تشكل المقدمات الحجاجية أو المسلمات نقطة الانطلاق التي يعتمد عليها المحاجج في حجاجه؛ بحيث تعد الوقائع والافتراضات والقيم والمراتب أو هرمية القيم والمواضع مسلمات يبني عليها المتكلم حجاجه:

2-1 **الوقائع**: Les faits

تمثّل الوقائع ما هو مشترك بين الناس إ ا حقائق لا تقبل الشك، فيتم التسليم ا مباشرة دون انتقادها، و«تنقسم الوقائع إلى وقائع مشاهدة معاينة من ناحية، ووقائع مفترضة faits supposés من ناحية أخرى، وهذان النوعان من الوقائع قد يفقدان لسبب أو لآخر طابعهما كـ"وقائع"، بمعنى حقائق. ولكن من حيث هما وقائع، فإ ما يكونان متطابقين مع بنى الوقائع التي يسلم ا الجمهور»[2]. فالمتلقي يسلم بالواقع لكونه يفرض نفسه على الجميع، كما أن الحقائق تكون إما نظريات علمية أو مفاهيم دينية تمثل سلطة معينة على الفرد.

2-2 **الافتراضات:**Les présomptions

إنّ درجة التسليم بالافتراضات لا تكون قوية؛ لأ ا«تحدد بالقياس إلى العادي le normal أو المحتمل le vraisemblable، لكن هذا العادي وهذا المحتمل يتغيران بتغير

[1] Ch. Perelman : le champ de l’argumentation p23. نقلا عن بوزناشة نور الدين: الحجاج في الدرس اللغوي الغربي (مقال) مجلة علوم إنسانية Issue 44, Year 7th , Jan. - السنةالسابعة: العدد 44 : 2010شتاء WWW.ULUM.NL

[2] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر،تونس ط1، 2011، ص24.

الحالات»[1]، بمعنى أنّ الافتراضات هي احتمالات توفر للمتكلم مبررات كافية لدعم اعتقاد معقول، رغم كو ا غير أكيدة؛ إذ أ ا ترتبط بما يحدث عادةً، وهذا يعتبر أمرا معقولا يمكن الاعتداد به، لذلك تركز على الافتراض المسبق.

2-3 **القيم**Les valeurs:

يقوم الحجاج بكل ضروبه على القيم، والتي حتى وإن خلت من الاستدلالات العلمية؛ فإ ا «تمثل بالنسبة إلى مجالات القانون والسياسة والفلسفة غذاءً أساسيا، فهي التي يعول عليها في جعل السامع يذعن لما يطرح عليه من آراء»[2]. وقد تكون القيم محسوسة مثل القيم الوطنية، كما قد تكون مجردة من قبيل العدل والحق والمساواة. والشاعر يستثمر هذه القيم في حجاجه كمسلمات ثابتة، فهو«يعتمد قيما ينتقيها بدقة بحيث تلائم أهدافه الحجاجية وغايات خطابه المنشودة، فترى المتكلم يرفض فكرة ما بحجة أ ا تعارض قيما معينة ويدعو إلى موقف ما باسم قيمة محددة ، وينعي على الخصم سلوكا ما؛ لأنه يتنافى مع قيمة واحدة أو مجموعة قيم»[3]. وليس ضروريا أن تظهر القيم في حجة ما على نحو ما مباشر، فتفضيل أمر ما على سواه يقتضي اختيارا لقيمة ما دون أن يكون المخاطب مضطرا لإظهار هذه القيمة.[4]

2-4 **الهرميات** Les Hiérarchies

تخضع الحجج إلى مراتب متدرجة وهرمية، «فالقيم وإن كانت تسلم ا جماهير عدة فإنّ درجة تسليمها ا تكون مختلفة من جمهور إلى آخر. وهو ما يعني أنّ القيم درجات، وليست كلها في مرتبة واحدة. إنّ ما يميز كل جمهور ليس القيم التي يسلم ا بقدر ما تميزه

---

[1] نفسه، ص25.

[2] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص26.

[3] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنياته وأساليبه عالم الكتب الحديث الأردن،ط1، 2008 ص242.

[4] ينظر محمد طروس : النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2005م، ص76.

طريقة ترتيبه إياها»[1]. فالمتكلم يبني حجاجه منطلقا من قيم هرمية تخضع لتراتبية معينة حسب الأفضلية والأعلى درجة؛ فالجميل درجات والنافع درجات.

5-2 **المواضع**: les lieux

تعد هذه المسلمات أعم من القيم وهرميتها؛ لأ ا حجج توظف المشترك العام، وهي تشكل شكلا من العلاقة «بين المنطق والواقع، تؤسس بفضل الصلة بين القضية العامة والقضايا المشتركة»[2]، وتسمى المواضع «المعاني Topos :Les lieux ومنها اشتقت كلمة Topiques وهي الاستدلالات ا عولة للاستدلال الجدلي...كما أنّ المواضع تحدد خصائص الأمم والجماعات الفكرية والأدبية وغير ذلك. ومن الأمثلة على ذلك أنّ أفضلية ما هو ثابت وباق Durable موضع كلاسيكي تقابله أفضلية الأقل والزائل وهو موضع رومنطيقي»[3]، ومن أمثلة المواضع: ما هو أبقى أفضل مما هو أقل بقاء، والكل خير من الجزء.. وهي مواضع تركز على الكم، هناك مواضع تركز على الكيف مثل الحق واحد مهما كثر خصومه، ومواضع الموجود التي تقول بفضل الموجود على المحتمل.

وكل موضع له موضع آخر يقابله بالتضاد مثل موضع القليل الدائم أحسن من القليل المنقطع، يقابله موضع الكثير أحسن من القليل؛ لذلك فالمواضع «لا قيمة لها في ذا ا بقدر ما تكمن قيمتها في ما تؤديه من وظائف في الخطاب، فهي بمثابة الأوتاد التي تشد الملفوظ إلى مرجعية لها سلطة دامغة تجعل من المتقبل يذعن ويسلم بما في الخطاب وعليه اعتبر **بيرلمان** Perelman المواضع بمثابة الخانات أو الأقسام Les rubriques التي تقع تحتها الحجج التي يلجأ إليها المتكلم كلما أراد التشريع لمطلبه من الخطاب لما فيها من صبغة

[1] عبد الله صولة : في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، ص26.

[2] سامية الدريدي : الحجاج فس الشعر العربي القديم، ص288.

[3] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص27.

استدلالية»[1]، ومن ثمة تكون أقرب مسلكا للإقناع، فهي السبيل الذي يتوخاه المتكلم ليضمن قبول المتلقين.

ثانيا: الوظيفة الحجاجية للشعر:

يرى **ديكرو** Ducrot و**أنسكومبر** Anscomber أنّ الحجاج أساس كل دلالة؛ فهو في نظرهما«لم يعد نشاطا لسانيا من بين أنشطة أخرى، ولكنه أساس المعنى نفسه، وأساس تأويله في الخطاب»[2]، ولهذا السبب كانت الوظيفة الإخبارية للغة درجة ثانية بالمقارنة مع الوظيفة الحجاجية «فالزعم بوصف الحقيقة قد لا يكون إذن إلا قناعا لزعم أكثر جوهرية بممارسة ضغط على آراء الآخر»[3]، فقيمة الإخبار ثانوية بالنظر إلى قيمة الحجاج، والإخبار ما هو إلا وسيلة من أجل التأثير على الغير.

ناقش **فيليب بروتون** Philippe Breton فكرة أنّ الحجاج كامن في اللغة، فرأى أ ا فكرة صحيحة بطريقة معينة ما دام الإنسان يتجه بلغته إلى الآخرين ولكن «ينبغي أن نمنح هذا اللفظ معنى أكثر دقة، وأن نصطنع بالتأكيد حدودا للتمييز، من وجهة نظر التواصل ومقصديته، وبين الأفعال الإنسانية التي دف إلى مشاطرة الرأي مع الآخر، وبين الأفعال التي لا غاية لها سوى الإخبار، أو الإغراء... أو تلك التي لا تقول شيئا»[4]، فقد يقصد من اللغة الإخبار فقط أو الوصف ولا يقصد ا الإقناع.

ولا يكون الإقناع بالضغط على المخاطب لضمان التأثير عليه؛ بل لابد من البرهنة والاستدلال على ما نقول حتى يصبح الحجاج وسيلة لتقاسم الرأي مع الآخر بعيدا عن

---

[1] عز الدين الناجح : العامل الحجاجي والموضع، ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي دراسات في البلاغة الجديدة، إشراف حافظ إسماعيلي علوي ،دار ورد الأردنية ، الطبعة الأولى 2011، ص97.

[2] J. C. Anscombre et Ducrot : l'argumentation dans la langue, philosophie et langage, troisième édition, MARDAGA, P.08.

[3] صابر حباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، الإصدار الأول، دمشق2008، ص18.

[4] فيليب بروطون : الحجاج في التواصل ترجمة محمد مشبال ، عبد الواحد التهامي العلمي ، إشراف كاميليا صبحي، المركز القومي للترجمة ط1، ص58.

ممارسة العنف والتضليل[1]، فالإقناع يعتبر الوظيفة الأولى والأساسية للغة، ويكون عن طريق كسب رضا مخاطبه ليقتنع برأيه وبحججه.

تتعدى وظيفة الشعر إلى جانب الوظيفة الشعرية الجمالية إلى وظائف أخرى؛ مثل الوظيفة الانفعالية والوظيفة التوجيهية والحجاجية والإقناعية مثل «حث المتلقي على القيم الفاضلة ومكارم الأخلاق وردعه عن المعايب والنقائص وعموم الفواحش، فيؤدي الشعر على هذا النحو إلى تركيز منظومة القيم وتثبيت نظام الأخلاق»[2]. ومن هنا تكون استمالة المتلقي وإقناعه بالمضمون المعرفي والأخلاقي الذي يحمله النص الشعري، فينساق المتلقي للقيام بالفعل وإنجازه بمحض إرادته وباختياره، لما يحمله الشعر من حكم مقنعة وإيقاع وبنيات بلاغية تراعي أحوال المتلقي لتوفر بذلك شروط القبول وتضمن حصول التأثير المطلوب.

من هنا فإنّ الوظيفة الحجاجية الإقناعية في الشعر أشمل وأعم، لكن بعض الباحثين يرون أنّ الحجاج والشعر يتعارضان، ومن بين هؤلاء الباحثين نجد **جورج فينو** G.Vigneaux **وتولمين** Toulmin.

نحاول في هذه الدراسة دحض هذه الأطروحة وإثبات أن الشعر يمكن أن يكون حجاجيا، وبالتالي يحقق البحث مشروعيته، فيكون المبحث الموالي في هذا الفصل الحجاج بين الجدل والخطابة والشعر، ثم الحديث عن الحجاج في شعر الحكمة، فهل يتسع شعر الحكمة الجزائري للوظيفتين التخييلية والتداولية؟ وإن كان الشعر حجاجيا فهل حجاجيته إقناعية أم اقتناعية؟

---

[1]Voir, Philipe Bretou : l’argumentation dans la communication, Alger, casbah,1998, P.04.

[2] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص68-69.

ثالثا: الحجاج بين الجدل والخطابة والشعر:

ميز القدامى بين الجدل والخطابة والشعر «فجعلوا الجدل ركيزة الرياضة ومناظرة الجمهور والعلوم النظرية... والخطابة تنطلق كنص إقناعي من مقدمات تقضي إلى نتائج، وتبنى أحيانا كثيرة على القياس لإبطال وضع أو حفظه، أما الشعر فينبني على التخييل الذي لا يستدعي الفكر والروية... بل يعول على الإثارة دون تفكير للحث أو الردع»[1]، فالشعر يؤثر في المتلقي ويتمكن من تحريك انفعاله من خلال التخييل؛ لأنه «عملية إيقاع المعاني في نفوس المتلقين الأمر الذي يكون التخييل في الشعرية من خلاله نظيرا للتصديق، والجدل في الخطابة، على أنّ التصديق أمر راجع إلى مطابقة الكلام للواقع، بينما التخييل في الشعرية راجع إلى ما في الكلام نفسه من تشكيل أو هيئة تحدث الانفعال»[2].

فكان الفرق بين الشعر والجدل أنّ الأول جوهره العاطفة، والثاني أساسه المنطق والتجريد، فكان نتاج ذلك أن ربط الجدل بالخطابة، والشعر بالخيال، وكان الشعر«إنْ أثّر في النفوس فبمخاطبته العاطفة وحدها؛ ليذعن المتلقي دون روية أو فكر، ولا مجال فيه للجدل»[3]، ولكن إن كان للشاعر هذه السلطة على نفوس متلقيه وقادرا على التأثير والفعل؛ فهذا الأمر في حد ذاته حجاج.

1- الحجاج بين الجدل والخطابة:

حد الجدل حسب "**ابن منظور**": مقابلة الحُجة بالحُجة. الجَدلُ: اللَدد في الخصومة والقدرة عليها. وقد جادلَه مجادلَة وجِدالا. ورجل جدلٌ: شديد الجَدلِ. جادلْت الرجل فجدلْته: أي غلبته. والجَدلُ: شدة الخصومة. وفي الحديث: "**ما أُوتي الجدلَ قومٌ إلا ضلوا**".

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم ، 54.

[2] رحمان خركان: مقومات عمود الشعر الأسلوبية، اتحاد كتاب العرب، دمشق 2004. الموقع الالكتروني: http:///www.awu.dam.org

[3] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم ص81.

والجَدلُ: مقابلة الحُجة بالحُجة. والمُجادلَة: المُخاصمة والمناظرة[1]، وحسب رأي "**ابن منظور**" يكون الحجاج مرادفا للجدل والخصام؛ لكونه تقابلا بين الحجة والحجة.

ويقصد بالجدل: «إقامة الحجة فيما اختلف فيه المتجادلين... ويدخل في الشعر والنثر»[2]، فالجدل هو الخصومة وهو«القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان»[3] . فالجدل عبارة عن مناظرة مع الخصم تبدأ بسؤال ا امي، يقصد ا ادل بذلك إفحام خصمه.

ويعتمد المتكلم في جدله لإقناع خصمه على مقدمات مقبولة، وإلزامه الحجة «وحق الجدل أنْ تبنى مقدماته مما يوافق الخصم عليه، وإن لم يكن في اية الظهور للعقل»[4].

وفي الصدد نفسه يرى **ابن خلدون**(ت808هـ) أنّ الجدل «معرفة آداب المناظرة التي تجري بين المذاهب الفقهية وغيرهم؛ فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقول متسعا، وكل واحد من المتناظرين في الاسترسال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأً، فاحتاج الأئمة أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند حدودها»[5]، فمن معاني الجدل الخصومة، وله أحكام يقف ا ادل عند حدودها في قبول الاستدلال والحجج أو دحضها.

والحجاج لا ينفصل عن الجدل«لأنّ الدفاع عن أطروحة أو نتيجة، يقابله دفاع عن أطروحات أو نتائج أخرى؛ لأنّ الدخول في الجدل لا يعني عدم الاتفاق فقط، وإنما يعني أيضا أنّ ا ادل يملك حججا مضادة»[6] ، ومن هنا تتضح علاقة الحجاج بالجدل. فالحجاج أوسع من الجدل.

---

[1] لسان العرب " دار صادر . بيروت. ا لد الرابع مادة (ج د ل) .ص38.

[2] قدامة بن جعفر: نقد النثر ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1422 ه ـ1982- ص117.

[3] الشريف الجرجاني: التعريفات، ص55.

[4] قدامة بن جعفر: نقد النثر ، ص119.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، 1413هـ1993م ، ط1ص362.

[6] محمد طروس:النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ص108.

في حين نجد **أرسطو** يعرف الخطابة بأنها «الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان»[1]، وهذا التحديد يجعل الخطابة مرادفة للجدل، كما لـمح **أرسطو** إلى أنّ الجدل والخطابة متلازمان حين قال:«إن الخطابة فرع من الجدل، وأيضا فرع من علم الأخلاق يمكن أن يدعى بحق علم السياسة»[2].

يرى "**بيرلمان** Perelman" و**تيتكا**"Tyteca" أنّ الحجاج أقرب إلى الخطابة منها إلى الجدل فـ«حد الجدل أنه القياس المؤلف من مقدمات مشهورة بين الناس لا يختلفون فيها كقولنا: العدل حسن والظلم قبيح، ومن أسباب الاختلاف بين الجدل والخطابة؛ أنّ الجدل مداره على النظر المحض، في حين أنّ الخطابة همها الأساسي العمل الذي يمارسه الخطاب على الجمهور، ومن أسباب ذلك أيضا أنّ الجدل في نظر المؤلفين يتعلق بالآراء في عدم خصوصيتها فهي آراء غير شخصية، في حين أنّ الخطابة مخصوصة دائما، إذ لا خطابة بدون مقام معين وجمهور معين يعمل الخطاب على إقناعه»[3].

وهذا يعني أنّ الجدل ينطلق مما هو متفق عليه بين الناس أو من مسلمات، بينما الخطابة تتطلب مقاما وجمهورا معينين، وتطرح الفكرة القابلة للنقاش التي تحمل أبعادا ذهنية تجريدية وأخرى عقلية وأخرى حسية لدفع الجمهور إلى العمل والإنجاز، وهذه الأمور التي تتطلبها الخطابة هي نفسها تلك التي يتطلبها الحجاج، من هنا كان الحجاج أقرب إلى الخطابة منه إلى الجدل.

وكان **أرسطو** قد أقام مقارنة بين الحجاج الجدلي والحجاج الخطابي، «فاعتبر مجال الأول فكري خالص، وعادة ما يكون بين شخصين يحاول كل منهما إقناع صاحبه بوجهة

[1] أرسطو : الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان 1979 ، ص29.
[2] نفسه، ص30.
[3] عبد الله صولة : الحجاج وأطره ومنطلقاته ضمن كتاب حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص306.

نظر معينة، ومجال الثاني توجيه الفعل وتثبيت الاعتقاد أو صنعه، فهو حجاج موجه للجماهير»[1].

ومن هنا فإنّ الحجاج في الشعر يمكن أن يكون منتميا للحجاج الخطابي الذي يوجه الجمهور ويقوده للاقتناع؛ لأنّ الشاعر يحرك النفوس ويستميلها ويشحذ الهمم لتتصف بالمعاني النبيلة السامية ومكارم الأخلاق خاصة في غرض الحكمة.

وهذا الأمر يجعل الحجاج القاسم المشترك بين الجدل والخطابة، لأنّ«الجدل والخطابة قوتان لإنتاج الحجج»[2]. فالمسلمات الجدلية والقياس والبراهين تعد بالنسبة للحجاج حججا وأدلّة يمكن للمتكلم أن يوظفها في حجاجه، لذلك فـ«الحجاج أوسع من الجدل وليس كل حجاج جدلاً»،[3] فالحجاج أشمل وأوسع من الجدل.

يجمع الحجاج بين التأثير النظري والتأثير السلوكي العملي؛ فهو يختلف عن الخطابة والجدل، إنه يأخذ «من الجدل التمشي والتأثر الذهني الذي يقود إلى التأثير في المتلقي وإذعانه، فمجاله العقل والإدراك؛ حيث يتوسل المسلمات لإلزام الخصم وإفحامه، والخطابة تتجلى في توجيه السلوك والإعداد له، والحض عليه»[4] ، وهذا يعني أنّ الحجاج يستمد من الجدل التأثير العقلي، ويأخذ من الخطابة تأثير في السلوك ودفع للعمل.

تت ل الخطابة «م لة وسطى بين صناعة الجدل وصناعة الشعر والتخييل»[5]، وإذا كانت الخطابة ترمي إلى إقناع المتلقين في الحال، فإنّ الشعر يروم به التأثير في الحاضر والغائب، فيستمر تأثيره في الأجيال، وتخلّد الأشعار بعد قائليها حقبا من الزمن، والخطابة والشعر وإن كانا يختلفان في الخصائص الأسلوبية إلا أ ما يلتقيان في المقصدية، وهي إيقاع والتصديق بمقتضى القول.

---

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم ص55.

[2] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص21.

[3] نفسه، ص17.

[4] سعيد فاهم: معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقا ا المختلفة، السور السبع الطوال أنموذجا دراسة دلالية معجمية ، ص25.

[5] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص18.

يرى "**بيرلمان**"Perelman **وتيتكا**"Tyteca أنه على الرغم من قرب الخطابة من الحجاج إلا أنه يختلف عنها من ناحيتين: أولها نوع الجمهور وثانيهما نوع الخطاب؛ فلئن كان جمهور الخطابة حاضرا يستمع إلى الخطيب، فإنّ جمهور الحجاج يمكن أن يكون حاضرا أو غائبا، كما يمكن أن يكون منشأ الحجاج بين شخصين اثنين متحاورين أو بين المرء ونفسه، أما من جهة نوع الخطاب فإنّ الخطاب الحجاجي يمكن أن يكون منطوقا، كما يمكن أن يكون مكتوبا[1].

ويركز **بيرلمان**Perelman **وتيتكا**"Tyteca على الأمثلة المكتوبة لما فيها من إعمال العقل، وتحليل الآليات الحجاجية والتقنيات التي يوظفها المبدع والتي تمنح خطابه النفاذية المطلوبة.

والحديث عن جمهور الخطابة والحجاج يقودنا إلى التساؤل عن كيفية حضور المتلقي في الخطاب الشعري (الإبداعي)، فحسب رأي **بيرلمان**Perelman **وتيتكا**"Tyteca أنّ حضور المتلقي هو حضور حقيقي غير مجازي، حيث أنّ «ما يقوم به مبدعو النصوص من تحويرات شكلية ومضمونية إرضاءً لميول مخاطبيهم الغائبين وقناعا م... فالصورة الحقيقية الفعالة والفاعلة لا يحققها إلا خطاب يكسر جمود الصور المألوفة، إنه الخطاب الذي يظل مفارقا وواقعيا في آن وجامعا بين الحقيقة وا از؛ لأنّ العاطفة لا يمكن أن تقاس بالعقل»[2]. فالخطاب الإبداعي يجمع بين الحقيقة وا از، ويحاول صاحبه إرضاء مخاطَبه الغائب الذي يستحضره ويحاوره.

يرى "**بيرلمان**"Perelman أنّ المحاجج المبدع على وعي بمدى كفاءة مخاطبيه الذين يشرِكُهم في الحجاج، فهو يجرد من نفسه أشخاصا يحملون سمات مخاطبيه فيحاورهم، مما يثري الحوار ويفتح آفاقه، فيدرس حجج مخاطبيه ومواقفهم بطريقة مقبولة ليمنح حجاجه

[1] ينظر عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية لحمادي صمود، ص306.307.

[2] محمد سالم ولد محمد الأمين: حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة ، المركز العالمي لدراسات أبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس 2004، ط1، ص19 .

المصداقية، فيلقى النجاح والقبول لدى المتلقين. وذلك أنّ «تكييف المخاطب le conditionnement de l'auditoire على الحرص والمهارة في تشكيل والإعداد على نمط مدروس ملائم للمقام، وهذا ما أدى بنظرية الحجاج إلى فتحها على الجوانب النفسية التي دورها إيصال الفرضيات، التهيئة للاقتناع ا، الدفع إلى تطبيقها عمليا»[1]. ومن هنا وجب على المتكلم مراعاة المقام وشروط الخطاب، ودراسة الجوانب النفسية للمتلقي من أجل يئته للاقتناع بوجهة نظره، ثم دفعه إلى الإنجاز.

2- الحجاج والشعر:

يرى **تولمين** Toulmin في كتابه استعمالات الحجاج" Les usage de l'argumentation" (1958) أنّ الشعر والحجاج يتعارضان؛ فحسب رأيه أنّ «الحجاج يقوم على الابتذال، أما الشعر فيصدر عن رؤية فردية[2]»؛ فتعارض الشعر والحجاج يعود إلى أنه ليس هناك حجاج فردي؛ أي أنّ«الشعر يقوم على الرؤية الفردية، أما الحجاج فهو لا يقوم على المعرفة المبتذلة والشائعة»[3]. غير أنّ الكثير من الباحثين حاولوا إثبات إمكانية حضور الحجاج في الشعر، ورأوا أنّ الحجاج يتوافق مع خصائص الشعر[4].

ولقد حاول **أبو بكر العزاوي** تفنيد رأي **تولمين**Toulmin حينما قام بدراسة الحجاج في نصوص شعرية قديمة ومعاصرة، فخلص إلى نتيجة مفادها أنّ«الخطاب الشعري كغيره من الخطابات الأخرى ليس لعبا بالألفاظ فقط، ولا يهدف إلى نقل تجربة فردية ذاتية فحسب، إنه يهدف أيضا بالأساس إلى الحث والتحريض والإقناع والحجاج، وهو يسعى إلى

---

1 محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ص35.

2 أبو بكرالعزاوي: حوار حول الحجاج ص38.

3 أبو بكر العزاوي: الحجاج في الشعر، نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر، مجلة سيميائية أدبية لسانية العدد7، 1992، كلية الآداب بني هلال، ص990.

4 من بين هذه الدراسات نشير إلى كتاب" الحجاج في الشعر العربي القديم" لسامية الدريدي، وكتاب "بلاغة الحجاج في الشعر العربي، شعر ابن الرومي أنموذجا لـ إبراهيم عبد المنعم إبراهيم، وكذلك دراسة أبو بكر العزاوي في مقال "الحجاج في الشعر نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر" وكذلك كتاب في حجاج النص الشعري" لمحمد عبد الباسط عيد.

تغيير أفكار المتلقي ومعتقداته وإلى دفعه إلى تغيير وضعيته وسلوكه ومواقفه»[1]. وهنا تبدو جليا الوظيفة الحجاجية الإقناعية للشعر.

كما أخرج **جورج فينو**G.Vigneaux الشعر من الخطابات الحجاجية؛ حيث يرى أنّ«الخطاب الحجاجي خطاب غائي، وينفي أن يكون كل خطاب غائي حجاجي بالضرورة؛ لأنّ هناك خطابات ذات غاية شخصية لا دف إلى إقناع الآخر، فالخطاب الشعري، وبعض أنواع السير الذاتية، والمذكرات الحميمية أمثلة لخطابات غائية ليست حجاجية»[2]؛ فقد اعتبر الحجاج نقلا لتجربة فردية غايته شخصية، وهو بذلك يجعل من الحجاج استدلالا منطقيا؛ غير أنّ الحجاج «لا يقتصر على الاستدلال العقلي؛ بل يتجاوز ذلك ليشمل الحجاج اللغوي الذي ينبع من اللغة ذا ا»[3]، فإنما نحن نتكلم بقصد الإقناع، وكل لغة حجاج، فإن انطلقنا من مسلمة أنّ الحجاج ظاهرة لغوية نجدها في كل حوار وفي كل خطاب إذن الشعر حجاجي كذلك، ولكون الشعر خطابا فهو يقتضي الإقناع، فالخطاب حسب بنفنيست «في أعم مفاهيمه كل قولٍ يفترض متكلما وسامعا مع توافر مقصد التأثير بوجه من الوجوه في هذا السامع»[4].

والحجاج «فعل لغوي مركب وبنية نصية قد تشتمل الخطاب ككل، وتشتغل كإستراتيجية خطابية إقناعية»[5]، فأغلب أقوالنا تسعى إلى التأثير في سلوك المخاطبين، حتى تلك الأقوال التي تعبر عن إحساس ما أو نظرة خاصة للحياة «بل إنّ خطابا قد يبدو لنا بريئا من المساعي الحجاجية، قد ينكشف أمامنا على طاقات حجاجية جبارة، إنّ الشعر الذي يعرف باعتباره خطابا يكتفي بإبراز الأداة اللفظية يمكن أن تترتب عنه آثار إقناعية قوية»[6].

---

[1] أبو بكر العزاوي : حوار حول الحجاج ص39.

[2] محمد طروس : النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص40.

[3] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم: ص550

[4] Emile Benveniste, Problème de linguistique générale, 1ère Edition Gallimard, 1966, P.246.

[5] محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، ص152.

[6] محمد الولي: مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان(مقال) مجلة عالم الفكر العدد2، ا لس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت، ا لد 40 أكتوبر-ديسمبر 2011 ص15.



ومن هنا فإنّ الحجاج يهدف إلى التأثير في موقف المتلقي، ويشمل الحجاج كل خطاب حتى الخطابات الشعرية.

ينطلق الخطاب الشعري من متكلم (شاعر) إلى مستمع (مخاطَب) تتوافر فيه قصدية التأثير بوجه من الوجوه، هذا ما يجعلنا نتساءل: ما الذي يجعل من الخطاب الشعري خطابا حجاجيا بالدرجة الأولى؟

يبحث المنهج الحجاجي التداولي في كيفية مواجهة الفعل الأدبي (الشعري) «إننا حين نتكلم لا نوصل غير الفعل مما أردنا تبليغه من فعل إفهام المتلقي الذي يتلقى الأداء، وفعل اللغة لا يؤدي مهمته كاملةً إلا بشرط وقوف المتلقي على مقصديته»[1]. فالبحث عن مقصدية الشاعر في خطابه الشعري؛ أي ما يفعله الشاعر باللغة هو من مهمة المتلقي أو القارئ.

والواقع أنه قبل مقاربة الخطاب الشعري يمكن القول بوجه عام أنه «يقوم على عملية فرض لجملة من المعطيات والنتائج الموجهة حواريا بصفة حتمية لا تترك للمتلقي؛ أي خيار في اختيارات أخرى؛ بل هو مطالب بالاقتناع بصحة ما توصل إليه بفعل القراءة أو السماع من الناتج عن الوضعية المضمنة في الملفوظ أكثر أثراً في المتلقي منها إذا كانت مباشرة لشعوره العميق، يعني أ ا من بنات أفكاره، فهو إذن مطالب بقبولها بدافع نفسي»[2]، وهذه المسلمة -مسلمة الحوار- التي ينطلق منها **أبو بكر العزاوي** حين يقول:«إنّ اللغات الطبيعية تقوم على مجموعة من المسلمات[3] ...[فـ]مسلمة الحوار كما يقول جان بليز غريز، وكل فعل كلامي هو حوار بين شخصين (المتكلم والمخاطب) وينطبق هذا على كل أنواع الخطاب وأنماطه»[4]. نستنتج أن كل خطاب حجاج لكن مظاهر الحجاج ودرجته تختلف من



[1] عمار ساسي: منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب، دراسة وصفية وظيفية في نماذج من القرآن والشعر ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن 2011، ط1، ص225.

[2] محمد شطاح بوقرة: تحليل الخطاب الأدبي والإعلامي بين النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب ط1، 1427هـ-2006م ص145.

[3] تحدث أبو بكر العزاوي كذلك عن مسلمة المركب الثقافي القبلي، ومسلمة السياق، ومسلمة إنشاء الموضوع، وإمكانية استعمال اللغة بمثابة ميتالغوية، وهذه المسلمات تقوم عليها اللغات الطبيعية. ينظر أبو بكر العزاوي : حوار حول الحجاج ، ص23-24.

[4] أبو بكر العزاوي : حوار حول الحجاج، ص23-24.

من خطاب لآخر، فهناك فرق بين القصيدة الشعرية ببعدها الجمالي والفني، وخطاب المحامي بطابعه الدفاعي.

والحجج في الخطاب الشعري، كلما كانت مضمرة خفية كان أثرها أوقع في النفوس وتقودها للاقتناع، ويظهر هذا من خلال وظيفتين حجاجيتين هما الوظيفة التصديقية والإيقاعية:

أما الوظيفة التصديقية فيمكن تحديدها عن طريق «تمييز دلالة "لكن" في التراكيب الجملية التي تربط بينها، إذ ذهب بعض اللغويين إلى أنّ توظيفها رابطة بين عبارتين في ملفوظ يقضي بإضمار النتيجة فيه، بالإضافة إلى ذلك تعد الوظيفة التصديقية في الحجاج حملا على التصديق بعظمة المتكلم أو المخاطب»[1]. فللشاعر سلطة يمتلكها ويؤثر ا على المتلقي، وتجعله قادرا على الفعل والتأثير، ربطها بعض المحدثين بالإيديولوجيا؛ حيث «أصبحوا يتحدثون عن إيديولوجيا حديثهم عن بلاغته مؤكدين أنه من الثابت أنّ قصيدة ما يمكن أن تفضح الطاغية وتتغنى بالثورة كما يحدث أن تقود إلى سلوك أو تدعمه»[2]، وإحداث التغيير والتوجيه والتأثير أفعال كلامية حجاجية يرومها المتكلم (الشاعر) في خطابه.

هذه السلطة التي يمتلكها الشاعر نظرا لقدرة الكلمة على الفعل، كو ا تؤدي فعل السحر في المتلقي، لهذا يمكن للشعر أن يضطلع بوظيفة حجاجية إقناعية «فالقدرة اللغوية جزء من صناعة الرأي والتأثير فيه»[3].

والحجاج توطيد للعلاقة بين الكلمة والفعل، والشعر الحجاجي يحرك المتلقي للفعل والإنجاز فيصنع رأيه وموقفه ويغير فكرته،«إنما الشعر ما أطرب وهز النفوس وحرك المشاعر»[4]. فالشعر هو كل تعبير مؤثر، إننا حين نسمع قصيدة ا حكمة تز لها نفوسنا

---

[1] محمد شطاح بوقرة: تحليل الخطاب الأدبي والإعلامي بين النظرية والتطبيق ص146.

[2] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم ص69.

[3] نفسه، ص78.

[4] ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة، مطبعة السعادة 1955، ط2، ج1، ص128.

وتطرب لها مشاعرنا فنقول إ ا تحفة أو درة رائعة، فهذا تقويم - ما سمعناه تقويما فنيا- نابع مما تركه في نفوسنا من أثرٍ قوي واضح، فيعطي للشعر أبعادا فكرية، إقناعية، إنجازية، وجمالية تسمو به آفاق الشعر المؤدي لرسالة الفكر والجمال معا.

والشعر من الشعور وثراء الخيال و«الذي يسمى به الشعر فائقا، ويكون إذا اجتمع فيه مستحسنا رائقا، صحة المقابلة، وحسن النظم، وجزالة اللفظ، واعتدال الوزن، وإصابة التشبيه، وجودة التفصيل، وقلة التكلف، والمشاكلة في المطابقة...(حيث يناسب بين الألفاظ والمعاني) فالشاعر ... يستحضر المتلقي وهو ينظم شعره لتتداخل ثلاثة عناصر في العملية الإبداعية ...

- ما يتعلق بالشاعر: الشعور وسعة الخيال.

-وما يتعلق بالقصيدة: الائتلاف بين مكونا ا.

-وما يتعلق بالمتلقي: إرضاء ذوق السامع»[1] ؛ حيث يكون التركيز في الإبداع الشعري على سعة الخيال، حسن الصياغة والبناء، ومراعاة قدر المتلقي.

والإقناع سلطة المتكلم في خطابه وهو مجال المبحث الحجاجي «نظرا إلى كونه محددا المقام والمخاطب والإطار القولي، أما أهم وظيفة حجاجية في هذا ا ال بعد الإعداد لقبول الأطروحة أو الفرضية فهي الدفع إلى العمل»[2]. وغاية الحجاج هي التأثير على المتلقي وإقناعه برأي أو حمله على الإذعان والتصديق.

وغاية الشعر كذلك التأثير؛ حيث يؤخذ مفهوم الشعر بالنظر إلى ما يحدثه في نفوس متلقيه أساسا؛ أي إلى ما يؤثر في السامع فيجعل نفسه تذعن له؛ حيث يرى صاحب المنهاج أنّ التصرف بالمعاني عند الشاعر «لا يخلو من أن يكون مثبتا لشيء أو مبطلا له أو مسويا

[1] أحمد قادم: شعرية الإقناع في الخطاب النقدي والبلاغي ، ص18-19.

[2] محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ، عالم الفكر الكويت، ص67.

بين شيئين أو مباينا بينهما أو مرجحا أو مشككا»[1]، وهذا إنما يدلّ على الصفة الحجاجية للشعر وطبيعته التأثيرية وقدرة الشعرية على الاستئثار باهتمام المتلقي.

وللشاعر سلطة على نفوس متلقيه يؤثر فيها، ودخول الجدل في الشعر لجلب الاقتناع يشترط فيه مخاطبة من يفهمه «فقد أتى في شعر من لابس الكلام والجدل وعاشر أهلهما من ألفاظ المتكلمين؛ لأنه خوطب به من يعلمه وكلم به من يفهمه»[2]، ويشترط في حضور الجدل في الشعر مراعاة المتلقي ومقدرته على الفهم.

والشعر يحدث في السامع سحرا يسلب لُبه بفعل التخييل«وعلى مقدار هذا السحر والسلب، وكلما كانت الإثارة الشعرية التي يحدثها التخييل أقوى وأعلى درجة، وبقدر ما حصل الإمتاع في نفس السامع، بقدر ما حصل تجاوبه وانفعاله واتفاقه»[3]، هذا التأثير الإمتاعي من شأنه أن يقيم جسرا إقناعيا يستميل المتلقي؛ لأنّ الشعر «تدفع به العظام، وتسل به السخائم، وتجلب به العقول، وتسحر به الألباب، لما يشتمل عليه من دقيق اللفظ ولطيف المعنى»[4]. ومن هنا كان الربط بين الشعر والسحر الذي يحدث إمتاعا وتأثيرا.

روى **الجاحظ** خبرا يبين قدرة الشعر الحجاجية؛ وهو أنّ رجلا من الأعراب هجر زوجته؛ لأنها كانت تلد له البنات، و«كان يقيل ويبين عند جيران له حين ولدت امرأته بنتا بخبائها، وإذا هي ترقصها، وتقول:

ما لأبِي حمزة لا يأتينا **يظَل في البيت الذي يلينا**
غَضبان ألا نلد البنينا **تاللهِ ما ذَلك في أيدينا**
وإنما نأخذُ ما أُعطينا **ونحن كالأرضِ لزارِعينا**

---

[1] حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء:تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس 1966 ص12.

[2] قدامة بن جعفر: نقد النثر، ص135.

[3] خليفة بوجادي: الشعر من (فعل القول) إلى (مبدأ التعاون) –نحو مدخل تداولي،(مقال) مجلة الن(ا)ص، مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة جيجل ، العدد العاشر ، ديسمبر 2011، ص215.

[4] محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي: عيار الشعر، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد زغلول سلام، توزيع منشأة المعارف الإسكندرية شركة جلال للطباعة، الطبعة الثالثة، ص121.

ننبت ما زرعوه فيـ ـنا

قال: فغدا الشيخ حتى ولج البيت فقبل رأس امرأته وابنتها»[1]. فقد أحس؛ بل اقتنع بظلمه لزوجته، ودفعه قولها الشعري إلى الاعتذار، فكان هذا الخطاب الشعري حجاجيا؛ حيث كان المتكلم امرأة تزوجت رجلا، لم يلبث أن هجرها حين رزِقَت بنتا، أما المتلقي فكان غائبا ساعة الخطاب، أو على الأقل لم يوجه إليه الباث الخطاب مباشرة وإنْ كان يستحضره ساعة إنشاء الشعر، فكانت عملية التلقي صدفة، وإذا بالخطاب يقوم بوظيفته الإقناعية فيغير المواقف.

وحين أنشدت المرأة هذه الأبيات تكون قد أنجزت فعل التلفظ (الكلام)، هذا الفعل أنتج ملفوظا شعريا، كانت له وظيفة حجاجية إقناعية ناجحة؛ لتحقيق الفعل التأثيري، فقد اقتنع الرجل بالخطاب الشعري الذي قالته زوجته؛ لأ ا وفقَت في الربط بين المقدمات والنتائج التي تخدم المحتوى القضوي (ليس بيد المرأة أن تلد ما تريد) فأثّرت في المتلقي باستعمال القوى الإنجازية الآتية:

- الاستفهام التعجبي والنفي: **(ما لأبِي حمزة لا يأتينا)** وهي فعل كلامي غير مباشر قوته الإنجازية: التوجيه عن طريق(الطلب) فهي تطلب مجيئه.

- القسم: **(تاللهِ ما ذَلك** في **أيديـ ـنا).** فعل كلامي توضيحي وإثباتي.

- القصر والتوكيد: في قولها **(وإنما نأخذُ ما أُعطينا).** قوته الإنجازية الإثبات.

- التمثيل: **(ونحن كالأرض لزارعيـ ـنا ننبت ما زرعوه فينا)**. فعل كلامي غير مباشر غرضه التوضيح والإثبات.

[1] البيان والتبيين وضع حواشيه موفق شهاب الدين منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت لبنان -ط1 1419هـ-1998 م الجزء الأول، ص130-131.

وفيما يخص **الوظيفة الإيقاعية**، فحينما يكون الإيقاع جميلا عذبا يستميل النفوس فتتمايل على عزفه فتحس به فيؤثر فيها، فالشعر«نظم بديع أحكم فيه توالي الألفاظ في النطق، وتناسق دلالا ا وتلاقي معانيها على الوجه المعقول»[1]، وما يجعل توالي الألفاظ في النطق محكما هو الإيقاع؛ إذ ينتقل الشاعر«إلى مستوى آخر يتمثل في التأثير في سلوك المخاطب، وحمله على إنجاز فعل أو تركه بناءً على تلك السلطة التصديقية المحققة، و ذا تصبح كل النتائج المحصلة من مقدما ا أفعالا طلبية إلزامية وإقصائية في الآن نفسه، فهي تلزم الخطاب بالكشف عنها وتقصي بظهورها ما يناقضها من أفعال»[2]، فإذا تحقّقت الوظيفة التصديقية يكون من السهل جعل المتلقي يذعن لرأي الشاعر بإلزامه القيام بأمور وتركه أمورا أخرى، فيتطابق الغرض الإنجازي مع الدلالة القولية التي يصدقها الشاعر.

وللشعر وظيفة أخلاقية وإخبارية وجمالية وبيانية «تذعن إليها نفس السامع وتستكين وتنبسط وتحيا الأريحية... فيكون من غايات الشعر الفائدة عن طريق الإمتاع»[3]، وكلما كانت معاني الشعر مرتبطة بالواقع وبحياة الإنسان كلما كان الشعر أكثر وقعا على النفس وأدعى إلى التلقي والقبول من طرف السامعين.

وقد ارتبط الشعر الجزائري بالواقع المعاش واكتسب طابع الخطابة واتسم ا؛ حيث غالبا ما يحمل الحجاج في شعر الحكمة جملا وعظية أو إرشادية، تؤدي هدفا في الخطة الحجاجية في البنى القولية، وهذه النبرة الخطابية الموجودة في الشعر الجزائري جعلت بعض النقاد يرون أنّ سبب ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى نظرة الشعراء الجزائريين إلى وظيفة الشعر، يقول الشاعر **محمد العيد آل خليفة (**1904-1970)**:**[4]

وما الشعر إلا محنةٌ طَيّ محنة   لذَا قل من بالشعر فينا تمتعا

1 عمار ساسي: منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب، دراسة وصفية وظيفية في نماذج من القرآن والشعر،ص213.
2 محمد شطاح بوقرة: تحليل الخطاب الأدبي والإعلامي بين النظرية والتطبيق ص146.
3 خليفة بوجادي: الشعر من (فن القول)إلى(مبدأ التعاون) –نحو مدخل تداولي، مجلة الن(ا)ص ، ص217.
4 محمد العيد آل خليفة: الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ص189.

ويقول الشاعر محمد **العيد آل خليفة** في قصيدة أخرى:[1]

قد كدت أجفو الشعر لولا أن لي بالشعر بعض تعللٍ وتمتّع
الشعر من خيل الخيال قوثبه وثب البراق أو البروق السرع

تحول الشاعر في تقديره لنفسه وتقدير النقاد له من حوله إلى خطيب لا تختلف مهمته عن مهمة الواعظ الناصح الذي يستثير الهمم ويهز العواطف.

يقول محمد **العيد**:[2]

وما الشعر إلا شعورٌ سما خيالاً بإيحائه الساحر
يهزّ النفوس بتياره فتسمو إلى الأوج كالطائر
وتسبح في عالمٍ شامخٍ على الأرض من إفكها طاهر

نجد من الشعراء من اعتبر أسلوب الشعر كأسلوب الخطابة؛ بل هو صنوه ونظيره، يقول الشاعر الجزائري حمزة **بكوشة (1907-)**:«...الشعر صنو الخطابة في تحريك الشعور، وإثارة العواطف وإيقاظ الهمم، وتوجيه الشعوب» [3]، فكان الشاعر يستخدم أسلوبا تقريريا مباشرا بنبرة خطابية ترمي إلى تحقيق الاتصال بجمهور يغطّ في نوم عميق يخذره التشاؤم والضياع.

والمتصفح للشعر الجزائري «قلّما يعثر على قصيدة لا تنتهج ج الخطب الحماسية، حتى تلك الموضوعات الذاتية أو العاطفية التي تستدعي بطبيعتها لغة إيحائية تصويرية»[4]؛ حيث برزت هذه النبرة الخطابية بشكل لافت للنظر من خلال الارتكاز الشديد على

[1] الديوان، ص145، 146.
[2] نفسه، ص05.
[3] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، دار الغرب الإسلامي 28 أكتوبر 1983، ط1-1985 ط2، 2006م ، ص614.
[4] نفسه، ص611.



الأدوات المستعملة في الخطب كأدوات الاستفهام والتحريض والقسم وغيرها من الأساليب الإنشائية طبعتها بطابع خطابي شكلا ومضمونا.

ونظرة الشعراء إلى وظيفة الشعر تختلف من شاعر إلى آخر، فمنهم من كان «يعنى بالمضامين والأغراض دون غيرها من جوانب الشعر، مما جعل شعرهم لا يؤدي وظيفة الشعر الجمالية، وإنما يؤدي دور الخطابة وأغراضها التعليمية الإرشادية... بينما نجد بعض الشعراء يوفق إلى الجمع بين مهمة الشعر الفكرية الاجتماعية ووظيفته الجمالية... مما جعل شعرهم جميلا مفيدا في نفس الوقت»[1]، فحينما تؤدي وظيفة الشعر مهمة الخطابة بأساليبها فإنها تؤدي دور الإقناع. يقول الشاعر **خبشاش محمد الصالح** (1904-) عن مفهوم الشعر في قصيدة إمارة الشعر:[2]

عجِبت لمن تطْمح للإمــارة	**بِشعــرٍ لَيس منسجِمِ العبارة**
وفي الشعر المَزالق وهي شتى	**فَمن في قُطْرنا يعلو مناره؟...**
وأحسن قَولة الشــعراء نظْمٌ	**غَدا سحــر البيان له دثَــاره**
وأبلَغــ ــه المُهفْهف في معان	**دقيقَات وبيــنــة الإشــارة**
وأرشقُه المُهفْــهف في معان	**من الألْفَاظ تكْــسِبــ ــه إشارة**
وأنفَذُه نسيجٌ من حــماسٍ	**فتذْكي لَوعة الأوطَان نــ ــاره**
وأردؤه عدو الطبع قَــولٌ	**ثَقيلُ الوضع مسلُوب النضارة**

فالشعر عند هذا الشاعر قول منظوم ببيان ساحر، بليغ في سبكه، دقيق في معانيه، بين في إشاراته، حماسي في وطنيته، بعيد عن التكلف.

ويرى **محمد البشير الإبراهيمي** (1889-1965) أنّ م لة التمثيل والخطابة من دواعي التهذيب والتربية الفاضلة «فإنّما الخطيب والممثل شيء واحد، الممثل خطيب إذا أحسن تصوير المغزى وشخص الحقائق الغائبة للمشاهدين كالحاضر للمشاهد وألبس

---

[1] أحمد شرفي الرفاعي: الشعر الوطني الجزائري من 1925-1954، ص163.
[2] نفسه ص146.

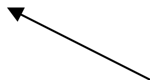


الخيالات لباس الواقع المحسوس، والخطيب مثل إذا عرف كيف يقص الخبر وكيف يستخرج العبر، وكيف يسوق المؤثرات فيترك في نفوس سامعيه أعمق الأثر»[1]، فيكون التأثير في المتلقي مزدوجا محققا لوظيفة إقناعية وأخرى إمتاعية من خلال إلباس المضامين الفكرية ألبسة بلاغية تمثيلية.

وفي هذا الصدد يرى **الفارابي** **(**ت339ه)أنّ كثيرا «من الشعراء لهم قوة على الأقاويل المقنعة يضعون الأقاويل المقنعة ويزينو ا، فيكون ذلك عند كثير من الناس شعرا، وإنما هو قول خطبي عدل به عن منهاج الخطابة، وكثير من الخطباء يجمع في خطبته بين الأمرين جميعا، وكذلك كثير من الشعراء، وعلى هذا يوجد أكثر الشعر»[2]، كما أنّ وظيفة الشعر قد تؤدي غايتين متكاملتين في الآن ذاته، يمكن توضيحها في المخطط الآتي:

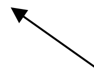
بعد تداولي تأثيري

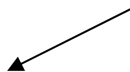




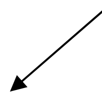
حجاجي(إقناعي) الإرشاد وحث الناس







بعد أخلاقي إصلاحي **مهمة الشعر**



بعد جمالي (أسلوبي، إمتاعي)  إنشاد شعر جميل ومفيد

فكان الشاعر الجزائري يعنى أحيانا بالجانب الجمالي وأحيانا أخرى لم يعن به؛ إنما يكتب شعره إرضاءً لعاطفته الوطنية وحدها عما يحس به من آلام مجتمعه، فاتسم بالنبرة الخطابية الإقناعية، وحتى يؤدي الشعر دوره المنوط به فيحقق الوظيفة الجمالية والفكرية في وقت واحد ينبغي أن يلائم الغرض من قوة أسلوب وسبك وعاطفة.

[1] أحمد طالب الإبراهيمي :آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي الجزء الأول (1929-1940) ط1997/1، ص67

[2] أحمد قادم: شعرية الإقناع في الخطاب البلاغي والنقدي، المطبعة والوراقة الوطنية الداوديات، مراكش ، ط1، 2009، ص85.

وإذا بحثنا عن المتلقي في الشعر الجزائري الحديث، وجدنا أنّ الشاعر يخاطب بشعره- في زمنه- مجتمعا «لا يحفل بالشعر ولغته وجوانبه الجمالية إلا ما يجد فيه من الخبر الجديد أو الرأي الوطني أو الحكمة الأخلاقية أو التوجيه الديني ونظرة الشاعر إلى اللغة ...متأثرة بصلته بالنهضة وبا تمع»[1]، فالشاعر كان يدرك أنه يوجه شعره إلى مجتمع لا يدرك وظيفة الشعر الجمالية؛ لذلك اهتم في شعره بالمضمون وبعنصر الوضوح والسهولة وبالبعد التوجيهي الأخلاقي لتحقيق غرضه الإقناعي.

استعمل الشاعر الجزائري نبرة خاصة تؤثر في سامعيه، وتحرك فيهم كوامن الشجن، فجاءت النبرة خطابية واللغة سهلة، وقد رأى نقاد هذا الشعر بوصفهم متلقين أن سهولة اللغة وبساطتها توحي بصدق الشاعر، فـ«آيات صدق الشاعر في التعبير عن عواطفه، بساطة لغته وأسلوبه؛ لأنّ هذه البساطة تدل على أنّ الشاعر اهتم بعواطفه وأحاسيسه أكثر مما اهتم باللغة، وعلى أنه لم يكن يريد أن يضع حائلا بينه وبين نفوس الآخرين»[2]. وذلك حتى تقترب اللغة من المتلقي، فالشاعر كان يراعي سامعه الذي يوجه إليه خطابه الشعري حتى يستطيع قراءة الشعر والإفادة منه.

ولا تعني البساطة في التعبير استخدام لغة عامية مبتذلة، وإنما أن تكون سليمة لا تعقيد فيها ولا تكلف؛ لأ ا لغة تروم الفعل في المتلقي والتأثير فيه ودفعه إلى التغيير.

كما لاحظ النقاد تفاعل الشاعر الجزائري مع متلقيه، فشعراء الجزائر«شهد لهم تاريخ الثورة بتفاعل الجماهير على مواقفهم المعبر عنها في أد م، وهم الذين كانوا يكتبون داخل الزنزانات فتردد الوهاد والقمم الجبلية أقوالهم»[3]، وسبب تفاعل الجمهور مع الشعر هو ما يحمله من حكم ومواعظ تدعو إلى قيم أخلاقية وإلى الحرية والعدل والعلم. رغم الاضطهاد والقوة المتجبرة.

---

[1] أحمد شرفي الرفاعي: الشعر الوطني الجزائري ص204.

[2] محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1979، ص145.

[3] محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي ، ص145.

3- الشعر بين التخييل والإقناع:

يقصد بالتخييل «أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه أو نظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها، أو تصور شيء آخر ا انفعالا من غير روية إلى جهة من الانبساط أو الانقباض»[1]، والكلام المخيل تذعن له النفس من غير روية واختيار، ومعنى الروية التأمل والتفكير في الأمر قبل العزيمة عليه، والتأثر بالشعر ناتج عن سيطرة الخيال وهيمنته على الفكر لدى المتلقي.

والسؤال الذي يثيره هذا البحث: هل يتسع شعر الحكمة الجزائري للوظيفتين التخييلية والتداولية؟ بعبارة أخرى، هل تفضي دراسة شعر الحكمة الجزائري وتفسيره إلى وضع اليد على بلاغة تختص بتداخل الخطاب الحجاجي التداولي والخطاب الشعري التخييلي.

وفي خضم حديث **أرسطو** عن الخطابة كشف عن استعمال اللغة للتمويه والخداع في الحجاج، والتأثير بالقول للتحكم في العقول، وذكر أنّ «الريطورية قوة تتكلف الإقناع»[2]، والاحتيال بالكلام يكون بتهيئة السامع واستدراجه حتى يصدقه.

تأثّر **الفارابي** (339ه)بفكر **أرسطو** حينما ميز بدوره بين جودة التخييل وجودة الإقناع، فقال «إنّ جودة التخييل هي غير جودة الإقناع، والفرق بينهما أنّ جودة الإقناع يقصد ا أن يفعل السامع الشيء بعد التصديق، وجودة التخييل يقصد ا أن تنهض نفس السامع إلى طلب الشيء المخيل أو الهرب منه وال اع إليه أو الكراهة له، وإن لم يقع تصديق، كما يعاف الإنسان الشيء الذي إذا رآه يشبه ما سبيله أن يعاف على الحقيقة، وإن

[1] حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص89.

[2] أرسطو طاليس: الخطابة، الترجمة العربية القديمة حققه عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الجامعية، الكويت دار القلم بيروت لبنان، 1979، ص09.



تيقن الذي يراه أنه ليس هو ذلك الشيء الذي يعاف»[1]، فقد تؤثر قوة التخييل الشعرية على السامع وتستدرجه، فتجعله ينفعل ا ويقوم بالإنجاز والفعل حتى وإن لم يقع التصديق.

ويعرف الشعر بالكلام المخيل، ومفهوم التخييل يوناني الأصل اعتمده **الفارابي** (ت339ه) بدلا من كلمة محاكاة[2]، ويستطيع الشاعر أن يحدث انفعالا وجدانيا للمتلقي؛ وهذا ما يسمى بخلق الأريحية، والباعث لهذه القوة الشعرية هو التخييل؛ وهو«الكلام الذي تذعن له النفس فتنبسط عن أمور وتنقبض عن أمور من غير روية واختيار، وبالجملة تنفعل انفعالا نفسانيا غير فكري»[3].

والمتلقي يميل إلى التعبير التخييلي، وترتاح إليه نفسه دون أن يصدقه العقل، وقوة الشعر تكمن في الربط بين المتضادات فتتناسب الدلالة عند الإشارة إلى الأشياء، ومجال الشعر هو الخيال سواء أكان صدقا أو كذبا، حتى إنّ أحكام النقاد كانت انطباعية في تبرير جودة البيت، وكانوا يقولون أنّ«خير الشعر أكذبه»[4] ، ومن هنا كان التمييز بين التخييل في الشعر والإقناع في الخطابة؛ فالشاعر يخاطب العاطفة، والخطيب يخاطب العقل فكان«مصطلح العقلي هو ضد التخييلي؛ حيث جعل المعنى العقلي في مقابل التخييلي، فالعقلي هو المنطقي ا رد، ولا يعقد فيه بالأخذ لأنه مشترك أي غير شعري»[5].

وفي كتاب "**الشعر**" ميز أرسطو بين مفاهيم الشعرية ووسائلها وأساليب الحجاج وآلياته، وهذا ما جعل "**حازم القرطاجني**" (ت684ه) يقول:«ولو وجد هذا الحكيم أرسطو في شعر اليونانيين ما يوجد شعر العرب من كثرة الحكم والأمثال والاستدلالات، واختلاف ضروب الإبداع في فنون الكلام لفظا ومعنى، وتبحرهم في أصناف المعاني، وحسن تصرفهم

---

[1] ألفت كمال الروبي: نظرية الشعر عن الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد ص120، نقلا عن مصطفى الغرافي: الأبعاد التداولية لبلاغة حازم من خلال منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص275.

[2] أرسطو طاليس: كتاب الشعر، نقل أبي بشر متى بن يوسف القبائي من السرياني إلى العربي، تحقيق شكري محمد عياد، الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ، 1386ه-1967م، ص194-195.

[3] نفسه، ص197.

[4] عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق : محمد فاضلي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت 1424ه-2003م، ص202.

[5] محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتدادا ا، إفريقيا الشرق، 1999، ص96.

في وضعها، ووضع الألفاظ بإزائها، وفي إحكام مبانيها واقترانا ا، ولطف التفاتا م وتتميما م واستطرادا م، وحسن مآخذهم ومنازعهم، وتلاعبهم بالأقاويل المخيلة كيف شاءوا، لزاد على ما وضع من القوانين الشعرية»[1]، فقوانين **أرسطو** التي وضعها للشعر تخص الشعر اليوناني فقط لا العربي.

قام **حازم القرطاجني** بمراجعة شعرية **أرسطو** مراجعة شاملة حتى تلائم طبيعة الشعر العربي؛ لأنّ«الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء»[2]؛ فالشعر عند العرب علم قائم بذاته فهو الراوي لأخبارهم، والمخلد لمآثرهم، والعلم الذي يحفظ أنسا م ومكارمهم، إنه«ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوا م وخطئهم، وأصلا يرجعون إليه في الكثير من علوهم وحكمهم، وكانت ملكته مستحكمة فيهم شأن ملكا م كلها»[3].

فإذا كان التخييل عماد المعاني الشعرية وقوامها، فهذا لا يمنع من وجود الإقناع في الشعر ووجود التخييل في الخطابة؛ لأنّ«التخييل يأتي على درجات شبها من الحق، وغُشي رونقا من الصدق، باحتجاج يخيل، وقياس يصنع فيه ويعمل»[4]؛ بل إنّ التخييل لا يمكن أن يحدث التصديق في قلب المتلقي ويؤثر فيه دون إقناع.

وليس التخييل والإقناع معيارين للفصل بين الشعر والخطابة في كل الأحوال«فكل من الخطابة والشعر يستعين الواحد منهما بأدوات الآخر دون أن يتخلى عن هويته ما دامت الاستفادة تتم في حدود ضيقة»[5] ؛ حيث يمكن للشاعر أن يعتمد على الحجاج في شعره من أجل الإقناع دون إسراف في ذلك، كما يمكن للخطيب أن يعتمد على التخييل «فالشعر رسائل معقودة، والرسائل شعر محلول، وإذا فتشت أشعار الشعراء كلها وجد ا متناسبة، إما

---

[1] حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء تحقيق الحبيب بن خوجة تونس، دار الكتب الشرقية 1966، ص69.

[2] القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه ص14.

[3] عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ص489.

[4] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمد فاضلي، ص199.

[5] محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، ص488.



تناسبا قريبا أو بعيدا، وتجدها مناسبة لكلام الخطباء، وخطب البلغاء، وفقر الحكماء»[1]، فقد يتـ ل الشاعر مـ لة الواعظ المرشد، أو الناقد المغير فيعتمد الاحتجاج والتأثير بغية تحقيق الإقناع.

فالشعر والخطابة يشتركان في غرض واحد؛ وهو«إعمال الحيلة في إلقاء الكلام في النفوس بمحل القبول لتتأثر بمقتضاه... فلذلك ساغ للشاعر أن يخطب لكن في الأقل من كلامه وللخطيب أن يشعر لكن في الأقل من كلامه»[2] ؛ حيث إنّ المراوحة بين الإقناع والتخييل أبلغ وأقدر على تحصيل الغرض المقصود في الإذعان والتصديق سواء كان ذلك في الشعر أو في الخطابة، لكن لا ينبغي استكثار التخييل في الخطابة ولا الاستدلال في الشعر، نستنتج مما سبق أنه يمكن للقول الشعري التخييلي أن يكون قولا حجاجيا بالغ التأثير.

ثم إنّ أصل عمود البلاغة ينتمي إلى علم المنطق الذي يقوم على القياس والضمير، وقوة المنطق تتجلى في معرفة الشيء الذي هو حق والذي هو شبيه بالحق«والشبيه بالحق قد يدخل في علم الحق... إ م يتكلمون في أشياء تجري من البلاغة مجرى التزيين والتنميق الذي يكون في ظاهر الشيء وصفحته، لا في الأشياء التي تـ ل منها مـ لة ما به قوام الشيء ووجوده»[3]، لذلك فإنّ البلاغة ترتبط بالمنطق، والقياس البلاغي شبيه بالحق؛ لأنه احتمالي فهو يقوم على التخييل الشعري وهو غير قطعي.

والخيال شرط أساس في الشعر وهو متمم للعاطفة، ولا ينحصر في الصور البيانية؛ إنما يشتمل مضمون القصيدة وخواطرها وأحاسيسها وطريقة عرضها، والخيال يختلف عن الإيهام والتوهم؛ لأنّ الخيال إظهار الشاعر الصلات بين الأشياء والحقائق، ونظرية الحجاج تدرس هذه القيم والحقائق الموظفة توظيفا حجاجيا، أما التوهم فهو أن يتوهم الشاعر الصلة بين شيئين ليس لهما وجود.



[1] محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي: عيار الشعر، دراسة وتحقيق وتعليق محمد زغلول سلام، توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية شركة جلال للطباعة، ط3، ص114.

[2] حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص34.

[3] ابن رشد : تلخيص الخطابة، كتاب إلكتروني ص05

وفي ربط الشعر بالخيال يقول **محمد العيد آل خليفة**":[1]

الشعر من خيل الخَيال فَوثْبه وثْب البراق أو البروق السرع

وكل من الشعر والخطابة وكذا التخييل والإقناع «يشتركان في الهدف، وإن اختلفا شيئا ما في الوسائل المعينة على تحقيق هذا الهدف ولكنهما معا يتآزران على غاية واحدة، حيث تتفاعل العناصر الشعرية مع العناصر الإقناعية»[2]، فكل من الشاعر والخطيب يسعيان إلى حصول القبول لدى متلقيهما؛ لأنّ«الوظيفة التي يؤديها التخييل في إيقاع المعتقدات موقع القبول لا تقل مرتبة من قيمة العلم في البرهان والظن في الجدل والإقناع في الخطابة»[3]. لذلك فإنّ التخييل والإقناع يتداخلان في الشعر والخطابة دون إفراط؛ لأنّ هناك خطوطا أو حدودا تميز خصائص كل منهما وتفصل بينهما، و«ينبغي أن تكون الأقاويل المقنعة الواقعة في الشعر تابعة لأقاويل مخيلة مؤكدة لمعانيها مناسبة لها فيما قصد ا من الأغراض، وأن تكون المخيلة هي العمدة، كذلك الخطابة ينبغي أن تكون الأقاويل المخيلة الواقعة فيها مناسبة لها مؤكدة لمعانيها، وأن تكون الأقاويل المقنعة هي العمدة»[4]، وحين يحث الشاعر متلقيه على فعل شيء أو تركه، فيكون شعره حجاجيا يهدف إلى استمالته والتأثير عليه، ويجعل من التخييل مساعدا له في هدفه.

ولقد بين **بيرلمان** Perelman **وتيتكا** Tyteca أنّ موضوع نظرية الحجاج«درس تقنيات الخطاب الهادفة إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم أو زيادة درجة تلك الاستمالة»[5].

تنبه **حازم القرطاجني** إلى القيمة الحجاجية للشعر حينما قال «إنّ التخييل هو قوام المعاني الشعرية والإقناع قوام المعاني الخطابية، واستعمال الإقناعات في الأقاويل الشعرية

---

[1] الديوان: ص146.

[2] إبراهيم عبد المنعم إبراهيم: بلاغة الحجاج في الشعر العربي، شعر ابن الرومي نموذجا،ص09.

[3] أحمد قادم: شعرية الإقناع في الخطاب النقدي والبلاغي، ص89.

[4] حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، 361-362.

[5] إبراهيم عبد المنعم إبراهيم:بلاغة الحجاج في الشعر العربي، شعر ابن الرومي أنموذجا ص09.

سائغ، إذا كان على جهة الإلماع في الموضع، كما أنّ التخييل سائغ استعمالها في الأقاويل الخطابية في الوضع بعد الموضع؛ بل ساغ لكليهما أن يستعمل يسيرا فيما تتقوم به الأخرى، لأنّ الغرض في الصناعتين واحد، وهو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر لمقتضاه، فكانت الصناعتان متآخيتين لأجل اتفاق المقصد والغرض فيهما، لذلك ساغ للشاعر أن يخطب لكن في القليل من كلامه، وللخطيب أن يشعر لكن في الأقل من كلامه»[1]. فقد يستعمل الشاعر القليل من وسائل الإقناع مع الكثير من وسائل التخييل، كما يجوز للخطيب أن يستعمل المخيلات أقل من استعماله لوسائل الإقناع، فالغرض من الخطابة والشعر جعل النفوس تتأثر بفحوى الكلام فتقبله، والتأثر والقبول غرض حجاجي.

وفي هذا الصدد يرى **هنريش بليث** أنّ«النص الإقناعي يحتوي عناصر شعرية وعناصر إخبارية، وإذا وقعت انزلاقات في تراتبية الوظائف النصية تبعا لتغيير في نمط المتلقي، فقد ينتج عن ذلك شعرنة نص، أو ضياع شاعريته»[2]، فشعرية النص تكون بقدر هيمنة الوظيفة الشعرية على الوظائف الأخرى -كما يرى **جاكوبسن**- بالإضافة إلى قوة الإيحاء، وكثافة الدلالة. وهذا لا يمنع من وجود عناصر إخبارية إقناعية، ولكن لا يجب تغليبها على التخييل الشعري.

والحديث عن بلاغة الشعر وبلاغة الخطابة المشتركين في هدف الإقناع والتخييل يوحي بوجود بلاغة عامة تجمع بين مختلف العناصر التخييلية والتداولية والحجاجية.

وشعر الحكمة يجمع بين برهنة الحكماء وخيال الشعراء وكلاهما يقودان المتلقي إلى التأثير والاقتناع؛ بل إنّ «القول البرهاني مما يختص به الحكماء، وهو الأمر الذي يجعل من التخييل الشعري أداة –من حيث التأثير- أقوى من التصديق بالبرهان»[3]؛ ذلك لأنّ الناس أطوع للتخييل منهم إلى التصديق بالبرهان، فالتخييل الشعري «يكون فيه الإذعان نتيجة من نتائج التعجب والالتذاذ، وهو ما يفتقده "التصديق" الذي يعد هو الآخر إذعانا لكن من

---

[1] حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص361.

[2] هنريش بليث : البلاغة والأسلوبية ص102.

[3] أحمد قادم: شعرية الإقناع في الخطاب النقدي والبلاغي، ص65.

حيث اعتبار الشيء على ما قيل فيه وليس للتعجب والالتذاذ في هذه الزاوية نصيب»[1]، فالتخييل تطرب له النفس فيرضيها ويعجبها فتتأثر به وتذعن لتتحرك نحو الفعل أو الهرب منه، فيكون بذلك الإقناع أكثر وقوعا، إنه لا يكون إقناعا محتما إنما اقتناع اختياري بمحض إرادة النفس.

والمعاني التي يوظفها الشاعر في شعره كثيرة ومتنوعة يكتنفها الغموض؛ حيث«ليس في الأرض بيت من أبيات المعاني لقديم أو محدث إلا ومعناه غامض مستتر»[2]، ثم إنّ من أبرز خواص الشعر خاصية الغموض وهو«ما يحتمل فيه الكلام معنيين أو أكثر وينطبق الغموض حصريا على كل تأليف تعبيري (مركب أو جملة) أما في حال الوحدة المفرداتية المتضمنة لمعان عدة فإننا نتحدث عن التعدد الدلالي»[3]، فالغموض من أكثر ا الات تأهلا لاحتضان الحجاج الذي يكون «في عالم يهيمن عليه الغموض والإ ام والشك والخلاف»[4]، وحين يكون الغموض لا يمكن الحسم في النتيجة باللجوء إلى البرهان الشكلي الصارم الذي يميز بين الحق والباطل انطلاقا من مقدمات صادقة؛ بل يمكن أن تكون النتيجة متعددة؛ لأنّ الغموض يخفي أسرارا وأمورا خفية يدخل الشاعر وراءها ليختبئ، ويحاول قصارى جهده تبيين مقاصده النبيلة ومواقفه موظفا وسائل الإقناع.

وخاصية الغموض هذه تمنح الشعر ضروبا من الشروح المختلفة، فينفتح البيت الشعري الذي ينبني على الغلو والمبالغة على أكثر من تأويل، ويساعد المتلقي في ذلك السياق الذي ورد فيه.

---

[1] أحمد قادم: شعرية الإقناع في الخطاب النقدي والبلاغي ، ص68.

[2] القاضي الجرجاني بن عبد العزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. ص431.

[3] ماري نوال غاري بريور: المصطلحات المفاتيح في اللسانيات ترجمة عبد القادر فهيم الشيباني سيدي بلعباس الجزائر ط1، 2007، ص16- 17.

[4] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص62.

يوظف الحجاج في موضع محتمل؛ لأنه «لا يتدخل إلا في الحالات التي يكون فيها اليقين موضع طعن»[1]، وإذا كان الحجاج يستميل المتلقي نحو الأطروحة المراد تثبيتها، فإنّ هذا الإقناع يقتضي تماسا فكريا بين المتلقي والمتكلم.

رابعا: خصائص الشعر الجزائري الحديث وأهم مضامينه واتجاهاته:

قبل الحديث عن مضامين الشعر الجزائري وخصائصه وأغراضه، حري بنا أولا أن نبحث في مفهوم الشعر الحديث، بغية تحديد بدايته في الجزائر.

1- مفهوم الشعر الحديث:

اختلف النقاد في تحديد معنى الحداثة، ومنهم من لجأ إلى التفريق بينها وبين والمعاصرة، فرأى أنّ«المعاصرة تعني أن النص كتب في العصر الذي نعيشه فهو معاصر لنا ، أما الحداثة فليست قرينا للجدة أو المعاصرة، ولذلك فهي ليست تاريخية فقط، فإذا كان الجديد أو المعاصر يشير إلى الزمن، فإن الحداثة تشير إلى حساسية ما ، وإلى أسلوب ما معا... فالحداثة نقيض للتقاليد التي رسخت فهي تبحث عن كل جديد يخالف التراث»[2]، فالحداثة ـذا المفهوم ترفض النظام التراثي والشكل التقليدي داعية إلى التجديد وابتداع أساليب جديدة سواء من حيث المضمون أو من حيث الشكل.

واختلف المؤرخون والنقاد في تحديد معنى كلمة (حديث)، ومتى يوصف ـا الشعر العربي؛ لأنّ معنى الحديث هو الجديد، والجديد دائم ومستمر، هذا الاختلاف ناتج عن تداخل الأفكار وتصارع الآراء الغربية، فقد بدأت عناصر التجديد تظهر في مصر قبل أن تظهر في العراق والجزيرة، فبدأ تاريخ الأدب العربي الحديث بعيد الحملة الفرنسية على مصر،

---

[1] محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، ص365.

[2] حمدي الشيخ: الحداثة في الأدب، المكتب الجامعي الحديث 2010، ص07.

أما في العراق والجزيرة فكان بعد إعلان الدستور العثماني سنة 1908م.[1] فدراسة تاريخ المنطقة هو الذي يحدد معنى "حديث" وهو أساس هذا الاختلاف.

فالشعر الحديث في مصر كان في أواخر القرن التاسع عشر، وكانت بدايته بالشاعر **البارودي** ثم **إسماعيل صبري**، و**أحمد شوقي**، و**حافظ إبراهيم** و**خليل مطران**، أما في العراق فلم يبدأ الجديد فيه إلا بعد ذلك عند **الرصافي** و**الزهاوي** وغيرهما[2]. فعصر النهضة في مصر بدأ«بحملة نابوليون بونابارت على مصر عام 1798م، وما رافقتها من بعثات علمية أيقظت الأذهان، وحملتها على نفض الغبار والأخذ بأساليب ملائمة لحاجات العصر »[3].

أما في الجزائر فيحدد "**عبد الملك مرتاض**" الفترة التي تأسس فيها الشعر الجزائري الحديث بمعناه الدقيق مع بداية 1920م؛ حيث يقول «قد تكون الفترة الواقعة بين السنتين 1920-1956 هي الفترة الأدبية الأولى... وهي الفترة التي انبعث فيها الشعر الجزائري الاتباعي أو العمودي على النحو الذي بلغ معه المستوى المطلوب»[4]، أما صاحبا كتاب "إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر" فقد حددا عصر النهضة في الشعر الجزائري من منتصف القرن العشرين تزامنا مع صدور كتاب"شعراء الجزائر في العصر الحاضر"لمحمد الهادي السنوسي الزاهري سنة 1926م-1346ه.[5] ويعد هذا الكتاب أول خطوة يدخل ا الشعر الجزائري دور الحداثة.[6]

---

[1] ينظر: يوسف عز الدين: التجديد في الشعر الحديث، بواعثه النفسية وجذوره الفكرية، دار المدى للثقافة والنشر ،سورية دمشق ط1، 1986،2007 ص55-56.

[2] ينظر نفسه، ص56.

[3] فواز الشعار : الأدب العربي ، الموسوعة الثقافية العامة إشراف إميل يعقوب، دار الجيل، بيروت ط1، 1420ه-1999م، ص51.

[4] مقدمة منهجية في دراسة الشعر الجزائري أثناء القرن العشرين، مجلة دراسات جزائرية، يصدرها مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، جامعة وهران، العدد الثالث، مارس 2006، ص74.

[5] ينظر محمد بن رمضان شاوش، الغوثي بن حمدان: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، أو الأدب العربي الجزائري عبر النصوص المرتبة ترتيبا تاريخيا من الفتح العربي إلى عصرنا، ا لمد 1-2 الجزء الرابع العصر الحديث ، دار البصائر ، ا لمد الرابع ، ص209.

[6] ينظر محمد ناصر: الشعر الجزائر الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925،1975، دار الغرب الإسلامي، 28أكتوبر 1983، ط1985،1 ط2-2006م، ص30-31.

يرى **محمد ناصر** أنّ حداثة الشعر الجزائري تبدأ مع سنة1925؛ حيث يقول«والحق أنّ كل الذين درسوا تطور الحركة الأدبية متفقون على أن البداية الحقيقية لها إنما ترتبط برباط وثيق ببداية الحركة الإصلاحية في الشعر الجزائري، وأنّ الحداثة بمفهومها الصحيح إنما تبدأ في هذه الفترة لا قبلها»[1]. وهذا يعني أن الفترة الحديثة في الشعر الجزائري هي فترة السنوات العشرين من القرن العشرين.

اشتهر في القرن التاسع عشر **الأمير عبد القادر** (ت 1883م) الذي عكس واقع الشعب الجزائري قبل الحرب العالمية الأولى، ودعا إلى الأخذ بأسباب المدنية، وطلب العلم، ومحاربة الجهل والإصلاح الاجتماعي، وكان شاعر الفروسية يستلهم قيم البطولة والفداء والتضحية، ممجدا لمعاني السمو والاعتزاز بالقومية، فزرع بذور الإحياء في الشعر، مخلدا لبطولات المقاومة المسلحة ضد الغزاة، "وإذا كان القرن التاسع عشر على امتداده الطويل لم يكن يعرف إلا شاعرا فحلا واحدا في الجزائر هو الأمير عبد القادر، فإنّ مطالع القرن العشرين بدأت تشي بوجود مجموعة من الشعراء"[2]، لعل من بينهم: عمر بن قدور، وسعد الدين الخمار، والمولود بن محمد ابن الموهوب، والطاهر بن عبد السلام، ومفدي زكريا ومحمد العيد آل خليفة، وأحمد سحنون وغيرهم.

2- مضامين الشعر الجزائري الحديث وخصائصه:

لا تختلف مضامين الشعر الجزائري الحديث عن كل شعرٍ يصور حياته المعاشة ومجتمعه، ويكون صدى للأحداث التي تؤثر في الحياة العامة؛ لأنّ «الشعر أو الفن بصورة عامة يجب أن يكون صورةً للحياة الإنسانية وتطورِ البشرية الحضاري، وليست صورةً محددة للبيئة الضيقة... لأنّ أوجاع الإنسانية ومشكلا ا النفسية تكاد تكون واحدة، فالألم والحب والبغض، والثورة على الظلم، والاحتجاج على الطغيان، والدعوة إلى الخير ومحاربة الشر،

[1] محمد ناصر: الشعر الجزائر الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925،1975 ص30.

[2] عبد الملك مرتاض: مقدمة منهجية في دراسة الشعر الجزائري أثناء القرن العشرين، مجلة دراسات جزائرية ، يصدرها مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، جامعة وهران، العدد الثالث، مارس 2006، ص69.

تنقل الشاعر من عالمه المحدود إلى عالم واسع، ويصبح مضمونه الشعري أكثر فهما، وأعمق أثرا في النفوس متى خرج من المحيط الضيق إلى العالم الرحيب»[1]، فالشاعر المبدع حين يعبر بعاطفته الصادقة عن معاناته ينقل المضمون من حياته الخاصة إلى الحياة الإنسانية عامة.

ابتلي الشعب الجزائري بنكسات سياسية وفكرية كان القصد منها قتل الشخصية العربية الإسلامية، والقضاء على التراث الأصيل، فكان لزاما على الشعر أن يصلح الناقص في مجتمعه، فارتبط بفكرة النضال منذ حلول الغزو الاستعماري، وكانت الموضوعات الشعرية خلال القرن التاسع عشر في الحرب والحماسة وإحياء البطولات، وتظهر هذه الموضوعات في شعر **الأمير عبد القادر**، كما نجد في شعره التعبير عن الوجدان الوطني الملتهب وحرارة الانفعال بالانتماء والغزل والرثاء والفخر. وظهرت بعض الأغراض الدينية «مثل مدح المشائخ والكبراء والتغني بمآثر الأولياء الصالحين والتغزل في الذات الإلهية والتوسل بمدح الرسول وآل البيت»[2]، أما الموضوعات الذاتية فنجد بعض القصائد «في الغزل التقليدي المتكلف، والفخر القائم على التباهي بالأجداد والأنساب والتذمر من العصر وأهله... والإخوانيات مثل التهنئة بمولود أو بترقية أو بوسام»[3]. ومن بين المضامين كذلك" البكاء على الوضع الذي كان قائما، وتجديف على القدر الذي كان يومئذ متنكرا متعنتا، الانحناء باللوائم على صروف الحدثان وكلوح وجه الزمان"[4].

ومع مطلع القرن العشرين بدأت تلوح في الأفق بوادر النهضة في الشعر، وكان موضوع الإصلاح ويقظة الضمير الديني والوطني، والدعوة إلى تعلم اللغة وتملك ناصيتها، وضرورة تقدم الأمة وبعث تراثها من أهم المضامين الشعرية في العصر الحديث.

---

[1] يوسف عز الدين: التجديد في الشعر الحديث، بواعثه النفسية وجذوره الفكرية، ص188.

[2] محمد ناصر الشعر الجزائر الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975 ص19.

[3] نفسه ، ص19.

[4] عبد الملك مرتاض: مقدمة منهجية في دراسة الشعر الجزائري أثناء القرن العشرين، مجلة دراسات جزائرية ، يصدرها مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، جامعة وهران، العدد الثالث، مارس 2006،ص88.

والمضمون الشعري سبيلٌ للجمال الفني والتطور الأسلوبي، ويحوي ما يفيد الحياة ويقدم في محتواه الهدف النبيل، والحياة السامية، والمتعة النفسية واللذة الفكرية[1]. فلم يصبح الشاعر يمدح ملكا، ولا يقف على الأمراء والنبلاء؛ لأنّ الشعر خرج إلى ا تمع ومثّل مشكلاته وآلامه وسعادته ومصائبه وأحزانه.

وجد شعراء العصر الحديث أنفسهم «نتيجة لمنجزات العصر ومتغيراته في المفاهيم، في مجتمع مشغول بتقدمه العلمي والتكنولوجي»[2]. فكانت من بين مضامين الشعر وموضوعاته المقارنة بين العربي بتقاليده وعاداته والغربي بحضارته ومخترعاته، والدعوة إلى ضرورة الأخذ من الحضارة لتقدم الأمة وبعث تراثها، ومظهرا من مظاهر الفخر والاعتزاز.

وكان الشعر الجزائري شعر قضية ونضالٍ ضد الاستعمار، والاعتزاز بالوطن وأمجاده، والتعبير عن حبه وحقوقه؛ وكان «يبتعد عن الحزبية، ويتمسك بالروح الوطنية العالية، ويوجه النقد للأحزاب، ويدين خلافا ا، ويحث على الوحدة الوطنية ويعتبرها سلاحا مهما»[3]؛ لذلك اهتم الشاعر الجزائري بموضوع الوطن، فكان الشاعر يدعو إلى الاتحاد ونبذ التفرق.

3- أغراض الشعر الجزائري الحديث واتجاهاته:

اتسم الشعر الجزائري بالتشابه في الأغراض والمواضيع، وهذا يعود لحركة الإصلاح وأثرها على النهضة الثقافية الموجهة إلى غايات دينية وأخلاقية وثقافية، وكان الشعر يدافع عن العقيدة الروحية للمجتمع «فبالدين استطاع الفرد الجزائري أن يحقق ذاته، واستطاع الشعب أن يقف أمام السيطرة الاستعمارية التي حاولت القضاء على شخصيته العربية الإسلامية»[4].

---

[1] يوسف عز الدين: التجديد في الشعر الحديث، بواعثه النفسية وجذوره الفكرية، ص187.

[2] السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث ، مقوما ا الفنية وطاقا ا الإبداعية، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 2005. ص28.

[3] أحمد شرفي الرفاعي: الشعر الوطني الجزائري، من سنة 1925إلى سنة1954، دار الهدى عين مليلة الجزائر ط1، 2010 ص230

[4] عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، الشعر الديني الإصلاحي، دار الكتاب العربي، ج2، ص163.



وكان الشاعر الجزائري يدعو إلى الحرية والتخلص من أثر المادة في الإنسان والتخلص من الجهل والتخلف، كما وقف الشاعر إلى جانب الشعب يبصره بواقعه ويبشره بمستقبل أفضل، ويربط بين الإنسان والأرض والقومية والدين، وكانت وظيفة الشعر وظيفة اجتماعية وسياسية وأخلاقية،[1] وهذه المضامين كلها جديدة في الشعر الجزائري الحديث.

اتصل الشعر الجزائري الحديث بالتراث العربي ومفاهيمه القديمة؛ مثل تعدد الأغراض الشعرية في القصيدة الواحدة وسمتا الوزن والقافية، وفي الوقت نفسه انعكست عليه بعض التيارات الأدبية الحديثة، كالتعبير عن روح العصر.[2] فقد امتزجت الحكمة بأغراض أخرى كالرثاء والغزل والفخر والهجاء، وهذا ما يجسد اتصال الشعر الجزائري بالمفاهيم القديمة، كما يظهر انعكاس التيارات الأدبية الحديثة في تأثر الجزائريين بال عة الرومانسية وتطبيق مفاهيمها، من خلال الاتجاه بالشعر إلى التعبير عن النفس ووصف إحساسها ومشاعرها، ومن هؤلاء الشعراء نجد **مبارك جلواح**.

اتجه بعض الشعراء بشعرهم وجهة اجتماعية بحتة، فاعتنوا بالمضامين والأغراض دون غيرها من جوانب الشعر، مما جعل شعرهم يؤدي دور الخطابة وأغراضها التعليمية الإرشادية، بينما استطاع بعض الشعراء أن يوفقوا إلى الجمع بين مهمة الشعر الفكرية الاجتماعية ووظيفته الجمالية، مما جعل شعرهم جميلا ومفيدا في الوقت نفسه.[3]

ومن بين الموضوعات التي تتسم بال عة الخطابية: الاهتمام بتحريك الهمم، وتغيير الواقع، والتأثير في النفوس، والدعوة إلى نبذ الخلافات والأحقاد، والحث على محاربة السلوك المنافي للدين والأخلاق. وهذه الروح الخطابية البارزة في الشعر تظهر جليا في الأساليب الإنشائية الغالبة على القصائد، من أمر و ي وتكرار العبارات وصيغ الدعاء، والتي يوظفها الشاعر ابتغاء التعبير عن رأيه والإقناع به.

---

[1] ينظر، نفسه، ص163-164.

[2] ينظر أحمد شرفي الرفاعي : الشعر الوطني الجزائري من سنة1925إلى سنة1954. ص143-144.

[3] ينظر: نفسه، ص163.

كانت الأغراض الشعرية مثل الغزل والفخر والهجاء «نادرة في شعرهم وغالبا ما يربطون بينها وبين الغرض الوطني»[1]، فكان الغزل موجها توجيها سياسيا ووطنيا، يقول **رمضان حمود** «فمن تعلقت نفسه بالمدح فليمدح الأخلاق الفاضلة وينشرها بين قومه ، ويتشبث بالفضيلة، ومن يميل إلى الهجاء فليهج العوائد الفاسدة ويذم الرذيلة بأنواعها، ومن يحب التغزل فليتغزل في وطنه المقدس الذي يعيش فيه ويأكل من خيراته».[2] وكان موقف المصلحين من الشعر تحكمه اعتبارات دينية وأخلاقية صارمة، كما أنّ الصحف التي كانت تنشر الشعر كانت لا ترحب بشعر الغزل، ولا تنشر شيئا منه إلا بربطه بالوطن.

ارتبط الشعر الجزائري بالوطن العربي معبرا عن وحدة اللغة والدين والتاريخ والحضارة والمصير، فقد تشا بـت الأوضاع السياسية والاجتماعية التي خلفت مشاكل متشا ـة مثل انتشار الأمية، والجمود العقلي وضعف الحكم والركود.

لم يهتم الشعراء الجزائريون بالوحدة الفنية للقصيدة، وظلت المفاهيم الأدبية تقتصر على ربط الشعر بالحياة الوطنية وقضاياها، ومن أهم المؤثرات على تعدد الأغراض في القصيدة الواحدة، ضعف البيئة الثقافية الوطنية، وإهمال النقد الأدبي والدراسات الأدبية، وضآلة التكوين الثقافي للشعراء أنفسهم، ومع تطور الشعر الجزائري أصبح الشاعر يراعي في القصيدة وحدة التجربة والمشاعر والتنسيق بينهما.[3]

أما من جهة الأسلوب فقد كان الشعراء الجزائريون ينظرون إلى الأسلاف نظرة إعجاب وانبهار و«وجدوا في قصائدهم النماذج التي احتذوها وقلدوها في الأسلوب وطرق البيان وفي بناء القصيدة... فكثير من قصائدهم تدخل في مجال المناسبات، وأنّ بعضها كان

[1] أحمد شرفي الرفاعي : الشعر الوطني الجزائري من سنة1925إلى سنة1954، ص230.
[2] صالح خرفي: رمضان حمود، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ص100.
[3] ينظر أحمد شرفي الرفاعي : الشعر الوطني الجزائري من سنة1925إلى سنة1954 ص174.



الشاعر فيها يعبر عن ذاتيته وتأملاته الخاصة، وهي التي تبدو فيها شخصيته المتفردة وأصالته الواضحة»[1]، من هنا كانت المضامين مستقاة من التراث.

أسهم الشعر الجزائري بقسط وافر في«اندلاع الثورة الجزائرية المظفرة واشتعالها؛ حيث أنّ النهضة تلتها اليقظة ثم الثورة»[2].

وبالنسبة لاتجاهات الشعر الجزائري الحديث فقد أصبح الشعر متعدد الأغراض متماشيا مع الواقع الاجتماعي، فظهر الشعر الوطني والاجتماعي والسياسي والشعر الوجداني؛ حيث تطورت«أشكال قديمة فعرف الفخر في الشعر منحى وطنيا متطورا ناضجا حارا، فشاع الشعر السياسي، القومي والرمزي وغير ذلك»[3]، فكان شعرا تقليديا محافظا اتسمت لغته الشعرية بالجزالة والفصاحة والسلامة، كما استخدم الشعراء لغة تقريرية مباشرة، أما البنية التعبيرية فكانت غنائية ذات أسلوب خطابي.[4] ومن أبرز شعراء هذا الاتجاه إبراهيم أبو اليقظان، ومحمد العيد آل خليفة، ومفدي زكريا.

أما الاتجاه الوجداني فتميزت اللغة الشعرية فيه بالرقة والهمس والشفافية، واهتم الشعراء بالجانب الفني محاولين تطوير الأسلوب باستخدام أسلوب الحكاية والقص والحوار.[5] ومن أبرز شعراء هذا الاتجاه مبارك جلواح، والأخضر السائحي، وأبو القاسم خمار.

ويمكن تلخيص خصائص الشعر الجزائري الحديث ومضامينه في النقاط الآتية:

- كان الشعر الجزائري تعبيرا صادقا عن مرحلة مؤلمة في تاريخ الجزائر.

---

[1] عبد الله الركيبي: الشعر الجزائري الحديث ، الشعر الديني الإصلاحي ج2،ص164.

[2] محمد بن رمضان شاوش ، الغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر ا لمد الرابع ص206.

[3] عمر بن قينة : في الأدب الجزائري الحديث تاريخا ...أنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية 2009، ص62

[4] ينظر محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية ، 1925-1975.ص268-269.

[5] ينظر، محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية ، 1925-1975.ص268-269.



- من المواضيع التي يركز عليها الشعر الجزائري: توعية ا تمع وتصحيح العقيدة من الخرافات والبدع، وتثبيت القواعد الصحيحة، والحث على المقاومة والدعوة إلى العلم، والتغني بالحرية والمساواة، والحقوق ، الحفاظ على اللغة.
- كان الشعر الجزائري مرتبطا في عمومه بالمناسبة الدينية أو القومية تبريرا لانطلاق مضامينه الكامنة، وهذا ما استدعى استعمال نبرة خاصة تؤثر في السامعين، وتحرك فيهم كوامن الشجن، فجاءت النبرة خطابيةً، واللغة سهلةً حتى تقترب اللغة من المتلقي ويصبح بإمكانه قراءة الشعر والاستفادة منه.
- تعددت الأغراض الشعرية في القصيدة، وقلت بعض الأغراض كالغزل؛ لأن الحالة الاجتماعية كانت تتطلب اهتمامات من نوع آخر.

يقول الشاعر محمد **بن أحمد دويدة القسنطيني** (ولد 1905م) ذاكرا مآثر الشعر:[1]

الشعر خير كفيلٍ بالرقي إلى ... أفُق الكمال وصرح العز والرتبِ
الشعر وحي الشعور الحَي تحمله ... رسلُ الحَماسة والأخلاق والأدبِ
الشعـر يبسطُ أيدي البخيل إلى ... إنفاقِ ما كسـبت يداه من نشبِ
كم كهرب الشعر مغلوبا على وطنٍ ... فَجرد السيف لو آيةَ الغـلبِ
يا حبذَا الشعر لولا ما بلينا بـه ... من الزمان الذي يقْضي على الأربِ
الشعـر كالروح مهما قام واثبه ... في القَلْبِ حرّك فيه نـشوةَ الطربِ
كم أمـةً قام فيها شاعـرٌ فَطـنٌ ... يجدد المَجد فَاستعلى على الشهـبِ
فَانظُر إلى الشرق في إبان نهضته ... تلْق فَتى الشعر يحدو الشرق في طَربِ
يحرك الجَامد الواهي على كسـلٍ ... حتى يهونَ على الـواهي لظَى اللهبِ

يلخص الشاعر في هذه الأبيات دور الشعر في الرقي والنهضة با تمع إلى أفق الكمال والعز، كما يذكر أهم مضامين الشعر كالحماسة والأخلاق وا د، والدعوة إلى

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج2 ص144.



الكرم والحرية، ويرى أنّ الشعر يحرك الروح ويطر ا وله القدرة التأثيرية حتى ولو كان المتلقي جامدا كسولا.

ومما سبق ذكره عرضنا أهم السمات والخصائص التي يمتاز ا الشعر الجزائري الحديث وفترته التاريخية ، وأهم أغراضه ومضامينه، دف تحديد زمنه وأهم أسباب إنتاجه كخطاب موجه إلى مجتمع معين، وإلى الإنسانية ككل، فهل كان شعرا حجاجيا؟

4- مفهوم الحكمة وتطورها:

4-1 مفهوم الحكمة:

يقول الله تعالى **ومن يؤت الحكْمَةَ فَقَد أُوتي خيراً كَثيراً** [1].

يرى ابن منظور أنّ الحكمة«عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم، والحكم والحكمة من العلم، والحكيم: العالم»[2] ، فمن أبرز معاني الحكمة: المعرفة والإتقان بالعلم والعقل.

والحكمة على وزن فعلة «من الحكم والأحكام، أما الحكم فيرد بمعنيين: أحدهما القضاء، يقال: حكم الشارع أو القاضي بكذا حكْما بضمٍ فسكون، والثاني العلم: يقال حكم حكما وحكمة، وأما الأحكام فيكون أيضا بمعنيين أحدهما الإتقان، يقال أحكم فلانٌ كذا إذا أتقنه، والثاني المنع: يقال أحكمت السفيه وحكمته أيضا منعته، وأخذت على يده... والحكمة العمل، وقيل الإتقان، وقيل العدل، والحكم، والنبوءة والقرآن والإنجيل، وقيل كل ما منع من الجهل وزجر عن القبيح ... ومنه في الحديث: إنّ من الشعر لحكمة؛ أي ما يمنع من الجهل وينفع وينهى عنه، والحكم والحكمة بمعنى واحد... وقيل حكمة أي

---

[1] سورة البقرة 269.

[2] لسان العرب، ا لد الرابع ، مادة (ح ك م)

عدلا يدعو إلى الخير والرشد ومحامد الأخلاق، وقيل الحكمة إصابة القول من غير نبوءة»[1]، فالحكمة الإتقان والمنع من الجهل ، والدعوة إلى مكارم الأخلاق.

والحكمة: «إصابة الحق بالعلم والعقل، ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم... ووضوح الرؤية، رؤية الحياة، وما يضطرب فيها على ما هي عليه أو قريبا مما هي عليه، وأنّ الحكم: انعكاسات وأصداء –إن صح التعبير- لنظرات سديدة وخطرات صائبة، فطرية كانت أو مكتسبة، فالحكم تمكن من معرفة الحياة وتعين المتسلحين ا على اجتياز درو ا بخطى مطمئنة»[2]. ومن هنا اتسمت الحكم بطابع تعليمي توجيهي، كما يتضح لنا أنّ أبرز المعاني اللغوية للحكمة هي: الفهم الدقيق والنظر السديد وإتقان الشيء وإحكامه ومعرفة الأشياء على ما هي عليه.

والشعوب السامية من أميل الناس إلى ضرب الحكمة وإرسال المثل، وما يزال الشرق منذ أقدم العصور إلى اليوم منبت الحكمة، ولاسيما بلاد الهند التي أغنت الآداب العالمية بتراثها الحكمي الذي لا يحده حد ولا يحصره نطاق، ولما كان العرب من الشعوب السامية والشرقية نبتت الحكمة على ألسنتهم منبتا طبيعيا، وذلك منذ بداء م في الجاهلية إلى عصورهم المتأخرة؛ نظرا لاحتكاكهم بالهند وفارس فأخذوا عنها في حكمهم شيئا كثيرا ضموه إلى تراثهم، واتسمت حكمهم بروعة البلاغة، وذلك لما فُطروا عليه من رفيع الأخلاق، ومن صدق النظر في الأمور والاستقامة في الطبيعة وصفاء السريرة.[3]

وللحكمة قدرة تأثيرية إقناعية بالغة الأهمية؛ حيث يقول **الماوردي**(ت450ه) بأنّ الأمثال والحكم «لها من الكلام موقع الإسماع والتأثير في القلوب، فلا يكاد المرسل يبلغ مبلغها، ولا يؤثر تأثيرها؛ لأنّ المعاني ا لائحة والشواهد ا واضحة، والنفوس ا وامقة،

---

[1] الحسن اليوسي: زهر الأكم في الأمثال والحكم تحقيق، محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، منشورات معهد الأبحاث والدراسات للتعريب ط1- 1401ه-1981م، ج1، ص25-26.

[2] محمد جابر الفياض: الأمثال في القرآن الكريم، سلسلة الرسائل الجامعية قضايا الفكر الإسلامي، الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1401ه 1981م، ص 108-109.

[3] ينظر فواز الشعار: الأدب العربي، الموسوعة الثقافية العالمية، إشراف إميل يعقوب، ص146.



والقلوب ا واثقة، والعقول لها موافقة، ولذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز، وجعلها من دلائل رسله، وأوضح ا الحجة على خلقه؛ لأ ا في العقول معقولة، وفي القلوب مقبولة»[1]، وحينما يتضح للناس سداد الحكمة ودقتها تصبح أكثر تداولا بين الناس وانتشارا، فتوجههم إلى السداد في القول والعمل، لكو ا دف إلى التوجيه والإرشاد والحث والوعظ.

والحكمة «خلاصة تجربة ومعاناة، ونظرة إلى الكون وا تمع يطلقها صاحبها، بكلام موجز ودقيق ليعبر عن حقيقة أو رأي، أو مبدأ ... ويوجه إلى الأجيال الصاعدة للاتعاظ والإرشاد، أو هي كل كلام إلى إنسان في سبيل هداية أو إرشاد أو تقويم اعوجاج، وذلك ضمن نطاق الحياة العملية والتصرف في حقلي الدين والدنيا، وقد درجت العادة في الأدب أن تكون الحكمة عبارة موجزة ذات مغزى أخلاقي؛ أي أن تكون مما يسمونه جوامع الكلم، وجوامع الكلم أقوال مرصوصة، موجزة العبارة، غنية المعنى، سهلة الحفظ لتركيب فيها متماسك الأجزاء مترابط الألفاظ، توحي فيها باللفظة، وتسوق فيها الكلمةُ الكلمةَ في تناغم موسيقي وتجاوب صوتي»[2]. فالحكمة تحمل معاني أخلاقية يقصد ا صاحبها توجيه المتلقين ووعظهم، فهي تعبر عن تجربة صادقة أو رأي ، وشروطها أن تكون عامة وشاملة، ولكي يكْتب لها الخلود، يجب أن تنطبق على كل الناس في كل زمان ومكان.

وتؤول معظم الحكم إلى« أمرٍ بشيء، وحث عليه، وذمٍ له، وتنفيرٍ منه، وتحذيرٍ من مغبة الإقدام على فعله، أو الاتصاف به، إن لم تكن تلك الحكم قد صيغت بصيغة الأمر والنهي المباشرين... فاتسمت بالإيجاز والاقتضاب، وربما ساعد على هذا الإيجاز تناولها فكرة أو خاطرة محددة أو تجربة جزئية ضيقة من تجارب الحياة اليومية... غير أنها مع ذلك لا تلبث أن تفلت من تلك التجارب الجزئية المحددة، لتكون قاعدة عامة مطلقة، وحكما كليا شاملا، إذ الحكمة تأبى التقييد وت ع إلى الإطلاق والتعميم والتجريد»[3]، فالحكمة تعبر عن خبرات



[1] علي بن محمد بن حبيب الماوردي: الأمثال والحكم، تحقيق ودراسة فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن للنشر الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط1- 1420ه-1999م ص20

[2] فواز الشعار: الأدب العربي الموسوعة الثقافية العامة ، إشراف إميل يعقوب ص146.

[3] محمد جابر الفياض: الأمثال في القرآن الكريم ص110-111.



الحياة اليومية في صيغة تجريدية، والحكماء أضافوا على المثل معنى مجرداً واستعملوا كلمات عامة، لتصبح مطلقة بعيدة عن الظرف الذي انتزعت منه.

وتبدو أهمية الحكمة في كو ا تقوم بـ«تصوير المعاني، وتصوير الأشخاص والأعيان أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، والمضمون الإنساني للحكمة يتصل بالطبائع البشرية من الخير والشر، والسعادة والشقاء والفضيلة والرذيلة»[1]. فالحكمة تحمل معاني إنسانية و دف إلى الإصلاح والتغير الوعظ والإرشاد.

2-4 نشأة شعر الحكمة وتطوره:

يشمل شعر الحكمة القصائد والأبيات التي يودعها الشعراء خلاصة تجار م في الحياة، وعصارة معانا م الاجتماعية والمصيرية، لتذيع بين الناس رسالة تربوية وتعليمية، يتعظ ا المتعظون، معبرة عن موقف الشاعر وتوجه إلى الأجيال القادمة ترشدهم وتعلمهم.

وليست الحكمة وليدة الانفعالات والإبداع الخيالي مثل الشعر الغنائي والوجداني؛ بل هي بنت النظر العقلي، فقد تحتمل الذاتية والشعورية والخيالية ولكن بمقادير محدودة، فطبيعة الشعر الغنائي تجعله أقرب إلى الذاتية منها إلى الموضوعية، أما شعر الحكمة فهو«خلاصةٌ نظرية تقوم على التبصر في شؤون الحياة عامةً واستخلاص العبرة منها، وصوغها الصياغة الفنية الممكنة التي تتمتع بإمكان البقاء بما يتيسر لها من عطش الفكرة والقيم الإنسانية، ومن فنية التعبير وجمالية الشكل في آن»[2] فشعر الحكمة صياغة فنية لتجربة في الحياة تعكس قيمة إنسانية.

وسنتتبع شعر الحكمة في العصور الأدبية من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث مع ذكر أهم شعرائها ومضامينها في كل عصر مع شيء من الإيجاز:



[1]علي بن محمد بن حبيب الماوردي: الأمثال والحكم، تحقيق ودراسة فؤاد عبد المنعم أحمد ص20-21.

[2] فواز الشعار : الأدب العربي الموسوعة الثقافية العامة، إشراف إميل يعقوب ص148.

1-2-4 شعر الحكمة في العصر الجاهلي:

جاءت الحكمة في الشعر الجاهلي« ومضات سريعة تلتمع هنا وهناك في كل الأغراض من مدح إلى هجاء إلى رثاء إلى فخر، إلى غير ذلك من الأغراض الأدبية التي عرفها العرب آنذاك، وحكمة هذا العصر سطحية؛ لافتقار العرب في هذا العصر إلى الفلسفة والعلوم، ولا نستطيع أن نعدها فلسفة؛ بل خاطرة فلسفية بسيطة؛ لأن الفلسفة تقتضي نظاما بسيطا يتسلسل تسلسلا منطقيا، يشمل الحياة والموت وما بعدهما، وهذا ما لا نجده عند الشعراء الجاهليين»[1].

وترجع حكمة العرب إلى «وثاقة الحلوم، وشدة العقول وفضل الم لة في تجارب الأيام... وأساس تلك الحكمة رسوخ الأخلاق فيهم بحكم العادة ونظَرِ كل امرئ إلى نفسه بحكم الطبيعة»[2]، فالحكمة عند العرب كانت تستند إلى الطبيعة التي جبل عليها العربي، ولم تقم على القياس والاستنتاج والفلسفة مثلما تمثّلت عند اليونان.

وكانت الحكمة «ترد في ثنايا القصيدة العربية القديمة، أبياتا مفردة ضمن القصيدة... ترددت في ثنايا قصائد كثير من الشعراء الجاهليين مثل زهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني»[3].

صرف العرب حكمتهم في الشعر «إلى ما يتعلق بالأخلاق والسياسة ولم يبالوا بتقرير مذهب من مذاهب أديا م»[4]، ومن المضامين والموضوعات التي تناولها الشعراء الجاهليون في حكمهم؛ أنّ الحياة ميدان جلاد وكرامة، وأنّ الحق فيها للقوة، وأنّ زينة المرء شرفه، وهكذا

[1] فواز الشعار : الأدب العربي الموسوعة الثقافية العامة، إشراف إميل يعقوب، ص148.

[2] مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب ، راجعه د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية، الجزء الثالث، صيدا بيروت 1427ه-2008م، ص113.

[3] نور الدين السد : الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995. ص349

[4] مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، راجعه د. درويش الجويدي، ص113.



حاولت الحكمة أن تعالج حسن التصرف في حياة العرب، من أجل الحفاظ على حياة الفرد وشرفه وقبيلته.

ومن أشهر الشعراء في هذا العصر، **زهير بن أبي سلمى**، و**عدي بن زيد**، و**لبيد بن أبي ربيعة.** أما زهير فحكمه منثورة في شعره، وخاصة معلقته وهي ثمرة التجربة والرصانة البدوية، وليدة العقل الهادئ الذي يفصل الأحكام في أسلوب تعليمي عام موجه إلى كل إنسان يريد أن يعيش عيشة مثلى يسودها السلام.[1]

وأكثر حكمة "**لبيد بن أبي ربيعة**" في شعره الذي رثى به أخاه، اتسمت حكمه بصدورها من القلب الذي اشتد عليه الحزن، والنفس التي لم تجد ملجأ تتعزى فيه غير التأمل في حقيقة الحياة، والعقل الذي لم يتجرد من العاطفة ، ولم يسلك مسلك الجمود النظري في ما ينثر من آراء. ومجمل آراء لبيد أنّ الحياة صائرة إلى الزوال، وأن كل ما يملكه الإنسان وديعة وأمانة لابد من ردها آجلا أو عاجلا، وأنّ الناس اثنان بان وهادم، وأنّ السعادة نصيب قسم من البشر والشقاء نصيب القسم الآخر؛ لهذا يتوجب على الإنسان أن لا يجزع إذا أصابته مصيبة، وأن يلزم الصبر.[2]

استخلص "**عدي بن زيد**" حكمه من خبرته الشخصية ومن مبادئه الدينية المسيحية، وركّز في مضامينها على أنّ خاتمة كل إنسان هي الموت، فهو لا يفرق بين كبير وصغير، ولا بين ضعيف وقدير، ولا بين غني وفقير.[3]

2-2-4 شعر الحكمة في صدر الإسلام والعصر الأموي:

نشطت الحكمة في هذا العصر وعمقت معانيها بفضل تأثرها بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وسير الخلفاء الراشدين. وكانت في بعض أشعار المسلمين« ما يذكر فيه أمر الآخرة أو تحقيق معنى من معاني الحكمة الأخلاقية»[1].

---

[1] ينظر فواز الشعار : الأدب العربي الموسوعة الثقافية العامة، إشراف إميل يعقوب ص149.
[2] ينظر نفسه، ص149.
[3] ينظر نفسه، ص149.



وتغيرت بعض المفاهيم الجاهلية القائمة على الأخذ بالثأر، والعصبية القبلية، وحلّ محلها مفاهيم إسلامية كالعفو والتسامح، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، والشورى وغيرها. وأشهر حكماء هذا العصر دون منازع الإمام "**على بن أبي طالب**" وقد جسدها في الشعر والنثر على حد السواء.[2]

كما اشتهر في العصر الأموي شعراء حكمة آخرون مثل **الكميت**، و**عبد الله بن قيس الرقيات**، و**الفرزدق**[3].

4-2-3 شعر الحكمة في العصر العباسي:

تطورت الحكمة تطورا كبيرا في هذا العصر، وخرجت من طور التجربة والدين إلى طور الفلسفة الاجتماعية والأخلاقية، وذلك بفعل احتكاك العرب بفلسفة اليونان وحكمة الهند وفارس، فامتزجت هذه الثقافات بالثقافة العربية الإسلامية عامة والعربية خاصة.

ومن أشهر شعراء الحكمة في هذا العصر: **المتنبي، وأبو العلاء المعري**.

أما **المتنبي** فهو شاعر الحكمة بلا منازع، تفرقت حكمه في أغراض كثيرة دون أن تنتظم في باب مستقل ولم تكن وليدة فلسفة كاملة؛ بل كانت خواطر تمليها الظروف المختلفة، ولعل مرد اشتهاره ثقافته العربية من جهة واطلاعه على حصيلة الترجمة فضلا عن ثمرة شخصيته الفذة المتمرسة بتجارب الحياة.[4]

أما **أبو العلاء المعري** فيبدو في حكمته رجل فكر وفلسفة يحاول أن يعمل الفكر، ويجمع في حكمته الجرأة والصراحة إلى القلق والحيرة، كان متشائما ناقدا وساخرا، مشمئزا



[1] مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب ص115.

[2] ينظر فواز الشعار : الأدب العربي الموسوعة الثقافية العامة، إشراف إميل يعقوب ص149-150.

[3] ينظر، نور الدين السد : الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي ص349.

[4] ينظر فواز الشعار : الأدب العربي الموسوعة الثقافية العامة، إشراف إميل يعقوب، ص150.

من الحياة والناس، أراد أن يكون الشك رائده فأرسل عقله سوطا في رقاب أهل الجمود والتقاليد البالية والخرافات.[1]

كان ا تمع في العصر العباسي في أمس الحاجة للحكمة، فلجأ الشعراء إلى التعبير عنها ليحفظوا توازن ا تمع وسلامته؛ ولم تخل من نفحات فنية وجمالية على المستوى الشعري؛ بل زاوجت فيها الغنائية بأبعادها المتعددة، والتعبير عن أبعاد الحركة الاجتماعية والسياسية، كما اشتهر في هذا العصر الشاعر بشار بن برد[2]. الذي يركز في حكمته على الشورى.

وكان صالح بن عبد القدوس من الشعراء الفلاسفة وجميع شعره في الحكمة والأمثال«وكان مذهبه مذهب السوفسطائية الذين يزعمون أنّ الأشياء لا حقيقة لها، وأن حال اليقظان كحال النائم، له كتاب أسماه "كتاب الشكوك" قال فيه: كتاب وضعته من قرأه شك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن، وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد كان»[3]. وهذا يعني أن مزجه بين الحكمة والفلسفة جعله يتبنى مفهوم الشك القائم على التضليل والمغالطة.

4-2-4 شعر الحكمة في عصر الانحطاط:

اتجه الشعر في هذا العصر نحو الصنعة والنظم ، فازدهر الشعر التعليمي، كما ازدهرت المواعظ والنصائح، واستقل شعر الحكمة والشعر التعليمي لأول مرة بقصائد وأراجيز مستقلة، ولعل أبرز قصيدة حكمية في هذا العصر لامية الأديب والشاعر واللغوي والفقيه عمر زين الدين المعروف ب"**ابن الوردي**" (ت1349هـ) **،** التي جعلها للنصح والإرشاد، تتضمن أخلاقا وآداب النفس وآداب المعاملة، تقوم لاميته على نظرة جدية للأشياء من غير تزييف ولا تمويه، فالحياة قصيرة مهما طالت والموت أمر محتوم على كل إنسان، فسبيل

[1] ينظر فواز الشعار : الأدب العربي الموسوعة الثقافية العامة، إشراف إميل يعقوب، ص151.
[2] ينظر نور الدين السد : الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي ص349.
[3] مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ص117.

العاقل أن يلزم جانب الرصانة، وينظر إلى عاقبة كل شيء ، و أن ينمي عناصر الشخصية، وعلى النفس أن تتسلح بالقناعة، وتحصيل المعرفة وتقويم اللسان .[1]

4-2-5 شعر الحكمة في العصر الحديث:

نضجت الحكمة في عصر النهضة نضوجا كبيرا؛ نظرا لتقدم العلوم فيه، وتطور الفكر الإنساني في مجالات الفكر والثقافة والحضارة، فاتسمت بميسم المثل الإنسانية، والتمسك بالفضيلة، والدعوة إلى الحرية والاستقلال والمساواة الإنسانية في كافة ا الات. ومن أبرز من يمثل شعر الحكمة في هذا العصر الأديب اللبناني **ناصيف اليازجي،** الذي كانت حكمه منثورة في قصائد مدحه ورثائه، ومن موضوعات حكمه، التأمل في مصير الإنسان، والموت الذي يودي بكل شيء، والحث على الزهد في حطام الدنيا والدعوة إلى القناعة والعلم ومصاحبة ذوي المعرفة وذوي النفوس الكبيرة، والابتعاد عن البخل والفحشاء.[2]

5- الحجاج في شعر الحكمة الجزائري:

يسعى الشاعر في غرض الحكمة إلى إحداث التأثير في المتلقي وإقناعه بوجهة نظره، والحكمة قول بليغ موجز يحاول سن نظم خلقية يتبعها الناس فيما يرضـونه من خصال وسلوك، أو ما ينكرونه من أفعال وعادات، تصاغ في بيت شعر أو مثـل، أو عبارة أنيقة موجزة غزيرة المعنى، والحكمة تمثل قيماً كثيرة منها: دينية، وتاريخيـة، واجتماعية، وسياسية، وعقلية، وتربوية؛ لأ ا تعكس بيئة ا تمع وحياته الأخلاقيـة، وتصرفات الفرد فيه، لأنه ابن بيئته. ويجتمع في الحكمة أربعة أمور هي: إيجـاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية.

ويعبر شعر الحكمة «عن تجربة ذاتية أو مشاهدة عامة بتأملٍ ووعي، والهدف منه تقرير مبدإ، أو توجيه سلوك إنسان أو مجتمع، والسمو به إلى ما يعود إلى خيره وصون

[1] ينظر فواز الشعار : الأدب العربي الموسوعة الثقافية العامة، إشراف إميل يعقوب، ص151-152.
[2] ينظر نفسه ص152.

كرامته أو يوجه إلى الأجيال الطالعة في جملة مواد الإرشاد الأخلاقي والتعليم التربوي»[1]، يلتقي شعر الحكمة مع الشعر التعليمي، غير أن وجه الفرق بينهما يظهر في كون الأول قابل لاستيعاب الصور البلاغية، والقصص الخرافية والأسطورة وهذه الأمور يفتقر إليها الشعر التعليمي.

وتصدر الحكمة عن خبرة طويلة، وتجربة عميقة، وتدخل في جل أساليب القــول، فاستعمالها خفيف، وتداولها سهل يسير، فهي من أجل الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله، لقلة ألفاظها، وكثرة معانيها، وقدر ا على الإقناع «بفضل كثافتها التعبيرية التي تختزل خلاصة تجربة حياتية، ولذلك فهي ترد على سبيل الاستدلال ... وينبغي للصور الحكمية أن تقترن بوسائل التخييل حتى ترتفع فعاليتها الحجاجية، فتتمكن من إغراء المتلقي للإقبال على موضوع الخطاب؛ لأنّ الاستمالة والإقناع يتطلبان المزاوجة بين المضمون العقلي للحجة، وصورها البيانية، حتى يلتبس التبرير العقلي بالعناصر التزيينية مما يساعد على تمرير رسالة النص»[2]، حيث يلبس الشاعر مضمونه الفكري ألبسة أسلوبية وبلاغية وطاقات صوتية وإيقاعية حتى يتمكن من إحداث التأثير المطلوب، فيكون شعره أكثر فاعلية في الإقناع؛ لأنّ وظيفة الحكمة هي تنشيط الخطاب والتأثير في المتلقي من خلال الإمتاع والإقناع.

ويجتمع في شعر الحكمة قدرة الإقناع ولذة الإمتاع ورونق الإيقاع، وهذا ما يجعله مدونة خصبة في ميدان الحجاج «وقد تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع، فتكون إذ ذاك أقدر على التأثير في المخاطب وتوجيه سلوكه لما يهبه هذا الإمتاع من قوة واستحضار الأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخاطب كأنه يراها رأي العين»[3]، فجمالية القول الشعري بصوره البلاغية وسيلة لاستدراج المتلقي نحو الإقناع.

---

[1] فواز الشعار : الأدب العربي الموسوعة الثقافية العامة، إشراف إميل يعقوب ، ص59.

[2] مصطفى الغرافي: الأبعاد التداولية لبلاغة حازم من خلال اج البلغاء وسراج الأدباء، مجلة عالم الفكر، العدد1، ا لمد40 ،يوليو - سبتمبر 2011، ص285.

[3] طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة2007، ص38.



تنبني الحكمة في الشعر على قياس فكري حجاجي، فهي مستمدة من تجارب الشاعر الحياتية؛ فتكون كل مقدمة تقود المتلقي إلى نتيجة مقنعة «فالحكمة عند الشاعر شديدة الفاعلية، بعيدة الأثر وهي في تراص ألفاظها وانضباط تعابيرها، وروعة بيا ا، من أشد عوامل التأثير»[1]، وهي بذلك من أقوى الحجج الإقناعية.

جاءت أغلب الحكم في الشعر الجزائري متناثرة ومبثوثة في القصائد ممزوجة بأغراض أخرى؛حيث تمتزج الحكمة بشعر الثورة والإصلاح، كما تمتزج بغرض الرثاء، ومن الحكم التي يستخلصها أغلب الشعراء هي حتمية الموت ابتغاء جعل المتلقي يسلم بالأمر الواقع، كما قد نجد الحكمة في أغراض أخرى، وربما هذا ما جعل القدماء يرون أنّ الشعر يتناسب مع الحكم الموجزة، فـ«الشعر رسائل معقودة، والرسائل شعر محلول، وإذا فتشت أشعار الشعراء كلها وجد ا متناسبة، إما تناسبا قريبا أو بعيدا، تجدها متناسبة لكلام الخطباء وخطب البلغاء وفقَر الحكماء»[2].

سمي الشاعر شاعرا لأنه يحس بما لا نحس؛ ولأنه«يشعر من معاني القول وإصابة الوصف بما لا يشعر به غيره».[3] يت ل الشاعر في غرض الحكمة م لة الواعض المرشد أو الناقد المغير المصلح، فيحاجج ويؤثّر ويقنع.

ويكون حجاج الشاعر أبلغ وأقدر على تحقيق الإقناع؛ لأنه يحرك النفوس ويحقق الانفعال من خلال شعره، وخاصة في شعر الحكمة الذي يهدف إلى تغيير أفكار المتلقي وسلوكه ومواقفه؛ فيستعمل الحث والتحريض؛ «وكلما كان الشاعر صادقا في معاناته ساعيا إلى تبليغ خطاب ما، راميا إليه كلما كان شعره أكثر حجاجية»[4]، وهذا يعني أنّ القوة الحجاجية نسبية، فقد تضعف وتقوى، تشتد وتنقص حسب صدق الشاعر في إحساسه.

[1] حنا الفاخوري: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، الأدب المولد، دار الجيل بيروت ا لد 2 ، ط2،1411ه-1991م، ص419.

[2] محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي: عيار الشعر، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد زغلول سلام، ص114.

[3] قدامة بن جعفر: نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1402-1981م ص77.

[4] أبو بكر العزاوي: الحجاج في الشعر، ص100-101.

أما الشعر غير الحجاجي فـ«هو عبارة عن تلاعب بالألفاظ تكون الغاية منه إظهار البراعة في استعماله اللغة والتمكن من قوانين الصناعة الشرعية»[1]، لكن هذا الأمر قد ينبني كذلك على خطة حجاجية، فالشاعر بإظهاره لبراعته في التلاعب بالألفاظ، قد يهدف إلى الاحتجاج على قدرته الفائقة على قول الشعر وصياغته، ليؤثر بذلك على المتلقي ويجعله يستحسن قوله فيعجبه.

يخاطب الشاعر عاطفة المتلقي ويحاول حمله على الإذعان مستعملا في ذلك أساليب الإغراء المتنوعة ليحقق الإثارة والتأثير، فهو يحرص على أن يظهر بمظهر النصوح الحكيم الذي يعينه على بلوغ قصده، فمن شأن الشعر«أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل له ومحاكاة مستقلة بنفسها، أو متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام أو قوة صدقه، أو قوة شهرته أو بمجموع ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب، فإنّ الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثرها»[2]. فالتعجيب والإغراب والتخييل عناصر تشد انتباه المتلقي تدهشه وتؤثر فيه، وإذا حصل الانفعال والتأثير أذعنت نفس المتلقي ورضيت بما يمليه الشاعر من أفكار فيحقق أغراضه الحجاجية، فينتج عن ذلك كله اقتناع المخاطب.

ويرتبط الحجاج بمقام الخطاب، فالحجاج «ليس عملية حشد الحجج وربط مفاصل الكلام، وتعليق بعضه ببعض فحسب؛ بل يعني كذلك جملة من الاختيارات الأخرى على مستوى المعجم والتركيب وأزمنة الأفعال وصيغ الكلمات وأنواع الخطاب وتستجيب لعلاقة الشاعر بالمتلقي وتلائم وضع المتلقي ومقتضيات المقام»[3]؛ لذلك يتعين على الشاعر أن يختار الأوقات المناسبة، ويتفقد أحوال المتلقي فيقصد ما يحبه ويتجنب ما يكرهه، ويلائم كلامه مقامه فلكل مقام مقال، «ولكل مكان مقال، ولكل كلام جواب، مع أن الإيجاز أسهل

---

[1] أبو بكر العزاوي: الحجاج في الشعر ، ص100.

[2] حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص71.

[3] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص88.



مراما وأيسر مطلبا من الإطناب، ومن قدر على الكثير كان القليل أقدر»[1]؛ لذلك يجب على الشاعر أن يراعي المقام وأحوال مخاطبيه، وكذا مراعاة الإيجاز.

وفي إطار حديثه عن علاقة الاشتراك بين طرفي الحوار يقول **طه عبد الرحمن:**«فما تكلم أحد إلا وأشرك معه المخاطب في إنشاء كلامه كما لو كان يسمع بأذن غيره، وكان الغير ينطق بلسانه، فيكون بذلك إنشاء المتكلم بالسبق الزمني ما كان ليلزم عنه انفراد بتكوين مضمون الكلام؛ بل ما أن يشرع المتكلم في النطق حتى يقاسمه المخاطب دلالاته؛ لأنّ هذه الدلالات الخطابية لا ت ل على ألفاظها تزول المعاني على المفردات في المعجم، وإنما تنشأ وتتكاثر وتتقلب وتتعرف من خلال العلاقة التخاطبية»[2]. فالعلاقة بين المتحاورين تسهم في إنشاء الدلالات وتفاعلها وتأثيرها، والشاعر يستند إلى علاقته بمخاطبيه حتى يتمكن من التأثير فيهم.

ومراعاة المقام تساعد على تحقيق القدرة الإقناعية للخطاب الحجاجي، وهي «أمر لا غنى عنه متى رام الفعل في الآخر وأراد إقناعه... بل إن حاجة المتكلم إلى مراعاة المتلقي والاستحواذ على انتباهه في مرحلة أولى ثم الفعل فيه في مرحلة ثانية أمر قد أجمع عليه الدارسين المهتمين بالحجاج وأفانينه»[3]. وتحديد مدونة البحث في غرض الحكمة بالذات حصر لمقام الشعر من جهة أولى، وما توفره الحكمة من قدرة فائقة على الإقناع من جهة ثانية، ولأنّ أقوى الحجج في الشعر غالبا ما تكون حكمة وعظية إرشادية دف إلى إصلاح المتلقي من جهة ثالثة.

يقول الشاعر الجزائري **أبو الحسن علي بن صالح**:[4]

وما الشعر إلا حكْمةٌ وحماسةٌ وعلْمٌ وآدابٌ وعزم مهند



[1] رسائل الجاحظ الفصول المختارة من كتب الجاحظ اختيار الإمام عبيد الله بن حسان ، شرح وتعليق محمد باسل عيون السود، ا لمد2، الجزء4، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1420ه،2000م ص114.

[2] طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص45.

[3] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم ص90.

[4] الديوان : المؤسسة الوطنية للكتاب، شعراء الجزائر 1984، ص101.

وقد لا يتقيد الشاعر بالأحداث الخاصة؛ بل يستمد من نظرته العميقة والواسعة إلى الكون؛ ولأنه يرغب في الإقناع، فإنّ وظيفة الشعر هنا تكون جمالية بالدرجة الأولى،«وكون عالم الشعرية يوجه عنايته إلى الشكل الجمالي وحده شيء، والحكم أن الشعر خطاب غير حجاجي شيء آخر، إن عالم الشعرية يسيج موضوعه الذي يشتغل فيه وهو شكل النص وجماليته، هو الشكل الذي يتمتع بمفاهيم ومصطلحات ومجال اشتغال متميز، غير أنّ لا شيء يمنع تدخل عالم الحجاج في نفس حقل الشعر لدراسته باعتبار مقاصده الحجاجية»[1]؛ فالجوانب الجمالية في الخطاب الشعري تجعله مزودا بقيم حجاجية قوية؛ إذ تخرج المتلقي من التذوق الجمالي إلى نوايا حجاجية بارزة، تعدل من مواقفه وتؤثر فيه، مما يجعل البعد الجمالي للنص الشعري يضطلع بوظيفة حجاجية، ولكن لا ينبغي للشاعر أن يكثر من الصور البيانية والمحسنات البديعية فلا يكون النص إبلاغيا ولا واضحا؛ بل يسوده الغموض فلا يحقق المنفعة المتوخاة ولا إثارة انفعال المتلقي.

جاءت الحكمة متناثرة ومبثوثة في قصائد الشعراء الجزائريين، وممتزجة بباقي أغراض الشعر بمعنى أ ا جاءت لدعم الحجج في شتى الأغراض الشعرية. ولقد ربط الشاعر شعره بالحياة التي يعيشها ويتفاعل معها ويعنى بقضاياها، إذ كان الشعراء يهتمون بأثر الأحداث على نفوسهم يصورو ا ويعبرون من خلال ذلك عن تجار م الخاصة.

والواقع أنّ القدامى لم يروا مانعا في تعدد أغراض القصيدة الواحدة؛ فلم يركزوا على وحدة الموضوع؛ بل ركزوا على وحدة المستوى من حيث الفصاحة وجزالة الألفاظ؛ إذ «يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها، نسجا وحسنا وفصاحة وجزالة ألفاظ ودقة معان وصواب تأليف، ويكون خروجا لطيفا، حتى تخرج القصيدة كأ ا مفرغة لا تناقض في معانيها ولا وهي في مبانيها ولا تكلف في نسجها»،[2] وهذا يدلّ على أنّ وحدة الموضوع ليست الوحدة النابعة من محور فكري واحد والتعبير عن تجربة شعورية؛ بل الوحدة يجب أن تكون على المستوى الفني لغة وأسلوبا .

---

[1] محمد الولي: مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، عدد40، أكتوبر – ديسمبر 2011 ص15.

[2] ابن طباطبا محمد العلوي: عيار الشعر، ص126.



ويحرص الشاعر في مقام الحكمة على«ارتداء ثوب الحكمة والظهور بمظهر الناصح المخلص الذي خبر الحياة وأحداثها وتمرس بالدهر وناسه»[1]، وتحضن التراكيب اللغوية في الحكمة، ملخص تجربة إنسانية تنحو منحى أخلاقيا توجه سلوك متلقيه لتؤثر فيه. وترمي إلى الإصلاح الاجتماعي وتقويم اعوجاجه، أو على الأقل الإفادة بالتجربة المتفق عليها.

ولأنّ الحجاج في الحكمة يستدعي قضايا أخلاقية فإنّ«كل فعل يستدعي من فوق الأخلاق الذي تضع حدوده انطلاقا من المعايير الخارجة عن اشتغال الفعل نفسه، ويظل الحجاج من دون هذا الاستدعاء محكوما عليه بأن يمتلك معيارا واحدا هو الفعالية»[2]، وتأثير سلطة الأخلاق واسع جدا للأذهان، وهي ضرورية لأجل أن يتمكن الحجاج من تحقيق وجوده، وتأكيد هذه الأخلاق ليس بإعاد ا بصفة دائمة بل تأكيدها بكيفية ملموسة.

يتوافق الشعر مع الوظيفة البلاغية والتأثير الذي يقود إلى بعث الإحساس والإمتاع، وهذه الأمور كلها ركائز حجاجية إقناعية تستميل القلب والعقل، ولهذا فإنّ معنى الحجاج يتسع ليشمل الشعر كذلك، إنه الخطاب الذي يسعى إلى تغيير أو تثبيت موقف بالتأثير في المتلقي بالكلام سواء كان مأخوذا من العواطف والانفعالات أو من الجانب الفكري العقلي؛ بل إننا إذا أردنا أن نزيد من درجة القوة الحجاجية للفكرة ينبغي أن ندعمها بعناصر شعرية أو عاطفية فتتمكن من قلوب السامعين وتشعل فتيل انفعالهم، فالبيت الشعري في حد ذاته حجة وشاهد يلجأ إليه المحاجج ويقوي به فكرته ورأيه أو يدحض به رأي مخاصمه.

خامسا: الحجاج في شعر الحكمة بين الإقناع والاقتناع:

يعد الإقناع هدفا أساسيا من أهداف التواصل الاجتماعي، ولقد عرفه **حازم القرطاجني** بقوله إنه«حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده، أو التخلي عن فعله

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم ص90.

[2] فيليب بروطون : الحجاج في التواصل، ترجمة محمد مشبال ، عبد الواحد التهامي العلمي، إشراف كاميليا صبحي، المركز القومي للترجمة، ط1 ص39.

واعتقاده»[1]، وقد يؤدي الإقناع إلى جعل المتلقي يعتقد بصحة الفكرة، ولكنه قد لا يلتزم ا سلوكا عمليا .رد تصديقه ا، وهو ما يجعله رهين التناقض بين القول والعمل.

والإقناع من أساليب التأثير على المتلقي حين يحمل المتكلم خطابه شحنة منطقية يحاول ا إلزام المتلقي على التسليم بمدلول رسالته.[2] وتزداد هيمنة التأثير الإقناعي بصفة واضحة في الخطاب الحجاجي الذي تستعمل فيه وسائل الإقناع التي«لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تدرج على منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية تجر الغير جرا إلى الإقناع»[3].

ميز علماء البلاغة والحجاج بين«الحمل على الإقناع La persuasion والاقتناع Conviction إذ من سمات الاقتناع أنه يكون عقليا وأساس الإذعان وأصل الحجاج، أما الحمل على الإقناع فهو إقناع قائم على لي الرقاب حتى تذعن وتطيعك (العنف الرمزي والعنف الحجاجي)»[4] ، حيث يتأسس الاقتناع على التصديق الإرادي العقلي بينما الإقناع إجبار المتلقي وإلزامه بكل الوسائل حتى غير العقلي منها عن طريق المغالطة.

وهدف الحجاج هو«تحقيق الاقتناع Conviction الذي هو غاية الحجاج يقع في منطقة وسطى بين الاستدلال La démonstration والإقناع La persuasion»[5]، والاستدلال لا تقوم عناصره على التعدد والاشتراك ولا يرتبط بمقام معين، فمقدمات الاستدلال تؤدي دون لبس إلى نتائج محددة، وليس الحجاج من هذا القبيل؛ لأنه محتمل والحقيقة فيه غير مضمونة، كما أن الحجاج« ليس إقناعا

---

[1] منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص102.

[2] ينظر: طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص86.

[3] نفسه، ص82.

[4] على الشبعان: الحجاج بين المنوال والمثال، نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، مسيكيلاني للنشر، تونس، الطبعة الأولى، 2008. ص86.

[5] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ، ص14.

persuasion، على اعتبار أنّ الإقناع يكون بمخاطبة الخيال والعاطفة، مما لا يدع مجالا لإعمال العقل ولحرية الاختيار»[1].

يعد الإقناع إحدى جهات القول الأساس للتواصل، الذي يكون القصد منه إما التعبير عن إحساس أو عن حالة أو عن نظرة فريدة إلى العالم والذات؛ أي وصف موقف معين على نحو أكثر موضوعية، أو أن يكون القصد منه أيضا الإقناع«بواسطة أدلة تحمل المتلقي على الانخراط في رأي ما، فالتعبير والإخبار والإقناع ثلاثة سجلات غير مختلطة، على الرغم من أنّ الحدود بينهما ليست دائما بالدقة التي تفترضها النظرية وذلك بفعل ثراء الكلام الإنساني»[2]، فالقصد العام من التواصل الإنساني إما تعبير وإخبار، أو وصف موقف أو إقناع.

قسم "**بيرلمان**"Perelman و**تيتكا**"Tyteca الحجاج حسب نوع الجمهور إلى قسمين **حجاج إقناعي**L'argumentation persuasive وهو«يرمي إلى إقناع الجمهور الخاص»[3] ولا يتحقق إلا بمخاطبة الخيال والعاطفة، وهذا ما يضيق فرصة العقل وحرية الاختيار. في حين أنّ الاقتناع الذي هو هدف الحجاج يقوم على الحرية والعقلنة[4].

الحجاج الاقتناعي«حجاج يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل»[5]؛ فالاقتناع عام وهو عقلي يستحضره المتكلم ليؤثر في المتلقي العام الذي إما يقبل أو يرفض ما يطرح عليه بحرية كاملة، يقول "**بيرلمان**" Perelman **و"تيتكا**Tyteca «إنّ الحجاج غير الملزم وغير الاعتباطي هو وحده القمين بأن يحقق الحرية الإنسانية من حيث هي ممارسة لاختيار عاقل، فأن تكون الحرية تسليما اضطراريا (إلزاميا) بنظام طبيعي معطى سلفا معناه انعدام كل إمكان للاختيار، فإذا لم تكن الحرية منبنية على العقل فإنّ كل اختيار يكون ضربا من الخور

---

[1] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات 15.
[2] فيليب بروطون: الحجاج في التواصل ترجمة محمد مشبال ، عبد الواحد التهامي العلمي إشراف كاميليا صبحي ص18.
[3] عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ص301.
[4] ينظر محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص109.
[5] عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص301.



ويستحيل إلى حكم اعتباطي يسبح في فراغ فكري»[1]. وهدف الحجاج حسب بيرلمان Perelman الإقناع على أسس عقلية ؛ أي اقتناع إرادي، غير اعتباطي فهو يخرج الحجاج من مة التلاعب بالجمهور.

لا يقوم الحجاج على العنف؛ إذ يمكن«تسعى إلى تحقيق النتيجة نفسها باعتماد إحدى وسيلتين: العنف أو الخطاب تقنع بواسطته الناس فيقتنعون، فاعتماد هذه الوسيلة أو تلك هو الذي يجعلنا ندرك على أحسن وجه الفرق ما بين حرية المعتقد والإدراك»[2].

ميز **بيرلمان**Perelman بين الإقناع والاقتناع «فالأول يكون من قبل الغير والثاني يكون من المرء من تلقاء نفسه، أو بعبارة أخرى دون تدخل الغير، ففي هذه الحالة يكون قد أقنع نفسه بأفكاره الخاصة، وفي حالة الإقناع يكون الغير هم الذين يقنعونه»[3]. فالإقناع إلزامي والحجاج الاقتناعي اختياري ليس ملزما.

ومعنى هذا أنّ الاقتناع حسب **بيرلمان**Perelman عقلي وهو أساس الإذعان وأساس الحجاج، أما الإقناع فهو ذاتي وخاص، ولا يعتد به في الحجاج، ومعنى هذا كذلك أن الإقناع لكونه اضطراريا حتميا فهو متعلق بالبرهان، أما الاقتناع فينبني على حرية الاختيار والتصديق الإرادي، وهو يتعلق بالحجاج، وهو بذلك فصل بين الإقناع والاقتناع.

وشعر الحكمة لا يمارس سلطة على المتلقي، إنما يترك له فرصة الاختيار ويراعي آفاق انتظاره، وهو عام عقلي يسعى الشاعر فيه لأن يسلم به كل عاقل، إنه شعر يتضمن حججا عقلية في أمور تثير الشك والريب فتتطلب جهدا فكريا لكشف ملابسا ا.

غير أنه لا يمكن الفصل بين الإقناع والاقتناع؛ لأنّ الأول «هو أحد طرفي العلاقة بين رسالة هادفة إلى توجيه الفكر أو الاعتقاد وطرفها الآخر هو الاقتناع، وهذان الطرفان

---

[1] عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته ص301.

[2] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص44.

[3] سعيد فاهم : معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقا ا المختلفة السور السبع الطوال أنموذجا دراسة دلالية معجمية، ص14.



متلازمان وجودا وعدما، فلا وجود للاقتناع دون وجود الإقناع»[1]، فلا يمكن وصف قول الشاعر بأنه إقناعي إذا لم يؤد إلى حدوث اقتناع المتلقي بالفكرة المطروحة في القول الشعري، حتى لو كان رأيه صحيحا صادقا لكونه حكما تتضمن حججا عقلية، فالإقناع والاقتناع متلازمان.

وحصول الاقتناع لدى المتلقي «لا يكون إلا بعد مطابقة القول الحجاجي لفعل صاحبه، باعتباره دليلا وحجة مادية تنسحب على المتكلم، وتزكي موقفه وتؤكده»[2]، فالحجاج هنا يكون ترغيبيا غير ترهيبي، ليجعل المتكلم قدوة يحسن أن يقتدي ا المستمع، فيقتنع بموقفه ورأيه.

والواقع أنّ المتلقي يقف من الخطاب الشعري -شعر الحكمة الجزائري- موقفا من المواقف الثلاث، فإما أن يقتنع بآراء الشاعر ويصدقها أو يردها أو أنه يقف موقفا محايدا، ومن هنا فإنّ تصديق المتلقي للحكمة المدرجة في البيت الشعري لا يعني أنّ سلوكه سيصبح عملا إنجازيا بالضرورة، والدليل على ذلك أنّ المدخنين مثلا يصدقون عبارات التحذير في علب السجائر "التدخين يضر بصحتك" لكنهم يخالفو ا إنجازيا، فصدق القضية لا يعني بالضرورة إحراز اقتناع المتلقي، في حين أنّ خطأ القضية المطروحة أو كذ ا قد تلقى الاقتناع من طرف المتلقي، وذلك عن طريق الإلحاح لترسيخ الفكرة وتجديدها - خاصة في الخطابات الإشهارية أو السياسية(مثل الدعاية المغرضة)، وحتى في الخطاب الشعري مثل شعر الخمريات - وهذا الأمر قد يؤدي إلى اقتناع المتلقين بالرسالة اللغوية والعمل ا وإنجازها حتى لو لم يكونوا مصدقين لها أصلا.

---

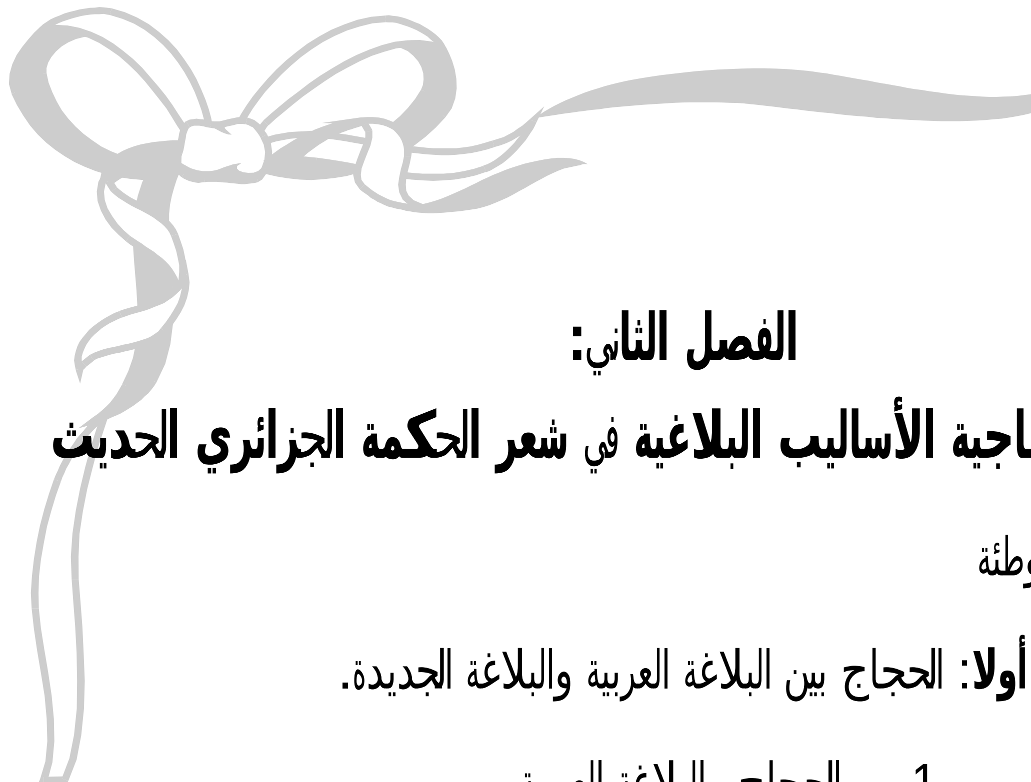
[1] سمير شريف استيتية: اللسانيات، ا ال والوظيفة والمنهج ص704.

[2] عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير ، ص134.



الفصل الثاني





الفصل الثاني:

حجاجية الأساليب البلاغية في شعر الحكمة الجزائري الحديث

توطئة

أولا: الحجاج بين البلاغة العربية والبلاغة الجديدة.

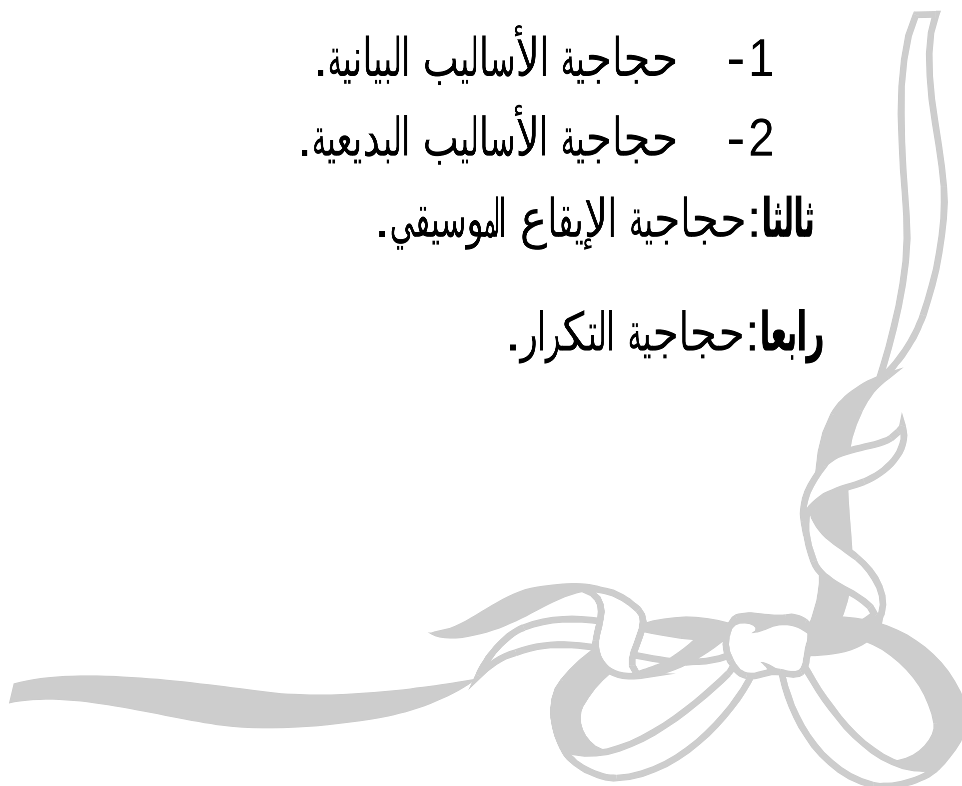
1- الحجاج والبلاغة العربية.
2- الحجاج والبلاغة الجديدة.

ثانيا: حجاجية الأساليب البلاغية

1- حجاجية الأساليب البيانية.
2- حجاجية الأساليب البديعية.

ثالثا:حجاجية الإيقاع الموسيقي.

رابعا:حجاجية التكرار.



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

-"إنّ من البيان لَسِحرا، وإن من الشعرِ لَحِكَما." أخرجه الترمذي29.

-"رتبةُ الشاعرِ لا مهانةَ فيها عليه، بلْ تكْسِبه مهابةَ العلْم، وتكْسوه جلالةُ الحكْمة". ابن رشيق (ت456ه).[1]

- و"الشعر ما اشتملَ على المَثَلِ السائرِ والاستعارة الرائعة والتشبِيه الواقع" ابن رشيق[2].

1 الإمام أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1422ه-2001م، ج2/1 ص26.

2 نفسه ج1 ص130.

الفصل الثاني: حجاجية الأساليب البلاغية في شعر الحكمة الجزائري الحديث.

توطئة:

يرى **أرسطو** أنّ البلاغة هي «الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان»[1]، فقَصر وظيفتها على الإقناع،لذلك ترتبط بلاغة أرسطو«بالمحاجة [الحجاج] والتطبيق الملائم له هو فن الخطابة- الفصاحة- الذي يهدف إلى الإثبات والإقناع بواسطة الخطاب»[2]، فالبلاغة دراسة كيفية إقناع السامعين بأن يفكروا ويتصرفوا بطريقة ما كانوا اختاروها طبيعيا من تلقاء أنفسهم.

والملاحظ بوضوح عند **أرسطو** أنّ«الهم الأول كان هو إتاحة التداول الجماعي لتكوين رأي الأغلبية لم يكن يهتم بالحق بقدر اهتمامه بما يظهر أنه حق؛ أي ما ينبغي أن يظهر أنه حق لإقناع الآخر»[3]. فمشروع **أرسطو** يندرج في إطار أشكال التأثير والإقناع على المخاطبين بشتى الوسائل.

نريد أن نبحث في شعر الحكمة الجزائري الحديث – في هذا الفصل- عن الأساليب البلاغية ووظيفتها الحجاجية وقدر ا على التأثير؛ والتي تتحقق ا اقتناع المتلقي، عبر تذوقه لجمالية الأسلوب البلاغي، وقصدنا في ذلك البحث عن البعد الجمالي الذي يحققه الخطاب الشعري لما لهذا البعد من موقع مهم في الحجاج؛ فالمسحة الجمالية الإبداعية التي يضفيها الشاعر على قصائده فيكسبها رونقا وزخرفا تؤدي إلى التأثير والاستمالة، وشد انتباه المتلقي، كما تساعد الأساليب البلاغية على توجيه سلوك المتلقي عن طريق استمالته؛ فهي تعين المتكلم على ولوج عالم المتلقي الشعوري والفكري، وسنبحث عن دور استعمال كل

---

1 أرسطو طاليس الخطابة ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص29.

2 جورج مولينيه: الأسلوبية، ترجمة بسام بركة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1427هـ-2006م، ط2، ص37.

3 باتريك شارودو: الحجاج وأشكال التأثير ، ترجمة ربيعة العربي، ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي، إشراف حافظ إسماعيلي علوي ص292.



أسلوب عن غيره من الأساليب البيانية خاصة (التمثيل، التشبيه،الاستعارة، الكناية)، وبعض الأساليب البديعية (جناس،وسجع وتصريع) من حيث القوة والضعف. وهل يخضع اختيار الشاعر لتلك الأساليب لتراتبية معينة؟ ثم نبحث في حجاجية الإيقاع الشعري وحجاجية التكرار.

والتركيز على البعد الجمالي للنص الشعري ودوره الحجاجي له ما يبرره؛ فبلاغة **بيرلمان** Perelman الجديدة لم تركز على جمالية الأسلوب اللغوي بقدر ما ركزت على مصدر الحجة والأدلة، فقد لاحظ **عبد الله صولة** أنّ البلاغة عند الغرب إما حجاجية تركز على مصدر الحجة ونوعها، وإما أن تكون أسلوبية تشدد على الوظيفة الشعرية للكلام، حتى كأنّ الحجاج لدى الغربيين لا يكون في أسلوب جميل والأسلوب لا يكون ذا بعد حجاجي[1]، وحتى إن لم يكن قصد الشاعر إقناع متلقيه بفعل شيء أو تركه بأسلوب جميل، فإنّ جمالية شعره تحاول إقناع المتلقي بقدرة الشاعر الشعرية.

أولا : الحجاج بين البلاغة العربية والبلاغة الجديدة:

قبل الحديث عن الأساليب البلاغية واستعمالا ا الحجاجية، أردنا أن نبحث أولا في الحجاج بين البلاغة العربية القديمة والبلاغة الجديدة، نحاول من خلال هذا الطرح البحثَ في مفهوم البلاغة وعلاقتها بالحجاج والنظر إليها من زاوية حجاجية إقناعية، خصوصا مع ظهور ما يسمى بالبلاغة الجديدة، فهل هي تخالف البلاغة العربية القديمة؟ وفيم يكمن هذا الجديد؟ كما نحاول كذلك تبيين إمكانية دعم الأساليب البلاغية لطاقة القول الحجاجية لما تمتلكه من قدرة تأثيرية وإقناعية.

1- الحجاج والبلاغة العربية:

تعددت معاني ومفاهيم البلاغة عند البلاغيين العرب، وإن أجمعت معظمها على القدرة على التأثير في المتلقي بأحسن الألفاظ؛ فمن مفاهيم البلاغة كذلك ما جاء بصحيفة

1 ينظر عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، ص349.

بشر بن المعتمر210ه قوله:«أن يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا ويكون ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك إلى أن تفهم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الأكفاء فأنت البليغ التام»[1]. فالبلاغة إذن ما رضيته الخاصة من عذب الألفاظ وما فهمته الخاصة، فيكون بذلك اللفظ قادرا على إرضاء الخاصة من الناس وإفهام العامة منهم.

وذكر **الجاحظ(**ت255ه**)**أنّ:«جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواقع الفرصة»[2]، فمفهوم البلاغة عنده هي الحجاج ويكون غايته استمالة القلوب وثني الأعناق؛ أي جعلها تنساق وتقاد وتذعن لما يقوله المتكلم.

كما رأى أنّ البيان «يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياضة وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق، وتكميل الحروف، وإقامة الوزن، وإنّ حاجة المنطق إلى الحلاوة كحاجته إلى الجزالة والفخامة، وأنّ ذلك أكثر ما تستمال به القلوب وتثني له الأعناق وتزين به المعاني»[3].

تؤدي البلاغة بذلك وظائف منها الإفادة والإمتاع والإثارة والإقناع وإظهار القوة الجمالية بإبداع.

---

1 الجاحظ: البيان والتبيين: :وضع حواشيه : موفق شهاب الدين منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ا لمد الأول ط1، 1419ه-1998،ج1. ص99.

2نفسه، ج1 ص68.

3نفسه ج1، ص16.

ويرى **الجاحظ** أنّ البلاغة «إصابة المعنى والقصد إلى الحجة مع الإيجاز، ومعرفة الفصل من الوصل»[1] ، فيكون القول موجزا مع إصابة المعنى لمقصدية المتكلم التي يردي د ا الحجاج لرأي معين.

وقد سئل **ابن المقفع** ما البلاغة؟ فقال:«البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل»[2]، ويهمنا في هذه البلاغة الأساليب التي يراد ا الاحتجاج أو الحجاج في الشعر خاصة.

ويرى **الجاحظ** أنه «إذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه، وم ها عن الاختلال مصونا عن التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة»[3]، وبالتالي فهو يشترط وضوح المعنى للتأثير على السامعين وممارسة الفعل عليهم، فإذا كان الكلام بليغا فإنه يشفي غليل المتلقي ويطفئ ظمأه فيؤثر فيه ويقنعه لا محالة.

فحينما قال "يصنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة" تركيز على القلوب؛ لأنّ دلالة القلب ترتبط بذوق المتلقي و تز له عاطفته كلما كان بليغا كان مؤثرا مستميلا ومقنعا، وكلما نوع الشاعر من ألوان البيان كلما كان أدعى للفت انتباه المتلقي وإيقاظه للاستماع، وإ اره بجمال الخيال، وروعة الإبداع فيستميل مشاعر متلقيه، ويؤثر في عقله ويقوده إلى الاقتناع.

يرى **أبو هلال العسكري** (ت395ه) أنّ البلاغة قول مفقه في لطف قائلا:«فالمفقه: المفهم، واللطيف من الكلام: ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب

1الجاحظ: رسائل الجاحظ، الفصول المختارة من كتب الجاحظ اختيار الإمام عبيد الله بن حسان ، شرح وتعليق محمد باسل عيون السود، ا لمد2، الجزء4، ، ص113.
2 الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص85.
3 نفسه، ص65.



المستوحشة وتلين به العريكة الأبية المستعصية ويبلغ به الحاجة وتقام به الحجة، فتخلص نفسك من العيب ويلزم صاحبك الذّنب من غير أن يجه وتقلقه وتستدعي غضبه وتستثير حفيظته»[1]، فالتعبير البلاغي يضمر أهدافا حجاجية لإفهام المتلقي وإرضائه بلطيف الكلام.

فالبلاغة عند **العسكري (395ه)** هي:«كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن»[2]. والسبيل إلى ذلك سواء كان الخطاب شعرا أو نثرا هو «أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على المعنى الأول، والحجة على صحته»[3]، وما يأتي به الشاعر من تشبيه واستعارة وكناية... حجج على صحة المعنى الذي يقدمه للسامع بغية إقناعه والتأثير فيه، فالوسائل البلاغية «إنجاد للمعاني الأول وإغاثة لها على ما يراد من تأثّر النفوس لمقتضاها»[4]؛ حيث يجب على المتكلم أن يراعي حسن الألفاظ لتصل إلى المتلقي فيفهمها عقله ويقبلها قلبه.

وفي هذا الصدد يقول **عبد القاهر الجرجاني (471ه)** :أن«تكون اللفظة ما يتعارفه الناس في استعمالا م ويتداولونه في زما م»[5]، ثم إنّ الكلام لا يستحق اسم البلاغة «حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك»[6]؛ بمعنى وجوب مطابقة اللفظ للمعنى في الوقت نفسه وعدم أسبقية أحدهما عن الآخر .

يرى **الزمخشري**(528ه) أنّ الكلام «إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد وتختص مواقعه بفوائد»[7]، والمقصود من التأثير هو التغيير في السلوك.

1الصناعتين: (الكتابة و الشعر) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد دار الطلائع، القاهرة، 2004.الجزء1 ص51.
2 الصناعتين: (الكتابة و الشعر) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ،ص10.
3 نفسه، ص416.
4حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، 1982، ط3 ص300.
5 عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ص09.
6 الجاحظ البيان والتبيين ج1: ص85.
7 الزمخشري: أساس البلاغة ص119.

ونكتشف من خلال تفحصنا لمفاهيم البلاغة عند العلماء العرب ربطا بينها وبين الحجاج، فكلما كان القول بليغا كان مستميلا مقنعا، ومؤثرا في سلوك سامعه ودافعا إياه على تغيير رأيه أو موقفه، أو دفعه إلى القيام بأمر ما.

2- الحجاج والبلاغة الجديدة:

اهتم البلاغيون الغربيون المحدثون بالبلاغة خاصة ما أصبح يعرف في البحث التداولي بالبلاغة الجديدة التي أثارت إشكالية الحجاج من خلال "مصنف في الحجاج أو البلاغة الجديدة " **لبيرلمان** Perelman **وتيتكا** Tytec الذين لا يعتبران الحجاج تلاعبا بعقل المخاطب؛ بل يؤكدان على أنّ موضوع الحجاج هو«درس تقنيات الخطاب التي من شأ ا أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، وأن تزيد في درجة ذلك التسليم»[1]، فهما يجعلان الحجاج تفاعلا بين المتكلم والمتلقي، ولا يكون ذلك إلا بدراسة الكلام المقنع من أجل كسب تأييد وقبول الأطروحة المقدمة، ودراسة التقنيات البلاغية الحجاجية التي تسمح بتعزيز موافقة الأشخاص على القضايا التي تطرح عليهم هي موضوع الحجاج، ذلك أنّ التخاطب إنما يتم من أجل ربط علاقات مع الغير دف التأثير فيه أو الاتفاق معه، وذلك عن طريق تبرير موقف أو الدفع إلى عمل.

تؤدي البلاغة دورا هاما في توجيه الرأي وبلورة الفكر، وقد عرفها **شوبنهاور** Schopenhauer بقوله «هي ملكةُ جعلِ الآخرين يشاركوننا آراءنا وطريقة تفكيرنا في شيء ما، وكذلك إيصال عواطفنا الخاصة إليهم، وجماع القول أن نجعلهم يتعاطفون معنا، ويجب أن نصل إلى هذه النتيجة بغرس أفكارنا في أذها م بواسطة الكلمات وذلك بقوة أفكارهم الخاصة تنصرف عن اتجاهها الأولي لتتبع أفكارنا التي ستقودها في مسارها»[2]،

1 عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته ضمن كتب حمادي صمود أهم نظريات الحجاج، ص299.

2 محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجا إفريقيا الشرق المغرب 2002(ينظر في هامش الصفحة) ص13.

فالبلاغة تتوخى استمالة المتلقي وإثارة تعاطفه، بواسطة الكلمات، وبالتالي التأثير في المتلقي وتوجيه تفكيره الوجهة التي يبتغيها المتكلم وتتوافق وآرائه.

والبلاغة عند **بيرلمان** Perelman مطابقة لنظرية الحجاج «وقد عبر العنوان الفرعي "البلاغة الجديدة" لكتاب **بيرلمان** Perelman مصنف في الحجاج عن هذا التوجه العام الذي يروم جعل البلاغة علما مستقبليا هدفه... تطوير ا تمع وتحليل مختلف الخطابات عن طريق الوقوف على خططها الحجاجية المتأسسة عليها»[1]. والحجاج مثله مثل أي فعل كلامي تداولي يحكم عليه بمعيار النجاح والفشل ومتى ما كان المتكلم قادرا على إقناع المتلقي كان فعله الحجاجي ناجحا موفقا و«أنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه) أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة»[2].

ومن هنا تكون البلاغة ذات طابع تداولي نظرا للأنماط المقصدية:

أولها مقصدية فكرية: وتضم مكونا تعليميا وحجاجيا وأخلاقيا وهذا بعد إقناعي.

وثانيها مقصدية عاطفية وتضم مكونين أحدهما غائي يكون هدف الإقناع فيه خارج النص، والآخر غير غائي يكمن في إحالة النص نفسه مما يولد المتعة الجمالية وهذا بعد جمالي.

وثالثها مقصدية انفعالية وتكمن في البحث عن الانفعالات العنيفة التي تسيطر على الجمهور لتحقق ييجا عاطفيا وقتيا، وهذا يعد بعدا انفعاليا متعلقا بالمتلقي.

أضفى **بيرلمان** Perelman في نظرية البلاغة الجديدة بعدا عقليا على الحجاج؛ ورأى أنّ «الفعل المترتب على الحجاج ليس موصلا إليه بالمغالطة والتلاعب بالأهواء

---

1 محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد ط1، 2008، ص102.
2 صلاح فضل بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة الكويت صفر1413ه أغسطس/أب1992م، ص74.

والمناورة، وإنما هو فعل هيأ له العقل والتدبر والنظر»[1]، فقد أخرج الحجاج من ـمة التلاعب بالجمهور، وبذلك تخلص من أسر المنطق والاستدلال ا ـرد واقترب من مجالات استعمال اللغة.

وليست البلاغة الجديدة عند **بيرلمان** Perelman «معنيةً بشكل الخطاب من أجل الزخرف أو القيم الجمالية؛ بل من جهة كون ذلك وسيلة للإقناع وخاصة وسيلة للإبداع أي الحضور»[2]. فهي بلاغة تعنى بالإقناع وليس بالأسلوب.

جعل البلاغيون المحدثون الحجاج محور الآلة البلاغية، فقد عرف **ميشال مايير** الحجاج بأنه«جهد إقناعي وبعد جوهري في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه»[3]، واهتم **مايير** بالصور البلاغية والحجاج في نظرية المساءلة.

تجاوزت البلاغة في نظر **ميشال مابر** حدود فن الإقناع أو فن التعبير فقط؛ بل أصبحت طرحا إشكاليا يعنى بكل القضايا داخل نظام اللغة وخارج الذاكرة والعقل ومعارف موسوعية والتي تعد أساس العلاقات التواصلية وتداول الأسئلة والأجوبة بين الناس، فـ«القول الحجاجي هو جزء من اللغة يبدأ في الوقت الذي يعطي فيه الإنسان لنفسه الحق في القول والفعل»[4] ، فكل سؤال يثير سؤالا آخر، ويكون الإقناع فيه مجرد طرح للمشاكل والتساؤلات التي يثيرها المتكلم والمستمع فيما بينهما.

عرف **ميشال ماير** البلاغة بأ ا«ذلك الحوار حول المسافة بين الذوات أو هي ذلك الحوار حول المسافة بين الناس بصدد مسألة أو مشكل ما... هذه المنهجية البلاغية تؤسسها بنية عميقة ...بنية الذات Ethos والآخرpatitos وبينهما اللوغوس Logos من حيث هو كلام ولغة قبل أن يكون عقلا في حين أن البنية الأساسية للبلاغة هي بنية إشكالية تعتمد

1 عبد الله صولة : الحجاج أطره ومنطلقاته ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص299.

2 صابر حباشة : التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، صفحات للدراسات والنشر دمشق الإصدار الأول 2008، ص16.

3 محمد سالم محمد الأمين الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر ص103.

4 عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، ص195.

سيرورة تساؤلية Questionnement تقصي من فضائها الأجوبة الضرورية والنهائية»[1]، فقد ربط **مايير** البلاغة بالمساءلة والعمليات الحوارية والآليات الرياضية والمنطقية والنفسية التي تصب في النظرية الحجاجية.

يرى **ليتش** Leech(1936-) أنّ البلاغة «تداولية في صميمها إذ إ ا ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما»[2]، فالتداولية والبلاغة تشتركان في اعتماد التأثير على المتلقي وجعله يذعن للأطروحة ويقبلها.

والبلاغة «ملكة اكتشاف وسائل الإقناع الممكنة بالرجوع إلى الموضوع أيا كان»[3]، فالبحث في البلاغة هو بحث في الحجاج وتقنياته من وسائل الإقناع والتأثير.

توسعت دائرة البلاغة مما جعلها تستوعب عددا من العلوم ا اورة إلى درجة صارت عند البعض أفضل تعبير عن الحداثة يقول **بارت** «لا يعني أنه توجد اليوم بلاغة جديدة، فالبلاغة القديمة تقابل بالأحرى هذا الجديد الذي لم ينجز بعد، إنّ العالم مليء وبشكل عجيب بالبلاغة القديمة»[4] ؛ حيث تم البلاغة الجديدة بوسائل الإقناع والحجاج؛حيث تدرس التقنيات الإقناعية في الخطاب ولتحقّق أغراضها لابد لها من حجاج، وتكمن دراسة هذه التقنيات في الخطاب الشعري في الآليات الفنية التي يتوسل ا المتكلم إلى تمرير خطابه، وإكسابه النفاذية المرجوة والفعل المتوقع.

يرى **أوليفي روبول**Reboul أنّ ميدان البلاغة يشمل «كل خطاب يجمع بين الحجاج والأسلوب، كل خطاب تحضر فيه الوظائف الثلاث: المتعة والتعليم والإثارة مجتمعة

1 محمد سالم محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة (مقال) مجلة عالم الفكر الكويت مجلد 28، العدد 3 يناير، مارس 2000، ص73.

2 صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص ص97-98.

3 محمد العمري بلاغة الخطاب الإقناعي ص19.

4 محمد سالم محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة (مقال) مجلة عالم الفكر ص56.



متعاضدة، كل خطاب يقنع بالمتعة والإثارة مدعمتين بالحجاج»[1]. والبلاغة كما عرفها **ديكرو**:«فن ابتكار الاختيار والتعبير المزين بشكل ملائم والذي يمكن استخدامه في الإقناع»[2].

والدراسة البلاغية التي تناولت الحجاج هي البلاغة الجديدة La nouvelle Rhétorique ويمكن تعريفها بأنها «نظرية عامة للمحاججة بكل أشكالها الشرعية والسياسية والأخلاقية والجمالية والفلسفية»[3]؛ حيث تناولت هذه النظرية كيفية الإقناع في اللغة.

تم البلاغة بمقام القول وسياقه بحثا عن المقاصد مرتكزة في ذلك على وضع المتلقي، وهنا يتجلى بعدها التداولي «فالبلاغة تمثل منهجا للفهم النصي مرجعه التأثير وعندما نفكر وفق المفاهيم البلاغية، فإننا ننظر إلى النص من زاوية نظر المستمع/المتلقي ونجعله تابعا لمقصدية الأثر" [4]، ويكون التركيز على مقصدية الشاعر من خلال وظيفة النص الشعري، بالبحث في المقام التواصلي الذي يدخل في سياق التبليغ الخطابي والغرض الشعري كمعيار موجه لقراءة القصيدة.

ثانيا- حجاجية الأساليب البلاغية:

اعتنى الدرس البلاغي بتحليل الوظيفة البلاغية في تجليا ا الحجاجية والجمالية، في أنواع خطابية كالشعر والخطابة، نحاول أن نبحث في حجاجية بعض الأساليب البلاغية في الشعر الجزائري الحديث بالتركيز على البيان والبديع.

---

1 إبراهيم عبد المنعم إبراهيم: بلاغة الحجاج في الشعر العربي شعر ابن الرومي نموذجا ص136.

2 أوزوالد ديكرو، جان ماري سشفاير: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2007، ص161.

3 أوزوالد ديكرو، جان ماري سشفاير: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ترجمة منذر عياشي ، ص163.

4 هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة محمد العمري، إفريقيا الشرق 1999، ص24.



1- حجاجية الأساليب البيانية:

ركّز البلاغيون العرب في بحوثهم على علم البيان وعلم البديع وعلم المعاني؛ فقد تحدث **الجاحظ** عن وظيفة البيان فقصره على التبليغ والتوضيح والإفادة والكشف عن المعاني المضمرة حين قال«البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير، حيث يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[1]، فالبيان كل ما يكشف عن المعاني الخفية المضمرة حتى تكون دلالتها أوضح وأفصح.

يظهر دور الأساليب البيانية في كو ا طرائق «يتفاوض ا الملقي المتلقي لتحقيق أقصى إمكانات التبليغ فيؤدي إلى انتهاض المتلقي العمل والتغيير، وأي تغير فيها هو تغير في قوة الإنجاز والتأثير وهي أكثر قدرة من غيرها على أن تلهب عقل المرء حماسا للسمو به إلى الفضيلة، لهذا كانت كما اعتبرها الناس أداة لإقناع الجمهور وهذا هو هدف البراغماتية»[2]، فبمعرفتنا بالصور البيانية التي يستعملها الشاعر نلج شخصيته ونسلط الضوء على نفسه في تطورها ونموها وصعودها وجمودها وتوقفها وانحدارها إلى أسفل، فنعرف منها الباكي المتضاحك أو الباكي الحزين والضاحك المستبشر[3].

ركّز **عبد القاهر الجرجا**ني على البيان في خضم حديثه عن معنى المعنى؛ حيث ذكر بأنّ هناك ضربا من الكلام لا نصل إلى الغرض منه بدلالة اللفظ وحده؛ بل«يدلّك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك ثانية تصل ا إلى الغرض[وينتهي إلى القول] فههنا عبارة مختصرة وهي أن تقول "المعنى" ومعنى المعنى"، تعني بالمعنى المفهوم من

1 البيان والتبيين، ج1 ، ص60.

2 منال النجار: المقولات البلاغية دراسة مقامية براغماتية ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة ص579.

3 نفسه والصفحة نفسها.

ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر»[1]. وهذا يعني أنّ الوصول إلى القصد يكون عن طريق تحريك الفكر وتدرجه من ظاهر اللفظ إلى المعنى ثم الوصول إلى معنى المعنى، مما يثير لدى المتلقي عددا من الصور والإيحاءات التي يتدرج معها بحسه وعقله.

والوصول إلى مقصدية المتكلم يكون عبر «تتبع مرور المعنى الواحد في طرق مختلفة يكون في الدلالات العقلية»[2]. وقد يقصد من وراء هذا التتبع معنى حجاجيا كامنا يضمره المتكلم في قوله ويجعل المتلقي يستدل عليه، فيقتنع به إراديا.

وذكر **السكّاكي** أنّ علم البيان«هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه»[3] حيث تقوم الدلالة بالانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما.

تنفرد الصور البيانية بدلالات عميقة شديدة الوقع على المتلقي تدفعه إلى التفكير والتخيل، يبتكرها الشاعر استجابة لأفق انتظار المتلقي أو لإدهاشه ومخالفة توقعاته أو لمفاجأته أو لدفعه إلى تغيير في أفعاله أو وجهة نظره (إقناعه).

يتسع قياس الحجاج البلاغي ليشمل التشبيه والاستعارة والكناية، حيث يرى **السكاكي** أنّ «المستدل يفتن فيسلك تارة طريق التصريح فيتم الدلالة، وأخرى طريق الكناية»[4]، فيكون الانتقال من التعبير العادي البريء إلى التعبير التزييني الذي يتم فيه خرق الاستعمال المعتاد القائم على ارتباط العبارة والمرجع بين الباث والمتلقي؛ فتثيره وتفتنه بسحر الجمال وتصبح الكلمات خدما للمعاني وتنتقل اللغة إلى وظيفتها الجمالية.

---

1 دلائل الإعجاز، ص173.

2 أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم حققه وقدم له عبد الحميد الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1420ه-2000م، ط1 ص437.

3 نفسه،ص249.

4 نفسه، ص504.

وقد تحدث **السكاكي** عن دلالة الالتزام وهي دلالة عقلية لكو ا تثبت اعتقاد المخاطب؛ عن طريق تعلّق مفهوم بمفهوم؛ حيث يقول «ولا يجب في ذلك التعلّق أن يكون مما يثبته العقل؛ بل إن كان مما يثبت اعتقاد المخاطب إما لعرف أو لغير عرف أمكن المتكلم أن يطمع من مخاطبه ذلك في صحة أن ينتقل ذهنه من المفهوم الأصلي إلى الآخر بواسطة ذلك التعلق بينهما في اعتقاده»[1]، فيكون الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما، كلزوم أحدهما الآخر.

يدخل جهد بعض الباحثين «في بيان شعرية الحجة وحجية الصور، وهذا مبحث في غاية العمق»[2]. ويقول **عبد الله صولة** في خضم حديثه عن حجاجية الصورة بأن «الدراسات الحجاجية الغربية الحديثة لا تكاد تضيف شيئا إلى ما كان قاله القدماء عن وظيفة الصورة الفنية في الكلام من أنها لجعل الغائب مشاهدا ولإظهار ا رد في شكل محسوس، ولتقوية الشعور لدى المتلقي بحضور الأشياء من أجل حمله على الاقتناع والتأثير فيه»[3] . وللحضور الجمالي ضرورة ملحة من أجل القضاء على سلبية المتلقي، حيث تحضر خاصة حينما يجد الشاعر نفسه أمام مستمع خامل أو متعب.

1-1 حجاجية التمثيل:

التمثيل في اللغة من مثْل وهي:"كلمة تسوية، يقال هذا مثله كما يقال شبهه...[و] الفرق بين المماثلة والمساواة أنّ المساواة تكون بين مختلفين في الجنس والمتفقين؛ لأنّ التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون في المتفقين... والمثْل: الشيء يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله... ويكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيها به"[4].

1 مفتاح العلوم، ص438.

2 محمد العمري: الحجاج مبحث بلاغي فما البلاغة؟ ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتاب الجديد،ج1 ص23 .

3 عبد الله صولة: الحجاج في القرآن، ص563.

4 ابن منظور: لسان العرب، مادة م ث ل.

والتمثيل في البلاغة هو مجاز مركب وهو "اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة"[1]؛ أي تشبيه صورة مركبة بصورة مثلها، وكل تمثيل تشبيه وليس كل تمثيل تشبيه؛ وذلك لأنّ التمثيل في تعدد أوجه الشبه فيه، وفي استرساله وطوله، قد يحتوي على تشبيهات بسيطة واستعارات محدودة، بينما يخلو التشبيه البسيط من احتوائه على التمثيل.[2]

ويعد التمثيل من أهم وسائل الحجاج، وحين يستعمل الشاعر التمثيل، فهو يريد «إشارةً إلى معنى فيضع كلاما يدلّ على معنى آخر وذلك المعنى الآخر والكلام ينبئان عما أراد أن يشير إليه»[3]، والمماثلة «أن تمثل شيئا بشيء فيه إشارة»[4]، حيث تكمن حجاجية التمثيل في كونه كلما تعددت الصور كلما كانت أقوى تأثيرا فهو رافد من روافد العملية الإقناعية.

وتختلف صور وأشكال المماثلة كما تختلف مراتبها ودرجا ا و« قد تكون على صورة تشبيه وقد تكون على صورة تمثيل، وقد تكون على صورة قياس فقهي أو نحوي أو على صورة استدلال الشاهد على الغائب، كما قد تكون على صورة تناسب عددي»[5].

يقول **عبد القاهر الجرجاني**"ت471ه"«واعلم أنّ مما اتفق عليه العقلاء أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أ ة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ودعا القلوب إليها...وإذا كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر، وبيانه أ ر... وإن كان وعظا كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه

---

[1] القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة ص297.

2 ينظر، مختار حبار: أسلوب التمثيل في شعر عدة أبي تونس المستغانمي، مجلة دراسات جزائرية، مجلة دورية محكمة، يصدرها مختبر الخطاب، العدد2، مارس 2005، ص53.

3 أبو الفرج قدامة بن جعفر : نقد الشعر: تحقيق وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ص159-160.

4 ابن رشيق :العمدة ، شرح وضبط :عفيف نايف حاطوم -دار صادر –بيروت- ط1-2003 ص232.

5 أحمد طايعي : القراءة بالمماثلة في الشعرية العربية القديمة، منشورات زاوية مطبعة إليت، ط1،2007، الرباط ص46.

والزجر، وأجدر بأن يجلي الغياية ويبصر الغاية، ويبرئ العليل، ويشفي الغليل»[1]، فتكمن قوة التمثيل في كونه حجة عقلية إقناعية تأثيرية، لا يصل إليه بالتصريح وإنما عن طريق التأويل والاستدلال، واستعمال التمثيل في الحجاج والوعظ والحكم، أبلغ وأقدر على التأثير وبلوغ المرام، والتمثيل يؤثر في المعاني ويقع فضله«في طريق إثبات المعنى دون المعنى نفسه»[2]، فالتمثيل يثبت المعنى الضمني التلميحي إثباتا.

يقول الشاعر **ابن رحمون مصطفى (**1921-):[3]

والجَهـلُ للعـقْلِ شيطَانٌ يضللُه   من حيثُ يقْنِعه أنّ الهُدى ضرر...
وللشجاعـة إعجـاز دلائلُه   تبدو إذَا كَشر التهديد والحَذَر
وللشدائد أمواج إذَا اصطَدمت   بِشاطئ الصبر والإيمان تنكَسِر
وللحقَائق كَـرّات مظَفّرةٌ   علَى الأَباطيلِ لا تبقي ولا تـذَر...
لو أمكَن للسيف أنْ يسعى لمعذرة   يوما لَجاءَ لسيف العزمِ يعتذر

ماثل الشاعر **ابن رحمون** الجهل بالشيطان الذي يضلل عقل الإنسان ويبعده عن الهدى، كما جعل من الصبر بحرا وأمواجا ليجعل منها صورة حية نابضة، والشدائد التي إن ارتطمت بتلك الأمواج فتصطدم بشاطئ الصبر والإيمان فإ ا تنكسر، كما ماثل الشاعر بين السيف الحقيقي والإنسان المنكسر المعتذر لسيف العزيمة. والقوة الحجاجية لهذا التمثيل شديدة لأنه يصور المعنى ويجعله قريبا إلى الذهن ماثلا أمامه.

يبتعد التمثيل عن التشبيه الظاهر الصريح، وهو أقوى منه؛ لأنّ التمثيل«لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام، أو جملتين أو أكثر، حتى إنّ التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليا محضا، كانت الحاجة إلى الجملة أكثر»[4] ، ووجه الشبه في التمثيل منتزع من متعدد،

1 أسرار البلاغة تحقيق محمود محمد شاكر دار المدني جدة مكتبة الخانجي ط1-1991- ص115.
2 دلائل الإعجاز ص64.
3 ديوان ابن رحمون شعراء الجزائر ص19-20.
4 عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص109.

وتكون الجمل على ترتيب مخصوص ويجب«أن يكون لها نسق مخصوص، كالنسق في الأشياء، إذا ترتبت ترتيبا مخصوصا كان مموعها صورة خاصة مقررة»[1]، وفائدة هذا الترتيب هو عدم يختل المعنى.

والواقع أنّ هناك صلة تربط بين التمثيل والاستنباط في طرق الاستدلال؛ حيث يرى **أرسطو** أنّ آليات بناء المعرفة هي«الاستنباط والاستقراء والتمثيل؛ لكنه يعتبر التمثيل أضعف الحلقات، ويرجعه إلى التعقل بالمثال؛ في حين يرى أنّ العلم يقوم على البرهان (خصوصا الاستنباط)؛ لأنه يبحث عن اليقين»[2]. ومن هنا فإنّ التمثيل يجري مجرى الحجة والشاهد والدليل والمثال؛ لأنه يقوم على الاستدلال لتقرير المعنى في الذهن وبواسطة التمثيل نستدل على المعاني المسكوت عنها والضمنية.

ويعتبر **بيرلمان**Perelman التمثيل نمطا من التدليل يقول«يبدو من المحال جدا الاستغناء عنه [يقصد التمثيل] كلما تطرق العقل لميدان جديد أو مألوف قليلا»[3]، فللتمثيل دور مهم في الابتكار كونه يقيم علاقات بين الأشياء، ويتأسس التمثيل على قياس الشيء بالشيء من جهة علاقة المشا ة أو من جهة المخالفة.[4]

وحينما يعتمد الشاعر على التمثيل فهو يقوم بتجميع الأشياء ليدني ما إلى حد الاتحاد، فيؤكد التناسب العقلي والمنطقي بين المعاني كما«يبني رؤيته الخاصة للعالم ونموذجه

1 عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ، ص110.

2 بناصر البعزاتي: الصلة بين التمثيل والاستنباط، ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ، تنسيق حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة ندوات ومناظرات رقم134، المملكة المغربية جامعة محمد الخامس ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ط1، 1427ه-2006م ص24-25.

3 Chaïm Perelman, logique et argumentation, presses universitaires de Bruxelles, 1968,P.134.نقلا عن بناصر البعزاتي: الصلة بين التمثيل والاستنباط، ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ص29.

4 ينظر أحمد طايعي: القارءة بالمماثلة في الشعرية العربية القديمة، ص53، كما ينظر كذلك طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص121-122.

الجمالي المتميز؛ لذا فما هو مستحيل عند الشاعر ليس الأشياء فيما بينها، وإنما الموقع نفسه الذي يمكن لها أن تتشابه فيه وتتماثل»[1].

ويحتل التمثيل مكانة مركزية في الإنشاءات العقلية؛ ذلك أنّ العقل يشتغل «عبر المزج بين التداعي والاستعارة والمثال والعلامة والاستنباط في مستويات مختلفة متداخلة»[2].

وتقوم حجة التمثيل على المشا ة بين حالتين بالاستناد إلى القياس والاستنتاج من خلال مقدمة واستنتاج نتيجة تبنى على المماثلة.

ويعتبر التمثيل«وسيلة حجاجية ذات تأثيرات في المتلقي من جهات عدة فهو خطاب للعقل بوصفه ينقل العقل من المعنى في الحالة التصويرية العادية إلى الحالة التصديقية؛ لأنه بمثابة إحضار المعنى المدعى ليشاهد كما هو في الواقع»[3] فالتمثيل استقراء بلاغي يشبه الاستقراء في المنطق، فهو حجة تقوم على المشا ة بين حالتين في مقدمتها، حيث يتم استنتاج اية أحدهما بالنظر إلى اية مماثلتهم؛ بل إنّ بعض العمليات العقلية الاستنتاجية كالإحصاء والمقارنة هي عمليات تمثيلية في صلبها يقول **كُرنو** Cournot«التعقل عن طريق التمثيل هو[...] تكوين تعقّل قائم على التشا ات أو العلاقات لشيء مع شيء آخر [...] وبالفعل فإنّ نظرة الذهن في الحكم التمثيلي، تتعلق بالعلاقات وبنسب التشا ات وحدها وليست للتشا ات أي قيمة عندما لا تسجل علاقات في نظام الوقائع الذي ينطبق فيه التمثيل»[4] ، حيث يتخذ التمثيل صيغا مختلفة من أجل رصد التشابه والتباين بين الوقائع، من خلال ملاحظة الوقائع وما تشترك فيه مع وقائع أخرى، فيتم الربط بين المادة المعرفية والعاطفية وعلاقة إنتاج المعنى بالمتلقي.

---

1 أحمد طايعي: القارءة بالمماثلة في الشعرية العربية القديمة، ص85.

2 بناصر البعزاتي: الصلة بين التمثيل والاستنباط، ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ، تنسيق حمو النقاري، ص28

3 حافظ إسماعيلي علوي: الحجاج والاستدلال الحجاجي دراسات في البلاغة الجديدة، ط1-2011، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ص25-26.

4 Antoine Augustin Cournot, Essai sur les fondants de Nos connaissances sur les caractères de la critique philosophique.نقلا عن بناصر البعزاتي: الصلة بين التمثيل والاستنباط ، ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه تنسيق حمو النقّاري ص28-29.



يقول الشاعر **الصديق السعدي التبسي** (1907-1970)[1]

وليس لغدر الناس أمس ولا غَد فَمذْ خلق الإنسانُ عاش على الغدر
ومذْ كانت الأطيار والبوم حولها تريد بِها التضليل كُفْرا على كُفْرِ
ومن يغترب عن وكْره يلْق سيئًا كذَلك شأنُ الطير تشدو على أسرِ
فلا تبتئس من عدل ربك ساعةً سيلْتقطُ العربِيد عاقبةَ السكْرِ
ومن يبتسِم للحادثـَات بدت له طُيوفًا وأوهاما سرابا وقَد تغـرِي
ومن يعتصم كالنسر في **شامخ الذرى تغاضى عن الغربان تنعق** في **الأثَر**

يعتمد الشاعر على التمثيل في دعوته إلى ترفع الإنسان، واهتمامه بأجل المقاصد وأنبلها، فإن كان الإنسان مترفعا متغاضيا على صغائر الأمور، فهو يماثله بالنسر الشامخ المترفع الذي يتغاضى عن الغربان الناعقة، ثم يماثل بين جبلة الإنسان على الغدر منذ خلق وتضليل البوم للأطيار منذ خلقت ، كما يماثل بين اغتراب الإنسان عن وطنه واغتراب الطير عن وكره، ووقوعه في الأسر.

والتمثيل هو طريقة تقوم على علاقة تشا ية، ويعتبر عاملا أساسيا في عملية الإبداع؛ حيث ينطلق من التجربة ـدف إفهام فكرة أو العمل على أن تكون الفكرة مقبولة، وذلك بنقلها من مجال إلى مجال مغاير ومن خصائصه:

1- استدعاء صور تحكي أحداثا من أجل نقل أفكار مرجعية ذات قيمة رمزية.
2- تقوم العلاقة فيه على مماثلة تتحقق بين عناصره أو العلاقة بين المشبه والمشبه به ووجه الشبه.
3- يتجه نحو مخيلة الإبداع، ويتجاوز اللغة، وحدود الواقع، ويفهم عن طريق تحريك الذهن.[2]

[1] صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 (الملحق) ص39-40.
2 ينظر عبد السلام عشير:عندما نتواصل نغير،ص 98/97.

ومن أجل فهم المعنى الممثل فإنه «ينجلي لك بعد أن يحوجك إلى طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له والهمة في طلبه، وما كان منه ألطف كان امتناعه عليك أكثر وإباؤه أظهر، واحتجاجه أشد»[1]، فباستعمال التمثيل في الخطاب تزيد في القوة الحجاجية للعبارة اللغوية؛ فيؤثر المتكلم في نفسية المتلقي على إيجاد وجه الشبه بينهما، وحينها تنجلي له الفكرة ويتضح له المعنى.

تظهر الحجة التشبيهية للتمثيل «كمعادلة بسيطة تتغاضى عن اختلاف السياقات؛ فتخدع الأذهان بمظهرها الصارم، أو تنشط الخيال بما تحمله من معلومات ملموسة»[2]، وهذا يؤكد الاختلاف بين البرهان والحجاج، فنتائج التمثيل محتملة لا يمكن أن تضاهي نتائج البرهان الصارم؛ لأنّ الاستنتاج الناتج عن التمثيل نسبي غير مضمون؛ حيث يقوم التمثيل بإسقاط «علاقات مستفادة سابقا على مجال مجهول أو يبدع علاقات جديدة من منطلق تشابه ما، فالذهن ينظر إلى ما يجري أمامه من خلال الأحكام التي تكونت فيه على ضوء الخبرة السابقة، ولا تعرف بدون إسقاط المعروف، ولا وجود لذهن فارغ »[3] ، من هنا يعد التمثيل بؤرة الحجاج وأساسه ذلك لكونه آلية أساسية لإنتاج الأفكار.

إنّ مماثلات الشعر هي« بلا صفة ينتهى إليها، ولا اية يوقف عليها ولا طاقة لمؤول أن يحصرها، إذ كل مماثلة يبنيها تفتح مماثلات أخرى، وهكذا تزداد وتتعاظم أشكال ودرجات المماثلات في الشعر»[4]. ويمكن حصر التمثيل في محورين محور التشبيه ومحور الاستدلال؛ لأنّ التمثيل قد يكون تشبيها مركبا (تمثيليا) يكون وجه الشبه فيه منتزع من متعدد أو يكون استعارة تمثيلية وقد يرد حجة ودليلا يستدل به على معنى معين.

أصبحت المحسنات البلاغية من أهم المقومات الحجاجية؛ فقد أبطل **"بيرلمان"** (Perelman) مفعول بلاغة المحسنات، وأدرج التشبيه والاستعارة ضمن بلاغة الحجاج؛

1 الجرجاني:أسرار البلاغة، ص 105.

2 محمد طروس: النظرية الحجاجية، ص 29.

3 بناصر البعزاتي: الصلة بين التمثيل والاستنباط، ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ص29.

4 أحمد طايعي: القراءة بالمماثلة في الشعرية العربية القديمة ص62.

حيث يرى أنّ «محسنا لهو حجاجي إذا كان استعماله وهو يؤدي في تغيير زاوية النظر يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة، وعلى العكس من ذلك فإنْ لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فإنّ المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة، أي باعتباره محسن أسلوب، ويؤدي ذلك لتقصيره عن أداء دور الإقناع»[1] ؛ من هنا فإنّ السياق وحده هو الذي يحدد إذا كانت الصورة البلاغية محسنا زخرفيا جماليا أو حجاجا إقناعيا؛ لهذا فإنّ الأقوال البلاغية تلعب دورا تحليليا داخل الحجاج؛ حيث تبرر أهدافه الإقناعية حسب **بيرلمان**Perelman في حين تضعف من القدرة الجمالية الأسلوبية، وكأنّ ما هو تمثيل حجاجي لا يكون بأسلوب جميل أو بعبارة أخرى يحاول **بيرلمان**Perelman الفصل بين البعد الإقناعي الحجاجي والبعد الجمالي الأسلوبي.

والتمثيل«مشا ة تأخذ قو ا من غرابتها المتبادلة... و[لكن] ليست كل التماثلات حججا؛ لأ ا ليست كلها في خدمة الدفاع عن الرأي»[2]، فمثلا "مساء الحياة" صيغة جميلة ولكنها ليست حجة استنادا إلى ما تمثله الشيخوخة بالنسبة إلى الحياة وما يمثله المساء بالنسبة إلى النهار، وكلنا إذن متفقون على هذا التماثل، فليس الغرض منها الإقناع؛ لذلك هو تماثل غير حجاجي.

فإذا أدت المقدمتان في المحسن الحجاجي -حسب بيرلمانPerelman - إلى التسليم والقبول، أدى هذا إلى قبول الاستنتاج، ومن هنا تكون«قوة التشبيه أو الاستعارة تتأتى من قدر ا على التقريب بين نظامين مختلفين مع محاولة جاهدة لطمس ما بينهما من فروق»[3].

التمثيل إنشاء خيالي يبتكر الأفكار «فالابتكار التمثيلي هو بالذات ابتكار للأفكار»[4]، فالحدس والإيحاء يملأ حياتنا الفكرية وألفاظ كثيرة شائعة في حياتنا اليومية قد

1 محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية ص 458/457

2 فيليب بروطون: الحجاج في التواصل ترجمة محمد مشبال ، عبد الواحد التهامي العلمي، إشراف كاميليا صبحي، ص121-122.

3 سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص253.

4بناصر البعزاتي: الصلة بين التمثيل والاستنباط، ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ص35.

تشكل تمثيلا؛ فقد نمثّل للدلالة على أي مشروع إنساني بألفاظ من مثل (الولادة، النشأة، النضج والموت)، وكلمة الهرم مثلا التي تدلّ على ا تمع وطبقاته وإمكانية الارتقاء أو الانحطاط. وكلمات (الإنجاب، التربية، الاستفادة) قد نمثل لها بالغرس والإنبات والجني... وهذا النوع من التمثيل يسميه **أرسطو** الاستعارة الجمهورية التي دف إلى الإبلاغ بالدرجة الأولى فـ«صارت متداولة بين الجمهور نتيجة التكرار وكثرة الاستعمال إلى درجة أ ا استهلكت و الكت، وبذلك فقدت شحنتها التأثيرية لبلوغها الدرجة الصفر للأسلوب... فلا تنتج إقناعا ولا لذة في ذا ا؛ لأ ا لا تملك قوة حجاجية ولا روحا تخييلية، نتيجة افتقادها لعنصر المفاجأة»[1].

والتمثيل خطاب للوجدان؛ لأنه تصوير للمعنى ونقل له من العقل إلى الإحساس«وعما يعلم بالعقل إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع؛ لأنّ العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة، يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التحام كما قالوا (ليس الخبر كالمعاينة) و(لا الظن كاليقين)»[2] ، يستند الشاعر إلى تمثيل المعنى ليكون ثابتا في الأذهان؛ لأنّ الذهن يستعين فيه بالحواس فيؤثر تأثيرا خاصا إذ يصور المعنى بشكل محسوس فيحرك النفس ويتمكّن من القلب، لأنه يوضع كدليل يوضح المعنى ليجعله مشاهدا مرئيا وكأن المتلقي يراه ماثلا أمامه فيقطع الشك عنه ويثق به؛ لأنه حجة على صحة المعنى، فتتحقّق له اللذّة العقلية، لأنه يؤثر في النفس بنقلها من العقل إلى الحس، وينقل المعنى من شكل خفي إلى شكل جلي، ولهذا كله فإنّ للتمثيل قدرة تصويرية تخييلية قوية تحقق متعة حية نابضة.

يقول الشاعر **محمد بلقاسم خمار** في قصيدة **واقعنا المؤلم**:[3]

جيلُنا في الحَياة كما نشأنــا **على بغض التكتل والوصال...**

1 عمر أوكان: اللغة والخطاب إفريقيا الشرق، المغرب 2001، ص133.

2 عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ص121.

[3] إرهاصات سرابية من زمن الاحتراق: المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،ص49-50

ألم يكُن جمعنا شيعــا لبكْر أو لتغلــب أو هلال...
فَلا عجب وماضينا قَريــب إذا عــدنا إلى نفْس المآل
فَماءُ البحر يرجع بعد غَيث إلى ما كَان عن طُرق التلال

يرى الشاعر أنّ تفرق العرب وبغضهم للاتحاد والتكتل أمر ليس بالعجيب ، فماضيهم حافل بالحروب والعصبية القبيلة بين بكر وتغلب وهلال، والتاريخ يعيد نفسه، وظف الشاعر التمثيل حينما مثّل عودة التاريخ ، بعودة البحر الذي يتبخر في الهواء ثم يعود ثانية عبر الغيث، فجعله الشاعر دليلا حسيا مشاهدا مرئيا يبرر به صحة المعنى الذي يذهب إليه عبر التصوير والتخييل.

والاستدلال بواسطة التمثيل (L'analogie) أقرب أنواع الاستدلال إلى الشعر؛ «إذ الاستدلال بواسطة التمثيل يعني تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة عن طريق تشابه في العلاقات، فهو احتجاج لأمر معين عن طريق علاقة الشبه التي تربطه بأمر آخر»[1]، والقياس الشعري الذي يتحقق في التشبيه والاستعارة تمثيل يقوم على علاقة الشبه، ويجمع بين الجمال الفني المستميل، والتأثير الموجه المقنع.

ومن مخازن التمثيل في الخطاب الشعري: تجارب العقلاء من الآباء والأجداد والأسطورة والتاريخ والطبيعة والتجارب الخاصة والأقوال المأثورة وغير ذلك، فيكون التمثيل بذلك فعلا حواريا ثقافيا موسعا أو ما يسمى بالتناص إنه «طريقة حجاجية تستهدف إشراك الغير في تأليف النص مثلما تستهدف إرادة التميز والأصالة»[2] ، ويبرز دور التناص في إضفاء البعد التاريخي والثقافي للنص، حيث «يعمد الشاعر إلى استحضار نصوص غائبة في سياق الخطاب ليكون أجلب للتصديق وأقوى تأثيرا؛ ذلك أنّ النصوص المراجع تمثّل مرجعا جماعيا

1 سامية الدريدي :دراسات في الحجاج قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم عالم الكتب الحديث إربدط1، 1430-2009م ص95.

2 سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي النص والسياق المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب 2001، ص94.

مشتركا بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة ».[1] فتكون حجاجية التناص بكونه مرجعية ثقافية كلية بين الشاعر والمتلقي.

وتعاملُ الشعراء مع النصوص التراثية يحيل على «حضور نصوص سابقة في عملية إنتاج النص الأدبي؛ حيث تتداخل في طور إنتاجه، زيادة على ما يولده الأديب من أساليب التعبير والمضامين من نصوص سابقة لها حمولتها الفكرية والفنية والإيديولوجية، فتتسرب إلى النص بحسب طاقة استحضارها عند الأديب وقدرته على تشر ا وتمثلها فنيا لتصبح بالتالي الجزء الذي لا يتجزأ من تخلّق أجنة النص»[2]. فتتداخل النصوص الشعرية وتتناص بنصوص أخرى تماثلها في جانب معين ، قد تعتمد عليها من أجل الحجاج و الإقناع.، لكو ا تمثل مشتركا جماعيا بين المتكلم والمتلقي.

وقد يستمد التمثيل من القرآن الكريم، فيسهم في تعميق دلالة الخطاب، وتقوية الحجج التي ترفد الخطاب بسلطة رمزية بما هو مشترك بين الشاعر ومتلقيه من قداسة القرآن الكريم وحجاجيته؛ ومن أمثلة ذلك يقول **محمد العيد:**[3]

إلى الحَق ولوا أيها القَوم وجوهكُم	**إلى الحَق لا يأخذْكُم فيه لائم**
ومن يوق شح النفْسِ لَم يك آثما	**ولا خاسرا إنْ باءَ بالخُسر آثم**

فقد اقتبس الشاعر من الآيتين الكريمتين: في قوله تعالى **وحيثُ ما كُنتم فَولوا وجوهكُم شطْره** [4]، وقوله عز وجل **"ومن يوق شح نفْسِه فَأولَئك هم المُفْلحونَ** [5]. يحاول الشاعر التأثير في المتلقي وإكسابه صفات قدسية، وأن يتخلص من أدران الدنيا من الشح والإثم والخسران ويعود إلى الحق لا يخاف فيه لومة لائم.

1خليفة بوجادي : الثابت اللساني في إلياذة الجزائر بين المنظور الوظيفي والاتجاه الأسلوبي ، دار هومة 2001، ص119.

2 أحمد طايعي : القراءة بالمماثلة في الشعرية العربية القديمة ص110.

3 الديوان ص136.

4 سورة البقرة آية 144.

5 سورة الحشر آية 9- وسورة التغابن الآية 16.

يعد االقرآن الكريم أس الاحتجاج ومرجعيته في تدعيم أو تفنيد فكرة معينة. يقول الشاعر **أبو بكر مصطفى بن رحومة:**[1]

ورأى الله لا يـغيـر مـا بالقـ ... وم حـتـى يحاولوا التحويلا
كيف يرجو الوصولَ يا قومِ من لم ... ينـو سعيا ولم يحاول رحيلا
سنةُ اللهِ في البـرايـا ولـن تـلـ ... ـقُوا لما سـن ربنا تـبديلا

يضمن الشاعر في شعره شيئا من المعاني القرآنية، يقول عز وجل **إنّ الله لا يغير ما بِقَومٍ حتى يغيروا ما بِأنفُسِهم** [2]، فيخاطب الشاعر الشعب بحماسة اقترنت بمشاعر إسلامية، كي يبدو أكثر تأثيرا وإقناعا.

كما قد يستمد الشاعر حجته التمثيلية من الحديث النبوي الشريف مثل قول **محمد العيد:**[3]

إنّ الشقاق قَطيع ... يدعو لكل قَـطيع
والشاةُ للذئْبِ سهم ... إنْ فَرطَت في القَطيع

حيث استوحى الشاعر الفكرة التمثيلية من الحديث النبوي الشريف في قوله صلى الله عليه وسلم:"**يد الله مع الجماعة**"[4]، و"**إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**"[5]، وفي المعنى نفسه يقول **مفدي زكريا (1908-1977):**[6]

أبقَى لَنا عبرةً من الذ ... ئْبِ والغنمِ القَاصية

1 محمد صالح الجابري: الأدب الجزائري المعاصر ، دار الجيل بيروت ، ط1، 2005م، 1426ه، ص64.
2 سورة الرعد آية11.
3 الديوان: ص175.
4 سنن الترمذي.
5 رواه أحمد وأبو داود بن أبي الدرداء.
6 اللهب المقدس، ص349.

حاول الشاعر لفت المتلقي إلى استخلاص العبرة والحكمة من هذا التمثيل، فالفرقة والشتات سبيل الموت والهلاك شأنه في ذلك شأن الغنم القاصية التي فرطت في الجماعة.

ويقول **مفدي زكريا** مخاطبا المستعمرين:[1]

ومن يلْدغْ فإنا قَد لُدغْنا خداعا من جحورِكُم مرارا

وهو استمداد واضح من قول الرسول الكريم: **"لا يلْدغُ المؤمن من جحرٍ واحد مرتين"**[2].

كما قد يستغل الشاعر بعض الأبيات الشهيرة، بقو ا التمثيلية لتضفي قوة حجاجية مثل قول **مفدي زكريا**:[3]

وفي ذَنبِ الأفْعى تذّكّرت قصة أضاع بِها فردوسها رأس ثُعبان
فَأتبعت بِالأذْنابِ رأساً مهشما فَولى فرنــسِي، وأدبر اسبانِي

خاطب الشاعر **الحسن الثاني** ملك المغرب مستغلا صورة شعرية «لأحد الشعراء الأندلسيين حيث خاطب آخر الحكام المسلمين بالأندلس:

لا تقْطَعن ذَنب الأفْعى وترسلُها إنْ كُنت شهما فَاتبِع رأسها الذنبا»[4].

وظّف **مفدي زكريا** بيت المتنبي الذي يقول فيه:[5]

1 اللهب المقدس ص 53.
2 صحيح مسلم:أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري "حدثنا بن سعيد، حدثنا ليث بن عقيل عن الزهري عن بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، أم الكتاب والدراسات الإلكترونية، info@amelketab.net
3 اللهب المقدس ص 325.
4 محمد ناصر:الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، دار الغرب الإسلامي 28 أكتوبر 1983، ط1-1985، ط2-2006م، ص489.
5 الديوان، دار الجيل ، بيروت، ص141.

ومن يك ذَا فَمٍ مر مريضٍ يجِد مرا بِهِ المَاءَ الزلالا

حيث يقول **مفدي زكريا** واصفا تردي اللغة العربية:[1]

مسخوها وشوهـوها انتهاكا وابتغوها سخافةً وابتذَالا

جهلُوها فَأنكَروها وطَـعم المَا ءِ مـر، لمن يئن اعتلالا

فقد مثّل للغة العربية بالماء العذب الزلال، ومثّل للضعف في قوله (مسخوها شوهوها،...سخافة ..جهلوها..) بالمريض (لمن يئن اعتلالا)، الذي يجد طعمه مرا، فيقارن القارئ ويستنتج ويقيس ويقَدم التمثيل له كشاهد حجاجي بلاغي تمثيلي، يؤدي إلى إقناع المتلقي وتعديل سلوكه، ويصبح التمثيل شاهدا وأنموذجا أولا لكل السلوكات اللاحقة.

والواقع أنّ **مفدي زكريا** شديد التأثر بشعر **المتنبي**، فنجده يقول مثلا:[2]

فَلا تفْشِ يا قَلْب أسرارها فَإن شهيد الهَـوى من كَتـم

ولَا تشك للكَائنات أسا ك فَأنت الخَصيم وأنت الحَكَم

فضمير الهاء في قوله أسرارها يعود على المكان، وهو ساحل بولوغين الاسم الجديد الذي أطلق بعد الاستقلال على ضاحية سانتوجين. والبيت الثاني تناص قريب من قول **المتنبي**:[3]

يا أعدلَ الناسِ إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخَصم والحَكَم

إنه تمثيل حجاجي لما هو مشترك بين الشاعر والمتلقي ليضفي عليه قوة حجاجية بالغة التأثير.

---

1 اللهب المقدس، ص190.

2 إلياذة الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 5 ماي 1987م-1407ه : ص110.

3 الديوان، ص332.

يقول **مفدي زكريا:**[1]

وما المَرءُ إلا عقْلُه، ولسانه وهمـته القَعسا، وجوهره الأنقَى

ففي هذا البيت تمثيل حجاجي وتناص ظاهر قريب من قول **زهير بن** أبي **سلمي**[2]:

لسانُ الفَتى نِصف ونِصف فُؤاده فَلَم يبق إلا صورةُ اللحمِ والدمِ

لكن **مفدي زكريا** أضاف مفهوما جديدا هو الهمة القعساء، أي العزة الثابتة آخذا من المعنى المعجمي لكلمة القعس"وهو نقيض الحدب خروج الصدر ودخول الظهر"[3]، كما أضاف الجوهر الأنقى للمرء.

يقول الشاعر **الصديق السعدي التبسي (**1907-1970):[4]

وما المَرءُ إلّا العقْلُ والمَـنطق الذي ينِم عن الإِنسان في **السر والجَهر...**
وما الحُسـن إلا نغـمـةٌ عبقَرية تتوق لَها الأذْواق موثُـوقَة الأسر...
ولَيـس يهم النفْس إذَا جل مقْصدي تنقلُ خطْوي في **الدمقْسِ أمِ الجَمرِ**
ولَيـس يضير المَرءُ إذَا كَانَ سيِّـدا أسار على الأفْلَاك أم دس في القَبر
ومن عاش في **الألْحان والشعر والمُنى يهن ما يرى من حـوله طيلَة العمر**

ففي أول بيت -وما المرء إلا العقل والمنطق- يتناص مع قول **زهير بن أ**بي **سلمى:**[5]

لسانُ الفَتى نِصف ونِصف فُؤاده فَلَم يبق إلا صورةُ اللحمِ والدمِ

1 محمد الهادي السنوسي الزاهري :شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج1 ص263.
2 ديوان زهير بن أبي سلمى ، اعتنى به وشرحه حمدو طماس ، دار المعرفة بيروت لبنان، ط2، 1426ه-2005م، ص71.
3 ابن منظور: لسان العرب، مادة (ق ع س).
4 صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 (الملحق) ص39-40.
5 ديوان زهير بن أبي سلمى ، اعتنى به وشرحه حمدو طماس ، ص71.

فالشاعر يستحضر ما هو مشتركا بينه وبين المتلقي بالاستعانة بالسلطة الرمزية التمثيلية ليكون أبلغ تأثيرا وأقوى حجاجا.

يقول الشاعر الجزائري **محمد العلمي (1896-)**:[1]

الله أكْبر كَم في العلْم من حكَمٍ ومن سناءٍ وكَم في الجَهل من سقَمٍ
هذي الخلائق في الأجسامِ واحدة نعــم ولَكنها شتانَ في النســم
إن الحَياةَ بِلَا علْمٍ، ولَا عملٍ وجودهــا باطلٌ للمرءِ كالعدم
وانظُر إلَيه رعــاك اللّهُ معتبِرا تلْق السعادةَ ركْــنا غَير منهدمِ
رجالُه في المَلا قَد أحرزوا شرفًا من شهده شربوا من غَير محتشم
هذي مناقبهــم بِالعلْم شاهدةً فَكَم بِها حجج بدت لمحتكَــم
استغفر اللّهَ هذَا الجَهلُ خامرنــا فالقَوم قَد كُبكبوا في الضير والألَم
عار علَى المَرءِ أنْ يبــقَى أخا كَسلٍ يتركه السعي مختــالًا بذي رمــم
كَيف النجاةُ وسوق الجَهل رائجةٌ والقَــوم في حيرة الكَون كالنعم
كَيــف النجــاةُ ولا داعٍ فَينقذُنا ويــطْرد بالإفْصاح والقَلَــم
آه علَى معشر قَد ضاع مجدهم إن المَكَارم والأخلاق في سقَــم

ففي البيت الأول تمثيل حجاجي وتناص شعري مع بيتين، ففي الشطر الأول اقتباس من بيت أمير الشعراء **أحمد شوقي**:[2]

الله أكْبر كَم في الفَتح من عجبٍ يا خالد الترك جدد خالد العربِ

وفي الشطر الثاني من بيت **الأمير عبد القادر الجزائري**(1807-1883)[3]:

---

1 محمد الهادي السنوسي الزاهري : شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ط2، ص183

2 أحمد شوقي: الشوقيات، راجعه وضبطه يوسف الشيخ، محمد البقاعي، دار الكتاب العربي، الجزء الأول في السياسة والتاريخ والاجتماع بيروت –لبنان، 1427ه-2006، ص48.

3 ديوان الأمير عبد القادر الجزائري تحقيق ممدوح حقي، دار اليقضة بيروت ط2، 1962، ص35.

لو كُنت تعلَم ما في البدو تعذرنِي لَكن جهلْت وكَم في الجَهلِ من ضرر

كما نجد كذلك قوة تمثيلية حينما قال الشاعر **محمد العلمي** :[1]

عار على المَرءِ أنْ يبـقى أخا كَسلٍ يتركه السـعي مختالا بذي رمم

حيث يرى أنه من العار على المرء أن يبقى كسلان مفتخرا برسم آبائه وأجداده الذين يتبرأون من كل خامل كسلان، وهذا يحيلنا إلى تمثيل حجاجي مبني على التناص الشعري مع قول **المتنبي:**[2]

ما بِقَومي شرفْت بلْ شرفُوا بِي وبِنفْسِي شرفْت لا بِجدودي

وهذا التناص أضاف بعدا تاريخيا ثقافيا متنوعا وأكسب النص قوة حجاجية متمثلة في كونه مرجعية تاريخية للقارئ، حين يستحضر النص الغائب لأنه مرجع مشترك بين الشاعر والمتلقي.كما نجد تناصا مع بيت **المتنبي** هذا في قول **محمد الأخضر السائحي(1918)**:[3]

مجدنا نبتغـيه نحن جديدا نرفُض المَجد من يد الآباءِ

يقول **مفدي زكريا**:[4]

وإنْ يك شعر الخَنافيس خنثَى فَشعري صريح الرجولَة فَحلُ

وهنا يستحضر القارئ البيت المأثور في المفاخرة:[5]

---

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري : شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ط2، ص183

2 أبو الطيب المتنبي: الديوان، دار الجيل، بيروت، ص21.

3 همسات وصرخات، دار الطليعة بيروت للطباعة والنشر ط1 كانون الأول ديسمبر 1965 ص75.

4 إلياذة الجزائر ص116.

5خليفة بوجادي : الثابت اللساني في إلياذة الجزائر بين المنظور الوظيفي والاتجاه الأسلوبي ، ص120.

إني وكُل شاعر من البشر شيطَانه أنثى وشيطَانِي ذَكَر

يقول الشاعر محمد **السعيد الزاهري (**1899م-1956م**)** أثناء مزاولة دروسه في الزيتونة:[1]

قَضيت حياتي مدلجا ومؤوبا ولَكن كأني رمت عنقَاءَ مغربا
تود الليالي لو تُنتنِي عنِ المُنى وعزمي يأبى حتى أدرك مطلَبا
ومن يبتغي الأمر الجَليلَ فإنه يكَابِد فيه متعبا ثُم متعــبــا

تتناص هذه الأبيات مع حكم أخرى منها: وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا، و"من أراد العلا سهر الليالي" فشكّل التناص مرجعية ثقافية تاريخية للقارئ، وأكسب القول قوة حجاجية وتمثيلا تصويريا للمعنى المراد، فبلوغ المنى والمطالب والأمر الجليل يقتضي عزما وصمودا ومتاعب اقتضاءً حتميا، وجعل الشاعر من نفسه قدوة لغيره. يقول **مفدي زكريا:**[2]

فَهم يرقُصونَ كَطَير ذَبِيحٍ ولا يحفلُونَ بِركْبِ المَنايا

يتحدث الشاعر في هذا السياق عن الشباب الذي يغتر باسم التقدم ولا يحافظ على أخلاقه، موظفا تناصا شعريا من بيت الشاعر[3]:

لاَ تحسبوا فَرحي من بينِكُم طَربا فَالطير يرقُص مذْبوحا من الألَم

وقد يعتمد الشاعر- في حجاجه- على المثل؛ باعتباره مسلمة تختزل التجارب الإنسانية؛ ليسهم في تأسيس قاعدة خاصة، وبنينة الواقع فيكون بذلك أقدر على الإقناع والفعل والتأثير في المتلقي، والهدف من المثل هو«تقوية درجة التصديق بقاعدة أو فكرة أو

1 محمد الهادي السنوسي: شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج1، ص154.
2 إلياذة الجزائر ص98.
3خليفة بوجادي : الثابت اللساني في إلياذة الجزائر بين المنظور الوظيفي والاتجاه الأسلوبي ، ص 119.(لم يذكر الكاتب اسم الشاعر).

أطروحة معلومة تقدم ما يوضح القول العام ويقوي حضوره في الذهن»[1]، فالعرب تضرب الأمثال لإبراز المعنى وتوضيحه وإماطة اللثام عن خفايا الأمور وحقائقها، كما تستعملها لدحض آراء الخصم وإقناعه. يقول **مفدي زكريا** موظفا المثل: [2]

ولن يغسِلَ العار إلا الدماءُ وعاش الحَديد يفل الحَديد

في هذا البيت تناص مع المثل السائر "إنّ الحديد بالحديد يفل"[3]، ويقع بيت الشاعر «في آخر الوحدة الشعرية، مما يشفع للقارئ في الإصرار العاطفي الذي يكتنفه، وإثبات مطلق لما ورد فيه فضلا عن الاستخدام الذي أحدث الانتظار الخائب في لفظ الدماء، وكذا الحديد يفل الحديد، مما جعل البيت يحظى بقوة خاصة وانفعال مثير»[4]، حيث خالف الشاعر أفق انتظار المتلقي بما لم يكن يتوقعه، ومع هذا التمثيل يحدث انفعالا قويا وإثباتا لرأيه وبالتالي يكون حجاجه أقدر على الإقناع.

والضمير الذي يستعمله الشاعر في أمثاله وحكمه ضمير حيادي جمعي، يمكن إدراجها في أي سياق مماثل؛ لأنها تتحدث عن تجارب إنسانية وحقائق بديهية، يقتنع ا عقل المتلقي«والمثل يرد في مظهر القدوة أو العبرة، بعد أن تم إبرازه في شكل تجارب فردية في الحياة سرعان ما ت ع من سياقها الخاص؛ فتتحول إلى تجربة عامة بعيدا عن أي تجربة ذاتية منفردة؛ وهذا يعني أنه قابل للاندراج في أي سياق بعد أن تعاد صياغته في جمل قائمة برؤوسها تتضمن الحكم والعبر استنادا إلى تجارب السابقين»[5]، ومن هنا يتفاعل المتلقي مع حكم الشاعر ويقتنع ا؛ لكونه يعثر على ذاته فيها فيتأثر ا.

---

1 عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص95.

2 إلياذة الجزائر ص65.

[3] أبو الفضل الميداني: مجمع الأمثال: تحقيق محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة مصر ، ط2، 1959م، ص269.

4خليفة بوجادي : الثابت اللساني في إلياذة الجزائر بين المنظور الوظيفي والاتجاه الأسلوبي، ص112.

5 حميد سمير: شعرية المثل عند المتنبي(البنية والوظيفة)، مجلة فكر ونقد العدد35، البريد الإلكتروني: http://aljabriabed.com



2- 1-2 حجاجية التشبيه:

التشبيه هو أن يماثل بين المشبه والمشبه به، فيجعل المتلقي يعقد مقارنة بينهما، ويحاول معرفة وجه الشبه بينهما، فإن أحسن الشاعر في ذلك أسهم في إقناع المتلقي بما يقول، ذلك أنّ التشبيه«يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما، فأحسن التشبيه ما وقع بين شيئين لاشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيه حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد»[1]، ويرى **السكاكي** أنّ الاشتراك في وجه الشبه إما أن يكون مستندا إلى الحس أو إلى العقل أو إلى الوهميات المحضة.[2]

عمد البلاغيون المحدثون إلى التمييز بين التشبيهات الحجاجية والتشبيهات الشعرية أو الزخرفية، حيث يقول **فرانسوا مورو**«إن التشبيه يمكن أن يستخدم كأداة توضيح في قول ما، إلا أن دوره يكون أحيانا مستهدفا توصيل الإحساس، وقد كانت البلاغة القديمة [تميز بين نوعين من التشبيه] الأول المقدم كشاهد ولأجل العقل هو نوع من الاستقراء... والثاني يقدم لتنوير الشيء وتلوينه وتزيينه وغرضه يتمثل في جعل موضوع التفكير حاضرا في المخيلة»[3]، وكان يقصد بالبلاغة القديمة بلاغة **أرسطو**؛ فقد ميز بين التشبيه الخطابي والتشبيه الشعري، فالأول تشبيه تفسيري واقعي والثاني عاطفي، لكن في الواقع وفي كثير من الأحيان لا يمكن تصنيف التشبيه إن كان عاطفيا شعريا أو موضوعيا تفسيريا.

يوظّف الشاعر التشبيه حتى يقرب الصورة إلى المتلقي فيجعلها مجسدة أمامه في شكل محسوس، وتكمن حجاجية التشبيه في كونه تصويرا قويا للمعنى يزيده وضوحا وقربا وتأثيرا، خاصة إذا كان المشبه أمرا غريبا يحتاج إلى الإيضاح، كما تكمن حجاجيته كذلك في بيان حال المشبه إذا كان المشبه به معروفا والمشبه مجهولا، أو إثبات صفة (وجه الشبه) للمشبه بوجه جمالي وتبيين مقدارها، وقد يستعمل الشاعر التشبيه لتزيين المشبه أو لتقبيحه أو لبيان

---

1 قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص124.

2 ينظر مفتاح العلوم 440.

3 محمد الولي: مفاهيم بلاغية: الكناية والشاهد والتشبيه والاستعارة والتمثيل والأسطورة ، مجلة علامات عدد17، ص95.

إمكان الشبه خاصة إذا أسند إليه أمر مستغرب؛ فيكون التشبيه به لدفع هذه الغرابة عن المشبه.

ومراتب قوة التشبيه مبنية على حذف أداة التشبيه ووجه الشبه، فالمحذوف أقوى وأبلغ مما لم يحذف منه لذلك فإنّ درجة القوة الحجاجية للتشبيه البليغ أشد قوة وأكثر تأثيرا في نفس المتلقي من التشبيه المرسل.

ثم إن التشبيه الضمني هو تشبيه لا تذكر فيه أركانه بصورة من صور التشبيه المعروفة، وإنما تلمح من مضمون الكلام لذلك فإنه أقوى من التشبيه البليغ، ويأتي التشبيه التمثيلي أقوى درجات التشبيه الحجاجية؛ لأنّ وجه الشبه فيه منتزع من متعدد؛ حيث تقع المشا ة في التشبيه التمثيلي بين صورتين والتشبيه «متى كان وجهه وصفا غير حقيقي، وكان منتزعا من عدة أمور خص باسم التمثيل»[1] ، فيعبر عن المعنى الواحد بأساليب مختلفة وضوحا وخفاءً، فتؤدي روعة التصوير إلى قوة التأثير، وتتجلى قوة التأثير حينما يترك الأسلوب أثرا في نفوس المتلقين ويجعلهم يصدقون فكرة أو رأي الشاعر.

يقول **محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي**(1887م-1948م)في قصيدة العلم والأدب:[2]

العلْم بحــر والفُنــونُ جــواهر	**والشعــر در راجِــح الميزان**
والناس تسبــح في بِــحار فُنونِه	**وتغوص بحر العلْم كالحيتان**
هذَا يصادف درةً وهــاجــةً	**نــورا وذَاك يــفُوز بِالمُرجان**
والشــعر نور للعلُــومِ يضيئُهــا	**كالشمسِ أو كالعينِ للإنسان**
الشعر حصن للعلُومِ فَلا تدع	**شعر الشعور يضيع بالنسيان**
يا أيها النــشء الصغير أما علمــ	**ت العلْم خير مكاسبِ الإنسان**

1 مفتاح العلوم: ص455.

2 محمد الهادي الزاهري السنوسي :شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج2، ص201.



فَاطْلُب هديت العِلْم تظْفر بِالْمُنى واعملْ بِه في السر والإِعلان
كُن عالما، متعلما متنورا واحيِ الْمَواطن رغْم أنف الشانِي
من لَم يكُن في عصره متعلما فَاحسبه كالتمثَال في الجُدران
ما سؤدد الإِنسان إلا بِعلْمه فَا لعــلْم مثْلَ التاج للسلْطَان

راوح الشاعر بين أنواع التشبيه في قصيدته هذه، فوظّف التشبيه المرسل(العلم مثل التاج للسلطان) فكان حجيته ضعيفة مقارنة مع التشبيه البليغ (العلم بحر) كما في قوله (الشعر كالشمس أو كالعين للإنسان) أضعف قوة من التشبيه البليغ في قوله(الشعر نور للعلوم يضيئها، والشعر حصن للعلوم، والشعر در راجح الميزان) أو (الفنون جواهر) وشبه عدم تعلم الإنسان بالتمثال، مقارنا إياه بمن يسبح في بحر العلم ويغوص كالحيتان، وغايته في ذلك توجيه للمتلقي إلى العلم والتعلم جاعلا المعنوي في شكل محسوس وهي أفعال كلامية غير مباشرة توجيهية بتعبير **سيرل،** تهدف إلى التأثير في المتلقي ودفعه إلى الفعل والإنجاز بعد الإقناع والتصديق.

وقد تحدث **السكاكي** عن مراتب التشبيه وبين درجة القوة فيها، فإن ذكرت أركانه الأربعة المشبه والمشبه به والأداة ووجه الشبه فلا قوة لهذه المرتبة، ثم إنّ حذف أداة التشبيه أو المشبه وأداة التشبيه فيها نوع من القوة، وحينما لا يذكر وجه الشبه تقوى درجة التشبيه الحجاجية لعموم وجه الشبه فيه، أما إذا ترك وجه الشبه وأداة التشبيه (تشبيه بليغ) فهي أقوى من الدرجات السابقة، فكلما حذف ركن من أركان التشبيه الأربعة كان أقوى وأبلغ[1].

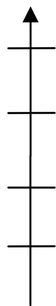
وفي التشبيه المرسل قد يستعمل الشاعر أداة التشبيه (الكاف) أو (كأنّ)، فلماذا يختار أداة بعينها؟ تفيد الكاف القرب بين طرفي التشبيه دون مبالغة؛ بل لعقد مقارنة بينهما دون إظهار علاقة المتكلم بهما عاطفيا ومن هنا فإنّ أداة التشبيه (الكاف) أقل قوة وأضعف حجة إذا ما قورنت بالأداة (كأنّ) وبالتالي يقع التشبيه (بالكاف) في درجة أقل في سلمية الحجج،

1 ينظر مفتاح العلوم ص464.



أما أداة التشبيه (كأنّ) فإنّ وجودها يمثل مرحلة أكثر عمقا في عملية التشبيه نظرا لوجود المشبه إلى جانب المشبه به دون فاصل بينهما، لذلك فإنّ أدوات التشبيه هذه ليست على مستوى واحد من الدلالة؛ بل ترتبط دلالتهما بإحساس المتكلم بعناصر التشبيه التي يشكلها، وهكذا تتضح لنا السلمية الحجاجية لاستعمال أدوات التشبيه كما يلي:

درجة القوة الحجاجية للتشبيه



تشبيه تمثيلي

تشبيه بليغ

التشبيه بـ (كأنّ)

التشبيه بـ (الكاف)

ففي التشبيه بالكاف يقول الشاعر **مبارك جلواح العباسي** (1908م-1943م) في قصيدة (يا قلبي)[1]:





قُلُوب الناسِ كالصـوان أقْسى ... لغير الفَأسِ لَم تسمح بِلين
وعطْف الناسِ كالغمضِ المُواسي ... يعاف اللمس للجفْنِ السخين
وللإحسـان بِالأضغان جهلٌ ... كَجهلِ البرءِ للداءِ الدفْين
وللقُربـى بِهذَا الخَلْـقِ سم ... كَسّمِ الرقْطَا بالمَاءِ المَعـين
وأنى الـخير يرجى من نفُوسٍ ... كَنارِ الغازِ في أدرانِ طين

فقد أكثر الشاعر من التشبيهات مستعملا أداة التشبيه (الكاف)؛ بل إن كل الأبيات لا تخلو من تشبيه يصور قلوب الناس القاسية الحاقدة التي لا تعرف عطفا ولا إحسانا ولا خيرا، فشبه الشاعر قلوب الناس بالحجارة (الصوان) في القسوة، محاولا إبراز شدة قساوة القلوب التي لا يكسرها إلا الفأس، إ ا قلوب لا تعطف على أحد مثلها مثل النوم الذي يعاف لمس الجفن السخين أي الحار، ويبرر الشاعر انعدام العطف لكو ا قلوب حاقدة تجهل

1عبد الله ركيبي : الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1986، ص382-383.

الإحسان؛ فشبه هذا الحقد بالداء الشديد الذي لا يعرف البرء، فحاول الشاعر إثبات شدة جهل هؤلاء الناس، كما أبرز شدة البغض والحقد، فشبه بغض هذه القلوب بسم الأفعى الرقطاء الذي لا برء منه، وهذه النفوس لا يرجى منها خير؛ بل هي كنار الغاز المتأججة في أدران طين. ولهذه التشبيهات قدرة حجاجية على تصوير شدة ألم وحزن الشاعر ويأسه، لها قوة حجاجية أكثر من المعاني الحقيقية الصريحة كو ا تجعل المحسوس في شكل ملموس.

يقول محمد **العيد** موظفا التشبيه المرسل والتشبيه البليغ:[1]

العلْم سلْطَانُ الوجود فَسد بِه   من شئْت أو ذُد عن حياضك وادفَع

إلى أن يقول:[2]

الجَهلُ أشبه بِالغرابِ فَمـا له   من منزلٍ غَير الخَرابِ البلْقُع
الجَهلُ غَيم فَوق أرضك ضارِب   غـطّى على أحيائها والأربع

فحينما قال الشاعر (الجهل أشبه بالغراب) وكان وجه الشبه الخراب، وظف تشبيها مرسلا ذاكرا كل أطرافه، فقوته الحجاجية ضعيفة، حتى في درجة التشبيه بين الجهل والغراب، كما وظف التشبيه البليغ "الجهل غيم" فهي أقوى درجة من التشبيه المرسل، مع أنّ للغيم فائدة ترتجى هي سقوط المطر ولا فائدة ترتجى من الجهل، أما حينما يشبه العلم بسلطان الوجود، فهو كذلك تشبيه بليغ أقوى درجة حجاجية في القول برمته، فبالعلم سادت الدول. ويقول **مفدي زكريا** في قصيدة خواطر كئيب:[3]

هو الشـعر أسـرار القُلُوبِ تقَمصت   لَديـه فَأولاها الصراحةَ والنطْقَا

---

1 الديوان ص145.

[2] الديوان ص145.

3 محمد الهادي السنوسي الزاهري :شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، إعداد وتقديم عبد الله حمادي، دار اء الدين للنشر والتوزيع ، ط2، الجزائر 2007 ج1، ص262.

هو الشعــر آيات النبــوغ تفَجرت بِكاساته البيضاء، فَناولَها الخَلْــقَا
هو الشعر أنات القــلُوبِ ترددت بِمزهره الصداح، تخترق الأُفْقَا
هو الشعر للإحساس أهدى من القَطَا وأبصــر في بحر العواطف من زرقَا

حيث وظف الشاعر التشبيه البليغ بصورة مكثفة، فالشعر (أسرار القلوب، وأنا ا وآيات النبوغ) ليضفي على قوله قوة حجاجية إقناعية، وهذا يقتضي أنّ الشعر ليس نظما دون إحساس، واستعان بالمثل فجعل الشعر أهدى من القطا وهو طائر معروف وفي المثل "لا أدل من القطا؛ لأ ا ترد الماء ليلا من الفلاة البعيدة"[1].

كما جعل الشعر أبصر من زرقاء اليمامة التي يضرب ا المثل في حدة البصر. فكان هذا البيت الأخير أقوى حجاجيا بتوظيف المثل وأسماء التفضيل، كما لا ننسى الطاقة الحجاجية للتكرار (هو الشعر) التي تكررت كل مرة بصفة إلحاحية.

نظر **السكاكي** في أحوال التشبيه «من كونه قريبا أو غريبا مقبولا أو مردودا»[2] ، فإذا كان قريبا؛ أي قريبا إلى النفس تأثرت به، وإذا كان مقبولا أدركه العقل وتعلّق به؛ ووضح ذلك كما يلي:

- إدراك الشيء مجملا أسهل من إدراكه مفصلا.
- أن حضور صورة شيء تتكرر على الحس أقرب من حضور صورة شيء يقل وروده على الحس.
- الشيء مع ما يناسبه أقرب حضورا منه مع ما لا يناسبه.
- ميل النفس إلى الحسيات أتم منه إلى العقليات؛ لأنّ إدراك الحس متقدم على إدراك العقل.
- قبول النفس لما تعرف فوق قبولها لما لا تعرف.[3]

1 ابن منظور : لسان العرب مادة (ق ط ا).
2 مفتاح العلوم ص459.
3 ينظر نفسه ص459-460.

فإذا أدرك العقل هذا التشبيه من كونه قريبا، يتحقق التأثير والإقناع، فالقرب يؤدي إلى الميل والقبول يؤدي إلى الاقتناع.

والتشبيه مع تنوعه في الدلالة بين القوة والضعف، والمبالغة والمقارنة، إذا ما قورن مع الاستعارة فإنه أقل قوة منها لقيامها على التأويل والادعاء في إثبات المعنى، وهذا ما سنبينه في حجاجية الاستعارة.

3-1 حجاجية الكناية:

يرى **عبد القاهر الجرجاني** أنّ الكناية «إثبات لمعنى أنت تعرف ذلك المعنى من طريق المعقول دون طريق اللفظ»[1]، فاللفظ في الكناية يحمل معنى زائدا عما تحمله في صيغتها الأولى وهي أبلغ من التصريح لما لها من قوة على إثبات المعنى وتأكيده بتصويره تصويرا واضحا مصحوبا بما يؤيده، فدرجة الحجاج فيها أقوى «فليست المزية في قولهم (جم الرماد) أنه دلّ على قرى أكثر؛ بل إنك أثبت له القرى الكثير من وجه أبلغ وأوجبته إيجابا هو أشد، وأدعيته دعوى أنت ا أنطق وبصحتها أوثق»[2]. والمتكلم لا يريد من استعماله للكناية المبالغة؛ بل يقصد إثبات المعنى وتقريره، فحينما تستعمل الكناية لأمر ما فأنت تثق بصحته وتثبته وتقدم حججا تلميحية تؤكده ا.

وإثبات المعنى حسب **عبد القاهر الجرجاني** يكون بالتلميح لا بالتصريح عن طريق جعل المعنى خفيا ملتبسا لا ظاهرا مباشرا؛ حيث يقول:«إنّ الصفة إذا لم تأتك مصرحا بذكرها، مكشوفا عن وجهها، ولكن مدلولا عليها بغيرها، كان ذلك أفخم لشأ ا، وألطف لمكا ا، كذلك إثباتك الصفة للشيء تثبتها له إذا لم تلْقه إلى السامع صريحا وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة، كان له من الفضل والمزية، ومن الحسن والرونق

1 عبد القدر الجرجاني: دلائل الإعجاز تحقيق أبو جمعة محمود شاكر طبعة المدني القاهرة 1984 ص431.

2 دلائل الإعجاز ص71.

ما لا يقل بقليله ولا يجهل موضع الفضيلة فيه»[1]، فيقصد المتكلم معنى لا يذكره بلفظه الخاص؛ بل يأتي بمعنى يتبعه مضمرا غير صريح هدفها زيادة إثبات هذا المعنى والدلالة عليه.

تسهم الكناية في تعميق الفكرة كما تضفي جمالا ورونقا على المعنى ليؤثر في نفس المتلقي، ومن كثرة استعمالها بين المبدعين أصبحت تعابير جاهزة يتداولو ا بينهم «إ ا واد من أودية المبدعين وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، وطريق جميل من طرق التعبير الفني يلجأ إليها الأدباء للإفصاح عما يدور بخلدهم من المعاني... الكناية-إذن- اسم جامع أطلق، وأُريد معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى، وهي وسيلة قوية من وسائل الإقناع والتأثير»[2]، فالكناية رافد إقناعي هام في الشعر فهي تجعل المعنوي في شكل محسوس واضح، وتحيل إلى معنيين أحدهما ظاهر والآخر مضمر خفي، وكلما خفي المعنى تطلعت النفس إلى معرفته بالتفكير فيه، فكان أثره فيها.

وغاية الكناية «تحريك دوائر التفكير لدي المتلقي حيث لا ينبغي حصر هذه الدوائر في قوالب جامدة، وإنما يتحرك فيها المتلقي ويتدرج من لحظة القول إلى لحظة الوصول إلى المعنى المقصود»[3]، فتعطي المتلقي الحقيقة مصحوبة بالدليل والحجة، لذلك يقول **عبد القاهر الجرجاني** «والكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه»[4]، وتعرض الكناية القضية، وفي طيها البرهان وتضع المعاني ا ردة في صور محسوسة؛ لأ ا تجعل المتلقي يبحث في معناها الضمني الخفي ويكتشفه بنفسه بعد أن يعمل عقله فيه ويتأمله؛ إذ هي تصور المعاني تصويرا مرئيا ماديا ترتاح له النفس.

---

1 دلائل الإعجاز ، ص204.

2 رابح بوحوش: اللسانيات وتطبيقا ا على الخطاب الشعري دار العلوم عنابة الجزائر 1427-2007، ص184.

3 منال النجار: المقولات البلاغية دراسة مقامية براغماتية، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي عالم الكتب الحديث إربد الأردن 2011، ط1، ص572.

4 دلائل الإعجاز ص60.

يقول **رمضان حمود بن سليمان (**1906م، ت1929م**)**:[1]

ولم أجِد الإنسانَ إلا ابن سعيه	**ومن كَانَ أسعى كَانَ بِالمَجد أجدرا**
وبِالهمة ترقَى إلى العلا	**فَمن كَانَ أعلَى همةً كَانَ أظْهرا**
ولَم يتأخر من أراد تقَدمـا	**ولَم يتـقَدم من أراد تأَخرا**

فتوظيف الشاعر للكناية (ابن سعيه)كانت أثبت للمعنى وأبلغ للمقصود، التي يستدل بها القارئ على الإرادة، والعزيمة والجد والهمة ابتغاء المجد والعلا والتقدم، فزادت الكناية في إثبات المعنى وتأكيده، وجعلته بليغا شديدا، ف«الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح»[2]، ومن مقاصد الكناية إما تهجين الشيء مثل التنفير من صفة البخل مثل قوله تعالى **لا تجعلْ يدك مغلُولة** [3]، وبالتالي جعل المخاطب يبتعد عن هذه الصفة. ومن أغراض الكناية تحسين الشيء وتجميله بدل اللفظ المستهجن كالكناية عن الصمم بثقل السمع.

يقول محمد **العيد آل خليفة**[4]**:**

يا لَمجد مضيعٍ غَير مجد	**عض كَف عليه أو قَرع سن**

وفي سياق القصيدة يحاول الشاعر الرد على الادعاءات التي تمردت على الماضي فيقول في بدايتها:[5]

لاَ تقُولُوا هانَ الجُدود فَهنا	**ساءَ نشءٌ لَهم بِهم سوءُ ظَن**

1 رمضان حمود بن سليمان: بذور الحياة، ج1، 1346ه-1928م صالح خرفي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث، ص107-108.
2 دلائل الإعجاز ص62-63.
3 سورة الإسراء، الآية 29.
4 الديوان ص108.
5 نفسه، ص108.

وهذه الادعاءات حاولت الانسلاخ من الماضي، وأنكرت ما يربط الجزائر من عقيدة وقومية، فدحضها الشاعر بالوقائع والحجج ذاكرا الملامح البارزة للوطن، وما حققته من عزة وسلطان ويرى الشاعر أنه لا يجدي الندم نفعا حين يضيع ا ـد، فوظف الكناية توظيفا حجاجيا؛ حيث كنى عن الندم ب(عض كف) و (قرع سن) ،كما وظف الشاعر الجناس التام بين **المَجد ومجد،** ومجد الجدود كان بسبب رعاية الحق والرأي والحكم العادل، وحينما انقضى ملك الجدود لم يبق للأبناء إلا التمني غير النافع.

4-1 حجاجية الاستعارة:

الاستعارة تؤثر في المتلقي وتقنعه بالحجة؛ لأ ا تتميز بالقدرة على الفعل في المتلقي وتضفي جمالا وسحرا على الكلام، حيث يرى **أرسطو** أن أعظم الأساليب هو أسلوب الاستعارة «فإنّ هذا الأسلوب وحده الذي لا يمكن أن يستفيد المرء من غيره، وهو آيه الموهبة، فإنّ إحكام الاستعارة معناه البصر بوجوه التشابه»[1].

والاستعارة ضرب من التشبيه، ونمطٌ من التمثيل «والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب وتذكره العقول، وتستفتي فيه الأفهام والأذهان لا الأسماع والآذان»[2]، فالاستعارة لون جمالي وحجة عقلية في الآن ذاته ومتى طابقت الحقيقة فإ ا لا توهم المتلقي؛ بل تقنعه للارتباط الشديد بين المتشا ين والمطابقة بينهما.

والاستعارة كما عرفها **أرسطو**:«هي نقل اسم شيء إلى شيء آخر»[3]، إ ا تشبيه حذفت بعض أركانه، فهي قائمة أساسا على المشا ة وليست مجرد زخرف وتزيين للأسلوب؛ بل إ ا أكثر حجاجية من القول العادي، يقول**"الجرجا**ني":«إذا استقريت التشبيهات، وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد، كان إلى النفوس أعجب وكانت له

---

1 أرسطو، كتاب الشعر ص128.

2 ضياء الدين بن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القسم الأول، مكتبة ـضة مصر ، القاهرة، الطبعة الأولى، 1379ه-1959م ج1، ص19.

3 أرسطو طاليس: كتاب الشعر، ص116.

النفوس أطرب»[1]، حيث يمتزج المستعار والمستعار له ويتوحد فيصبح مدركا، فيعطي للقول قوته الدلالية، وإصابته في الوصف ليكون أكثر قدرة على التأثير، ومن ثم تعتبر الاستعارة من الوسائل اللغوية التي يمكن للمتكلم أن يستغلها للوصول إلى أهدافه الحجاجية فـ«القول الاستعاري يتمتع بقوة حجاجية عالية إذا ما قورن بالأقوال العادية»[2].

تسهم الاستعارة إذن في بناء القول الحجاجي عن طريق التأثير والإقناع، فباستعمال الشاعر لها يكون اللفظ أقوى من استعماله له في معناه الحقيقي، إ ا آلية من آليات الحجاج؛ بل تعتبر مكونا رئيسا في كل قول حجاجي، فقد قال طه عبد الرحمن«لا حجاج بلا مجاز»[3].

والاستعارة أبلغ من الحقيقة حجاجيا؛ لأ ا تقوم بتحريك همة المتلقي إلى الاقتناع؛ وبالتالي يصعب على المتلقي إبطال الحجاج القائم عليها؛ لأ ا تقوم على « توريط المتلقي وإجباره على تأويل البيت وتفكيك الصورة، وبذلك يقع إلزامه بالنتيجة التي انتهى إليها بعد تفكيك وتأويل»[4]. فخاصية الاستعارة الحجاجية هي جعل المتلقي يستنتج النتيجة التي يريدها المتكلم.

فالقول الاستعاري «يعد آلية حجاجية بامتياز، فإذا كانت الاستعارة الشعرية تتملك السامع أكثر مما تقنعه، فإن الاستعارة الحجاجية تكون أكثر قهرا واقتسارا»[5]، فالاستعارة الحجاجية تكون فعاليتها الحجاجية عميقة، وأسلو ا التأثيري مقنع، أما الاستعارة الشعرية فـ«لا تحيل إلا على ذا ا. وهي تتكون من الاستعارات المركبة والاستعارات المخترعة والاستعارات البعيدة التي إذا حضرت في القول الخطابي حادت به من الخطابة إلى الشعر،

1 أسرار البلاغة، ص98.

2 أبو بكر العزاوي: الحجاج والشعر نحو تحليل حجاجي لنص شعري، مجلة دراسات سيميائية أدبية، العدد 7-1992، ص375.

3 طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص232.

4 سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص269.

5 عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ص118.

وبذلك تفشل فيها الوظيفة الإقناعية»[1]، فحين يهدف الخطاب إلى الإقناع يكون حجاجيا، وحين يهدف إلى المتعة يكون شعريا، وحين يهدف إلى الإبلاغ يكون عاديا متداولا.

وتقوم الاستعارة على«الجمع بين شيئين أو فكرتين انطلاقا من العلاقة التشبيهية من أجل تقديم صورة جديدة، أو مخترعة تتدخل فيها عملية التخييل والإبداع، وتكون أجمل وأبدع حين تثير انتباه الآخرين وتلامس مشاعرهم من خلال الجمع بين المختلفين والمتباعدين في لوحة ساحرة»[2]، ثم إن الاستعارة لا تقف عند حدود التمثيل أو المشا ة بين فكرتين ؛ «بل قد تحول البناء بكامله إلى بناء حجاجي استعاري يستدعي فيه المعنى لأول معنى ثانيا اعتمادا على المقومات الأساسية في العملية الحجاجية (مقام ومستمع ومقتضيات تداولية)»[3]، فالشاعر يستند إلى آليات استعارية ليستدرج المتلقي ويحرك خياله، وتجعله يقوم بعمليات ذهنية تأويلية، وتدمجه في الحجاج الذي يرمي إليه الشاعر، كما تزين وتكثف المعنى وتقويه.

وليست الاستعارة من قبيل التلاعب بالكلمات؛ بل لأنّ اللفظ يعار من بعد أن يعار المعنى، فالاستعارة أبلغ من الحقيقة[4]، والدرجة الحجاجية للاستعارة أقوى وأبلغ من التشبيه، فهي تصور المعنى المراد تصويرا يجمع بين الرونق والإيجاز في شيء من المبالغة المقبولة التي تزيد في قوة المعنى ، كما أنّ الاستعارة أقوى من الكناية في إثبات المعنى وتأكيده؛ بل إ ا تشكل المرتبة الحجاجية العليا من حيث القوة، وهذا السلم الحجاجي يبين درجات القوة الحجاجية للصور البيانية:

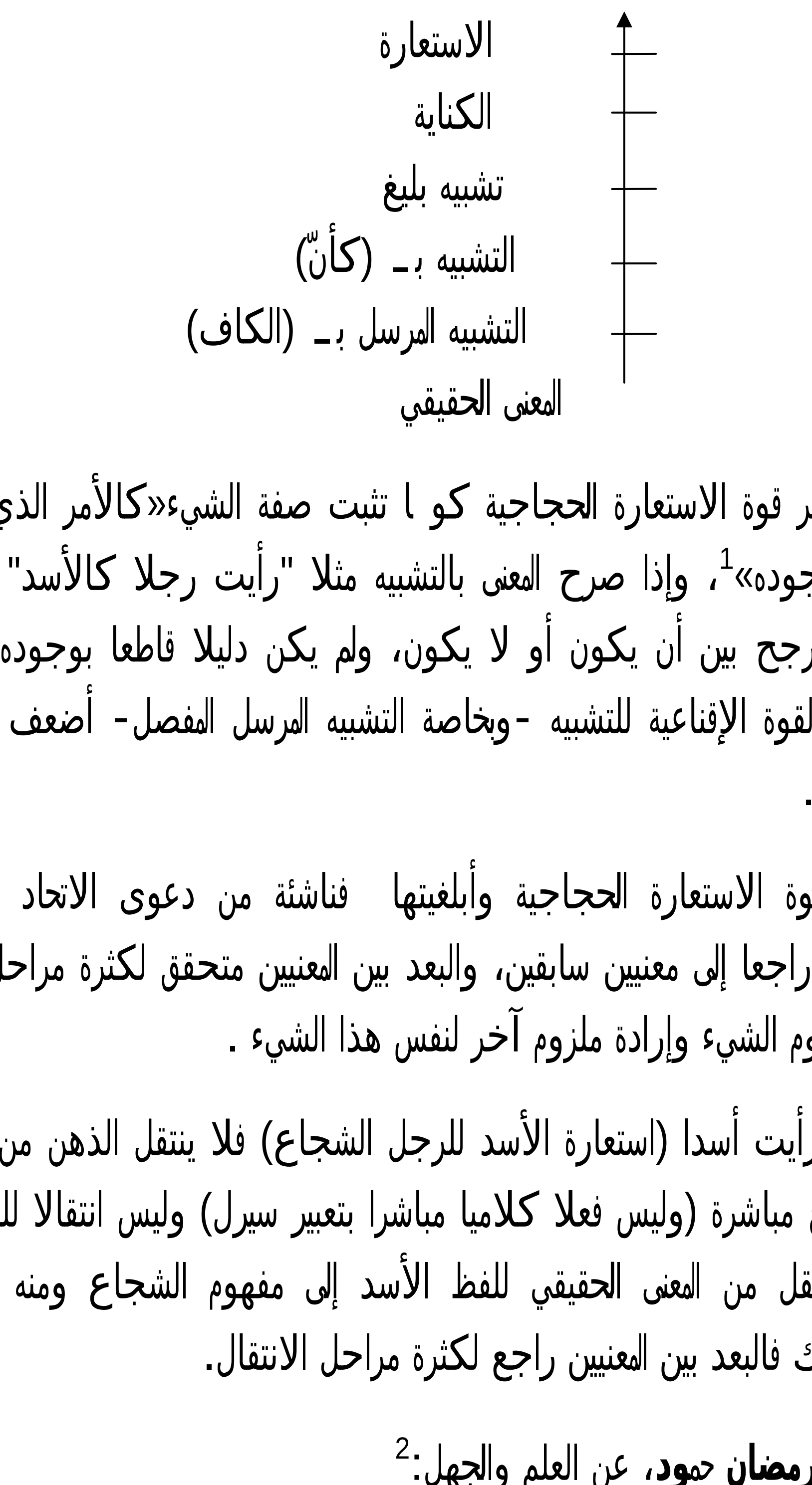
القوة الحجاجية للصور البيانية

1 عمر أوكان: اللغة الخطاب، إفريقيا الشرق 2001 المغرب، ص133-134.

2 عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ص113-114.

3 إبراهيم عبد المنعم إبراهيم : بلاغة الحجاج في الشعر العربي ابن الرومي نموذجا ص156.

4 ينظر أحمد قادم: شعرية الإقناع في الخطاب النقدي والبلاغي ص47.



من هنا تظهر قوة الاستعارة الحجاجية كو ا تثبت صفة الشيء«كالأمر الذي نصب له دليل يقطع بوجوده»[1]، وإذا صرح المعنى بالتشبيه مثلا "رأيت رجلا كالأسد" كان إثباته إثبات شيء يترجح بين أن يكون أو لا يكون، ولم يكن دليلا قاطعا بوجوده، ومن هنا كانت درجة القوة الإقناعية للتشبيه -وبخاصة التشبيه المرسل المفصل- أضعف من الصور البيانية الأخرى.

أما قوة الاستعارة الحجاجية وأبلغيتها فناشئة من دعوى الاتحاد بين طرفين متباعدين بعدا راجعا إلى معنيين سابقين، والبعد بين المعنيين متحقق لكثرة مراحل الانتقال من إطلاق ملزوم الشيء وإرادة ملزوم آخر لنفس هذا الشيء .

مثال: رأيت أسدا (استعارة الأسد للرجل الشجاع) فلا ينتقل الذهن من الأسد إلى الرجل الشجاع مباشرة (وليس فعلا كلاميا مباشرا بتعبير سيرل) وليس انتقالا للزوم عقلي؛ لأن الذهن ينتقل من المعنى الحقيقي للفظ الأسد إلى مفهوم الشجاع ومنه إلى الرجل الشجاع؛ لذلك فالبعد بين المعنيين راجع لكثرة مراحل الانتقال.

يقول **رمضان حمود**، عن العلم والجهل:[2]

لَو كُنت شخصا بليـدا أعمى البصيرة تـائـه

---

1 دلائل الإعجاز ص64.

2 صالح خرفي : رمضان حمود، ص93-94.

في الجَهل أسعى وأعـدو	**ورافـلاً في هـوائـه**
لكُنت أسـعد حظـًا	**مـن عـالمٍ بِذَكَائه**
إذا دعانِي ضـمـيرِي	**نبذْت صوت نِدائه**
لا أخدم الفكْر إلا	**مـقَـللا من بـلائـه**
ولا أهـز يـراعـا	**لسفْك طُهـرِ دمائـه**
ولا أطَـالـع سفَـرا	**مكَـدرا لصفَـائه**
أرى بِذَا الـكَون سرا	**يطُوف حولَ فنائـه**
فَيذْهب الحُزنُ عني	**لأننِي من هـبائه**
أعـيش فيـه طَـليقًا	**بِلا قُيـود ريـائـه**
فَذَاك حـظي من الـعيـ	**ش راضـيـا بِرخائـه**
فَها"علمت" فَـإنـي	**مستعـبد في بـنائه**
ولَو كَـرهت، فَإننِي	**أسـير تـحت لوائـه**
إنْ شـاءَ عشت ذَليلا	**أو شـاءَ فَوق سمائـه**
فَذُو المَـعارف يشقَى	**والبؤس طَي ردائه**
إنّ التعـاسـةَ سـم	**ممزوجـةٌ بِدمائـه**
والعقْـلُ يقْتـلُ هـما	**من يهتدي بِضيائه**
كَـم عالمٍ مـات غَمـا	**بِصبـره ووفَائـه**
أو عاش وهو كئيب	**وفَـاقد لرجائـه**
وجاهلٌ في نعيمٍ	**يجـولُ في علوائـه**

تتناص هذه الأبيات مع بيت أبي **الطيب** المتنبي:[1]

ذُو العقْل يشقَى في النعيم بِعقْله	**وأخو الجَهالَة في الشقَاوة ينعم**

---

1 الديوان ص 571.

وهذا التناص يضيف قوة حجاجية على الخطاب كونه يمثل مرجعية تاريخية مشتركة بين الشاعر والمتلقي.

وليدعم الشاعر **رمضان حمود** فكرته المتمثلة في عناء العالم وشقائه وسعادة الجاهل وهنائه وظّف مختلف الأساليب البلاغية في قصيدته، التي تتفاوت في قو ا الحجاجية من صورة إلى أخرى، أقواها حجة هي الاستعارات المكنية(في الجهل أسعى، دعاني ضميري، أخدم الفكر، سرا يطوف، يذهب الحزن، والعقل يقتل، قيود ريائه). كما اعتمد على التمثيل ليقارن بين العالم والجاهل، فصاحب العلم والفكر هو ذو عقل ناضج يتعب نفسه في التفكير وعناء البحث وشقاء المعرفة، أما الجاهل فلا يعرف من أمور العلم شيئا، فهو ينعم بما لا يفهم من حوله، فقد أراح عقله من عناء المعرفة والفهم والتفكير لكنه شقي بجهله؛ لأنه لم ينفع نفسه ولا من حوله. ووظف الشاعر الكناية في قوله:"والبؤس طي ردائه" كناية عن شدة الشقاء، واستخدم التشبيه البليغ في قوله:"إنّ التعاسة سم".

وسبيل الاستعارة «سبيل الكلام المحذوف في أنك إذا رجعت إلى أصله وجدت قائله وهو يثبت أمرا عقليا صحيحا، ويدعي دعوى لها سبح في العقل»[1]، وبذلك فإن الاستعارة لا تقوم على الخداع والمغالطة والإيهام ما دامت تثبت أمرا عقليا.

وتعد الاستعارة أداة لتطوير المفاهيم ووسيلة لخلق الواقع وليس لتزيينه فقط، ذلك لأنّ الاستعارة ليست مجرد إشارة لشيء آخر؛ بل هي استدعاء هذا الشيء الآخر وحضوره فيها «فالاستعارة صورة ذهنية يلجأ إليها الفاعل حينما يفقد خصيصة ما موجودة لدى طرف آخر، ويعمد الفاعل إلى هذا الفعل الاستعاري لإكمال شيء ما يشعر أنه ينقصه، حتى يبدو أمام الآخرين وكأنه يمتلك كل المقومات التي تؤهله لممارسة دوره الفاعل في

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص139.

الحياة»[1]، فاستحضار الشيء بواسطة الاستعارة قوة حجاجية للمتكلم؛ لأنه يجعل مخاطبه يرى هذا الشيء ماثلا أمامه.

يقول الشاعر **الزركشي**[2]:

بلى راعني أرض الجزائر أصبحت تصـولُ الدواهي فيها صـولة أشبال
رأيت بنيها في الجَهـالة عكـفـا وربـك لا تصـفُـو الحَياة لجهال
وقَد أكلُوا من جهلهم وتمتعوا كما تأكُلُ الأنعـام بالسبسبِ الخَالي
وقَد جهلُوا أن الحَـيـاةَ ذَميمـةً إذَا لَم نزينها بأحسنِ الأعمـالِ

فالقصد التلميحي الذي يذهب إليه الشاعر هو الدعوة إلى التحرر من قيود الجهل، وأنّ الحياة تقتضي عملا بطوليا، فيشبه الوضع الراهن لبني شعبه الغارق في جهله بالأنعام في السبسب الخالي مستعملا أداة التشبيه الكاف، ووظف الشاعر استعارة مكنية لها دور حجاجي بارز حين قال(وقد أكلوا من جهلهم) فشبه الجهل بالشيء المادي الذي يمكن أن يأكل منه، لكن ماذا سيأكل منه؟ فهو كالسبسب الخالي. فامتزجت القدرة التمثيلية للتشبيه المرسل بالاستعارة فجعلت في القول قوة حجاجية إقناعية.

يقول **مفدي زكريا**:[3]

والجُرح لا يطْوى على علاته والدهر يقبل كالحُظُوظ ويدبر

ففي الاستعارة الواردة في عبارة (الدهر يقبل ويدبر) أسند الشاعر الإقبال والإدبار كحركة حسية للدهر، فربط الحسي بالجامد، وإن فعل التحول هذا يتنافى مع الدهر، وهذا

---

1 عبد الفتاح يوسف: السيمياء والاستعارة في شعر المعارضات، مقاربة سيميائية في تحليل النصوص وعلاقتها بمرجعيا ا،(مقال) مجلة سيميائيات، العدد2خريف2006، مجلة دورية محكمة تصدر عن مختبر السيميائيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران ، الجزائر، ص106.
2 محمد صالح الجابري: الأدب الجزائري المعاصر، منشورات السهل ، الجزائر 2009، ص38.
3 اللهب المقدس: ص138.

التحول يشكل انزياحا وخرقا شعريا ليكون معناه غير المباشر أنّ الأحوال تتغير لدى الناس، فيصير المنهزم منتصرا.

الاستعارة عنصر إغراب تحدث الهيبة والعجب «وما يحدث العجب يحدث اللّذة»[1]، والصورة الاستعارية تقوم مقام الحجة وتعوضها تبعا لحال المخاطب والتصوير.

يرى **ميشال ماير** أنّ القول الاستعاري آلية حجاجية بامتياز «فإذا كانت الاستعارة الشعرية تتملك السامع أكثر مما ترغمه، فإنّ الاستعارة الحجاجية تكون أكثر قهرا واقتسارا، ويتميز القول الاستعاري عن القول الحرفي في الحجاج بكونه يؤدي عدة وظائف في عملية التخاطب وعمليتي الفهم والتأويل بين المتكلم والسامع»[2]؛ فللمعنى الحرفي وظيفة إفهامية، أما المعنى الاستعاري فله وظيفة حجاجية تقنع المتلقي وتبثت له الحجة.

ـدف الاستعارة الحجاجية «إلى إحداث تغيير الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي، ويعرضها **أرسطو** باعتبارها ليست مظهرا داخليا في الخطابة؛ بل مجرد مظهر خارجي لاجتذاب السامع وإ اجه»[3]؛ حيث يكمن دورها في جلب انتباه السامع والقضاء على سلبيته، كما أنّ الاستعارة الحجاجية هي «الاستعارة التي تتخلل خطاب المتكلم ومقاصده وغاياته التداولية البراغماتية في حين يقصد بالجمالية الاستعارة البديعية؛ لأ ا تكون مقصوده لذا ا ولا ترتبط بالمتكلمين ولا بمقاصدهم»[4]. فالوظيفة الأساسية والجوهرية لهذه الاستعارة هي «وظيفة زخرفية فهي لا تملك في الخطاب أي وظيفة معرفية... وإنما دورها جمالي فقط، وهي من هذا الجانب تكتسب مشروعية وجودها في الخطابين الشعري والخطابي، غير أن الاستعارة رغم كو ا ـدف إلى ذا ا، إلا أننا لا ينبغي أن نلغي الوظائف الأخرى التي يفرض

1 محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي ط2، ص102.

2 عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ص120-121.

3عمر أوكان : اللغة والخطاب، إفرقيا الشرق2001، المغرب ، ص135.

4 محمد سالم ولد محمد الأمين: حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة طرابلس، المركز العالمي للدراسات أبحاث الكتاب الأخضر، ط1،2004،ص48

السياق وحده المهيمنة منها»[1]، فالقول الذي يبدو زخرفيا للوهلة الأولى قد يملك قوة حجاجية بارزة.

يرى **ميشال ماير** Mayer أنّ هناك قولا استعاريا صريحا وآخر ضمنيا«فأن تقنع يعني أن تنهض لغويا بما يضمن تحديد أشكال الإقناع والتأثير، بحسب مقاصد المتكلم، ومقتضيات المقام عن طريق ا از الذي يؤدي فعالية حجاجية أعمق، وا از عند **مايير** هو الذي يخلق المعنى ويصدم كل من لا يشاطر المتكلم وجهة نظره، وهو بذلك طريقة للتعبير عن الأهواء والانفعالات والمشاعر التي هي صور من الإنسان مثلما تكون الاستعارة صورة من الأسلوب للتأثير والإقناع»[2]، فالشاعر يستعمل الاستعارة حينما لا يستطيع أي قول آخر تأدية المعنى نفسه الذي يقصده ودرجة التأثير و قوة الإقناع نفسها التي يريدها.

لكن ما الذي يجعل الشاعر يختار صورة بيانية بعينها؟ فقد يستعمل الرمز أو الصورة أو الاستعارة أو الكناية أو التشبيه بأنواعه، وقد يعبر بالمعنى الحقيقي.

يقول **مبارك جلواح** في التأمل والحكمة متأملا رسم صورته:[3]

كُل هذَا الوجود يا رسم يبلَى ... بــين مضغٍ من الدهور وهضم

والليالي سوائم لَم تذَر في ال ... كَونَ شيئًا بِغير خضمٍ وقَضم

فَإِذَا ما أَنت علَى كُل ما تحـ ... ويه ذي الكَائنات يومــا بِحسم

نشبت نابها بِبطْــنِ حشاهــا ... تحــت أمرِ من الإِلَه وحكْم

1 عمر أوكان : اللغة والخطاب، ص128-129.

2عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ص121.

3 عبد الله ركيبي : الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1986، ص381.

يوظف الشاعر تناصا شعريا يظهر في البيت الأخير مع بيت **لأبي ذؤيب الهذلي** (م648م):[1]

وإذا المَنِيةُ أنشبت أظْفَارها ألْفَيت كُل تميمة لا تنفَع

حيث يؤكد الشاعر حقيقة الموت وفناء كل الكائنات، معتمدا في ذلك على الاستعارات المكنية الحجاجية؛ فالوجود يبلى ويقدم بين مضغ وهضم الدهور، فشبه الدهر بالكائن الذي له قدرة على المضغ والهضم، والليالي التي لا تترك شيئا بلا خضم وقضم فشبهها بالسيف القاطع الحاسم، لتأتي الاستعارة الأخيرة (نشبت نا ا ببطن حشاها) ليجعلها وحشا ينشب نابه في بطن الكائنات، وهذه الاستعارات كان لها دور هام في حجاجية القول، وعبرت عن حالة الشاعر النفسية اليائسة المتأملة.

يلجأ الشاعر إلى الأساليب البيانية حينما يشعر بالحاجة إليها ليعبر عن الحالة النفسية التي يعيشها، وهذه الأخيرة هي التي تجعله يختار صورة دون غيرها من الصور البيانية، كما يستعين ا قصد«نقل تجربته الخاصة إلينا لعله يجعلنا نعيش تلك اللحظة التي عاشها بالأسلوب الخاص به، والذي هو قطعة من نفسه؛ بل هو صورة عنها واضح بوضوحها، مرتبك ارتباكا متعاظم بجزالتها مرح بموسيقيتها راقص بطربها وباك بغمها»[2]، كما أنه يستعمل أسلوبا بعينه مراعاة للمقام الذي يورده فيه من جهة، والدرجة الإقناعية للمتلقي التي يتوخاها من خلال معرفته بأحوال مخاطبه من جهة أخرى، من حيث جهله بالفكرة المقصودة أو شكه بقضية معينه أو إنكاره لها.

ولكل من أساليب البيان درجة حجاجية معينة تستدعي استعمال صورة بيانية دون غيرها من الصور، فإذا كان المتلقي يجهل فكرة الشاعر، فإنّ الشاعر سيستعمل المعنى الحقيقي أو أسلوبا بيانيا يحقق الوضوح الدلالي فحسب، وإذا عرف المقام اتضح المعنى الحقيقي، وكان أوضح في الدلالة على المعنى المقصود ثم «إن قيمة كل خاصية أسلوبية تتناسب مع

---

[1] ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، ط2-1995، القسم الأول، ص3.

2 منال النجار: المقولات البلاغية دراسة مقامية براغماتية، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة ص576.

حدة المفاجأة التي تحدثها تناسبا طرديا، إ ا كلما كانت غير منتظرة كان وقعها على نفس المتلقي أعمق»[1]، وكلما كانت الصورة البيانية أشد إضمارا وإخفاءً كانت أشد قوة ، أو أقوى حجة.

يقول **الطيب العقبي** عن الموت:[2]

ضاقت مذَاهبنا وعز المَطْلب	**والمــوت يأسرنا، فَأيــن المَهرب**
يا نفْس لا تخشي عقُوبة صائلٍ	**لا شيءَ في دار المَكــاره يعذُب**
صبرا على نوبِ الزمان فَإنها	**ساعــات عمــر عن قَليلٍ تذْهب**
والمَرءُ ما بين الحَوادث حادث	**حتى بــأظْــفار المَنية ينشب**

ففي الأبيات تأكيد لحقيقة الموت فلا مهرب منه ولا منفذ، وما دام عمر المرء قليل فعليه بالصبر على المصائب والمكاره والحوادث فكان لتوظيف الاستعارات المكنية(الموت يأسرنا، بأظفار المنية ينشب) قوة حجاجية بالغة الأثر، فتارة يشبهه بالإنسان أو السجان الذي يأسر وطورا يمثل المنية بالوحش الذي ينشب أظفاره.

ويرى بعض البلاغيين الغربيين أنّ استعمال الصور البيانية ضرورة ملحة لا غنى عنها؛ حيث تحدث **جورج مولينيه** عن الصور ا ازية؛ حينما يشرح«إننا نتكلم بالصور؛ لأنه ليس بإمكاننا أن نتكلم بطريقة أخرى، وأن استعمال اللغة ا ازية يرجع إلى "قصور" في العقل البشري»[3].

---

1 عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص86.

2 محمد الهادي السنوسي الزاهري :شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، إعداد وتقديم عبد الله ، دار اء الدين للنشر والتوزيع ، ط2، الجزائر 2007 ج1، ص241.

3 جورج مولينيه: الأسلوبية ترجمة بسام بركة المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ط2، 1427ه-2003م، ص42.

يقول الشاعر محمد **الأمين العمودي** في قصيدة "الشكر للنعمى يوفرها" موظفا مختلف الصور البيانية محتجا لفكرته:[1]

جار الزمانُ عليّ في شرخ الشبا ... بِ وفَاتنِي ما يفْعلُ الشبان
أنا كوكب يمشي الهُوينا حينما ... أم الكواكبِ عاقه الدوران
أو روضةٌ : أدبِي، وعلْمي ورقُها ... وزهورها وشمائلي الأفْـنان
الواكف الهتان ندى أرضها ... فاشتق منه الورد والريحانُ
لما زهت بين الحَدائقِ وازدهت ... أخنى عليها الخَادع الخوانُ
وتداولت عنها الرياح عواصفًا ... فَتمزقَت وذَوت ا الأغْصانُ
فَضلْتني يا رب إذ عـلمتنـي ... وكسوتـني حللا ـا أزدان
الشكْر للنعمى يوفرها ومن ... أسبابِ سلْبِ النعمـة الكُفْرانُ
لا أبتغي لُبس الثيابِ، وإنمـا ... خـير اللباسِ فَصاحةٌ، وبيانُ
فَإذَا كتبـت يقَال أمطَرت السما ... أو فُهت قيل تفجـر البركانُ
وإذَا نظمـت أتيت قُرائي بما ... لم يأتهـم قَبلي بِـه "حسـانُ"
إنْ عاب قَولي أو تقَوه قَائلا ... بالقَدحِ فيمـا أدعيـه لسـانُ
فَرسائلي الغراءُ ضاع أريجها ... لي حجة، وقَـصائـدي برهانُ
إني أرى الدنيا تفَاقَم بأسها ... واشتـد فيهـا الزور والبهتانُ
وأرى الحَياةَ ضـئيلةً فَنعيمها ... متكدر، وسرورها أحـزانُ
فَسئمتها، وسئمت حتى ذكْرها ... ذكْر القَبائـحِ تركه إحسانُ
يا صاحِ هـذي الدار دار إذَاية ... يأوِي إليـها جاهلٌ وجبانُ
إن الإذَايـةَ من لَـئـيم شر ما ... حمـلته في أعبـائهـا الأزمانُ
قد كدت أغْرق في خضمّ مصائبِي ... وأموت لولا الصبـر والسلْوانُ
بالصبرِ أدفَع جحفَلَ الحَدثَان عن ... نفْسِي وليس يروعنِي الحَدثَانُ

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج2- ص37-38.

فالشاعر يتحدث عن جور الزمان في أول شبابه وقوته، حتى فاته أقرانه ثم يضع الشاعر في قصيدته أمثالا سلسة حكيمة يمزجها بالافتخار محتجا بذلك على قدرته على سوق الكلام، وقدرته على قول الشعر كما يشاء ويختار، ويمزج الحكمة بالافتخار مشبها نفسه تشبيها بليغا بالكوكب تارة، وبالروضة طورا، مضيفا إلى ذلك تمثيلا تصويريا جاعلا من أدبه وعلمه أوراق الروضة وزهورها، أما أفنا ا فهي شمائله ومبادئه. وجعل من ندى الروضة مطرا متتابع ا ول، رغم جور الزمان وظلمه ورياح النوائب التي مزقت ما تحتويه الروضة، ثم يشكر الإله على فضل العلم، فبالشكر تدوم النعم، والصبر على احتمال الشدائد والمصائب وإذاية اللئيم. وفي قوله (خير اللباس فصاحة وبيان) تشبيه بليغ فشعره ينافس به شعر حسان بن ثابت، وقصائده حجة وبرهان على ذلك.

فالحجاج لا يستغني عن البلاغة التي تنمي القدرة الإقناعية، ومتى ما كان المعنى جميلا ازدادت قدرته على إقناع المتلقي لينجز ما يبتغيه الشاعر؛ لأنّ«الصورة ا ازية تتنوع وظائفها داخل القول الحجاجي والعمليات الاستدلالية حسب الأهداف المتوخاة من استعمالها»[1]. من هنا كان للأساليب البلاغية دور حجاجي بالغ الأهمية.

يكمن دور الوسائل البلاغية في تقوية حجاجية القول الشعري فيصبح قادرا على الإقناع، حيث أ ا تسهم في«تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه، فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام، وتصل بين أقسامه، أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب؛ أي قيادة المتلقي إلى فكرة ما أو رأي ما ومن ثمة توجيه سلوكه الوجهة التي يريدها لها؛ أي أن الحجاج لا غنى له عن الجمال، فالجمال يرفد العملية الإقناعية وييسر على المتكلم ما يرومه من نفاذ إلى عوامل المتلقي الفكرية والشعورية والفعل فيه»[2]، فالأساليب البلاغية لها دلالات حجاجية ذات ثلاثة أبعاد:

1 عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ص122.

2 سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم ص120.

البعد الجمالي بإضفاء الرونق والجمال والسحر على القول، وهذا ما يؤدي إلى تحقيق الاستمالة، وقد قرن القدامى الإقناع بالجمال، فرأوا أنّ الشعر إنما يحقق القبول والإقناع إن كان جميلا فـ إنما «يعطفها عليه القبول والطّلاوة ويقربه منها الرونق والحلاوة، وقد يكون الشيء متقنا محكما ولا يكون حلوا مقبولا ويكون جيدا وثيقا وإن لم يكن لطيفا رشيقا»[1] وترتبط الصور البيانية بالمقام عن طريق إبداع صور جديدة يهتم ا السامع وتدفعه إلى تصورها، فتتعلق أهداف الصورة البيانية بالقول الحجاجي، فتضفي عليه تكثيفا وتزيينا.

والبعد التوجيهي من خلال تمرير رأي الباث لتحقيق غرضه الإقناعي وتوجيه سلوك مخاطبه لما يريده ويهدف إليه، وبالتالي فهو بعد إنجازي تداولي.

والبعد التأثيري: حيث إن المتكلم يقود مخاطبه إلى الفعل والإنجاز، وبالتالي تحقيق القوة الإنجازية للقول وغرضها المنوط ا ليفعل ما يريده المتكلم على أرض الواقع بعد اقتناعه.

ترتبط الصور البيانية - ببعديها التأثيري والتوجيهي- بالمتكلم والسامع، حيث يتعلق بالمتكلم لكي لا يصبح مسؤولا عن القول (تغييب مسؤوليته) فيجعل قوله مفتوحا على عدد من التأويلات المختلفة، ويتهرب من التصريح بموقفه اتجاه القضية، كما ترتبط بالسامع من خلال تحريك مخيلته واستدراجه وإثارة انتباهه وعواطفه، وبالتالي دمجه في التفاعل الحجاجي الذي يبتغيه المتكلم، وحتى إن لم يوجه المتلقي لفعل شيء فإنه على الأقل يحتج بقدرته على قول الشعر، ويريد اعترافا للمتلقي وإقرارا بجمالية شعره.

2-2 حجاجية الأساليب البديعية:

يزين الشاعر شعره بألوان البديع فيكسبه جمالا ورونقا، وهذا البعد الجمالي هو الذي يستميل القارئ فيؤثر فيه ، ويشترط **عبد القاهر الجرجاني** في البلاغة أن يؤدى المعنى بأصح

1 القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص100.

طريقة، ويختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه وأتم له ، يقول«فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا ولا سجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى لا تجده تبتغي به بدلا، ولا تجد عنه حولا»[1] ، حيث يشترط في المحسنات البديعية طلبها للمعنى، وعدم التكلف، و أن لا تتراكم بجوار بعضها، حتى تكسب الكلام سحرا وتشوق السامع وتقرب له المعنى، أما إذا كثرت في الكلام جنت على المعنى، وقلّلت من جمال الأسلوب، ولم تفد السامع كبير فائدة.

والحضور الجمالي ضروري في الخطاب الشعري من أجل القضاء على سلبية المتلقي، لأنّ الشاعر يوظف الأساليب البديعية خاصة عندما يجد نفسه أمام مستمع خامل أو متعب، فتصبح الكلمات خدما للمعاني وتنتقل اللغة إلى وظيفتها الجمالية.

وقد اشترط **العسكري** أن تكون الصورة مقبولة، وأن تعرض عرضا حسنا حتى تتمكن من نفس المتلقي، ويبرر ذلك فيقول«إنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة ؛ لأنّ الكلام إذا كانت عبارته رثة ومعرضه خلقا لم يسم بليغا، وإذا كان مفهوم المعنى، مكشوف المغزى، فلا بد من تحبير (أو تخير) اللفظ في حسن الإفهام»[2]، حيث يشترط جمال اللفظ وحسنه ووضوحه ليؤثر في قلب سامعه فيفهمه ويقبله، وتؤدي المحسنات البديعية وظيفة الإمتاع والتشويق والإثارة والإفادة.

وقد عرف **الخطيب القزويني** (ت799ه) علم البديع فقال«هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة »[3] ، فوجب على الشاعر أو المبدع البليغ أن يطابق مقتضى الحال لتتضح الدلالة التي يرمي إليها من خلال تحسين الكلام، ويربط بين المادة المعرفية والعاطفية وعلاقة إنتاجه بمتلقيه؛ لأنّ التعبير التزييني

1 أسرار البلاغة ص13.

2 الصناعتين: ص10

3 الإيضاح في علوم البلاغة، اعتنى به محمد الفاضلي، دار أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع ط1، 2007ص335.

يتم فيه خرق الاستعمال المعتاد القائم على ارتبط العبارة والمرجع بين الباث والمتلقي، وبذلك يكون علم البديع فنا له أثره في التعبير.

والجانب الجمالي شرط من شروط الأدبية ويجب أن لا يكون متكلفا؛ لأنّ«أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه وأحقه بالحسن وأولاه ما وقع من غير قصد المتكلم لاجتلابه وتأهب لطلبه أو ما هو لحسن ملاءمته»[1]. فتوظيف الجناس وسائر المحسنات البديعية يجب أن يكون من دون تصنع.

تضفي المحسنات البديعية جمالا وقوة للمعنى وتكسبه جرسا موسيقيا يستميل الأذن، فتستلذ بسماعها من هنا يظهر أثرها الحجاجي في كو ا تحسن الإيقاع في الخطاب الشعري؛ حيث تنقل الوظيفة الإيقاعية المتكلم إلى مستوى آخر يتمثل في التأثير في سلوك المخاطب وحمله على إنجاز فعل أو تركه. وقد ركز البحث على الجناس والسجع.

2-1حجاجية الجناس:

عرف **ابن الأثير** الجناس بقوله «وحقيقته أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا»[2]؛ حيث المعنى اللفظ نفسه لكنها يختلفان في المعنى، والنفس بطبيعتها تتأثر وتستحسن المكرر مع اختلاف معناه، ومن شروط الجناس البليغ أن يطلبه المعنى في غير تكلف، وأن تكون كلمة الجناس يطلبها الأسلوب والمقام حتى تكسب المعنى جمالا وسحرا «فالألفاظ خدم للمعاني والمصرفة في حكمها»[3].

يقول **محمد السعيد الزاهري**:[4]

1 الجرجاني: أسرار البلاغة ص510.

2 ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار الرفاعي بالرياض ط1، ج2، 1403ه-1983م ص

3 الجرجاني أسرار البلاغة، اعتنى به محمد فاضلي دار الأبحاث الجزائر 2007، ط1، ص12.

4 محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر،ج1، ص170.

لا تظْلم الشيء إطْراءً وتنويها لحَاجة أنت في التنويهِ تنويها
فالعدلُ إنْ راح للأشياءِ يذْكُرها فَليس يذْكُرها إلا بِما فيها
وإنْ ذَممت من الإنسان مكْسبةً فاقْصد لَعلك بعد اليومِ تطْريها
فرب مادحِ شـيءٍ لا يزالُ بِه حتى يؤلهه في الناس تأليها
وعائبٍ رجلا ما انفَك يظْلمه حتى يشوّهه بالعيبِ تشويها
كَيف السبيلُ إلى نيلِ الحَقَائق وال إفْراطُ في الذمِ، والإطْراءِ يخفيها
لا أحسب في الناسِ ذُو عقْلٍ بصيرته لَم يغشها عَرض الدنيا فَيصميها

يحاول الشاعر تغيير صفة الظلم في الإنسان ويدفعه إلى العدل والإحسان، واقتصاد الناس في الإطراء والذم، فلا إفراط ولا تفريط، ووظف الشاعر في ذلك جناسا تاما (التنويه تنويها)، لأنّ التنويه الأول من نوه الشيء تنويها أي رفعه، والثاني من النية، حيث تكرر اللفظ واختلف المعنى، وهذا ما يؤدي إلى جمال اللفظ وحسن تأثيره في النفس، كما يحسن الإيقاع الشعري، دون أن ننسى وظيفة الاستعارة التي اتسمت بدورها في الاحتجاج للقول حيث جعل العدل كالإنسان الذي لديه قدرة النطق والذكر والمدح، فهو لا يذكر الأشياء إلا بما فيها، بالإضافة إلى الروابط الحجاجية (الفاء السببية، وحتى) التي تسهم في الربط بين الحجج، فتكون الحجة الثانية أقوى من الأولى، والاستفهام الإنكاري الذي يجعل المخاطب ينكر الوضع السائد فيغير موقفه اتجاه تلبيس الحقائق. وكل هذه الوسائل مجتمعة أسهمت في تحسين القول وتوضيح المعنى وجعله ينهض بوظيفة حجاجية.

يقول **مفدي زكريا**:[1]

الشرق في الخَطْبِ طَارت عنه سكْرته لَولا المُصاب لظَل الشرق سكْرانا
قَد كَانَ ما كَانَ –والأيام موعـظَةً- يا لَيت ما كَانَ قَبلَ اليوم ما كَانا
وابذُلْ مع الحُب حبا، نستعين بِه فَالحَب ينقذُنا... والحُب يرعانـا

---

1 اللهب المقدس ص248-249.



استعمل الشاعر جناسا تاما بين الحب والحب فجمع بين متناقضين فالحُب مودة وعطف (يقصد به الحب الذي يجمع بين العرب شرقا وغربا) لأنه يوحدهم ويجمعهم، ويقصد بالحَب حبات الرصاص التي يجب أن يضرب ا العدو لإنقاذ الدول العربية من المحيط إلى الخليج.

تكمن حجاجية الجناس التام في كونه حجاجا مبنيا على التكرار، فهو تكرار لفظي لكن يختلف معنى اللفظ الأول عن الثاني.

2-2-2 حجاجية السجع:

يشترط **ابن الأثير** في السجع أن تختلف المفردتين في المعنى وإلا أصابه الإطناب والملل حيث «واعلم أن السجع هو خلاصته المطلوبة، فإن عري الكلام المسجوع منه فلا يعتد به أصلا... والذي أقوله في ذلك هو أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها، فإن كان المعنى فيها سواء فذلك هو التطويل بعينه...»[1] ، فإذا وردت لفظتان مسجوعتان على معنى واحد فإن أحدهما كافية في الدلالة عليه.

وقد اشترط ابن الأثير في الكلام المسجوع أربعة شروط:

1- اختيار مفردات الألفاظ واختيار التراكيب على الوجه الملائم لمقام الكلام، حيث يقول **ابن الأثير**«ينبغي أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حارة طنانة رنانة لا غثة ولا باردة وأعني بقولي "غثة باردة"؛ أنّ صاحبها يصرف نظره إلى السجع نفسه من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة وما يشترط لها من الحسن، ولا إلى تراكيبها وما يشترط لها من الحسن.

2- وأن يكون اللفظ فيه تابعا للمعنى لا أن يكون المعنى فيه تابعا للفظ فإنه يجيء عند ذلك كظاهر مموه على باطن مشوه فيخدم اللفظ المعنى.



1 المثل السائر، ج1 ص313.

3- وإذا كان محمولا على الطبع غير متكلف، فإنه يجيء في غاية الحسن وعد من أعلى درجات الكلام[1].

4- أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلّت عليه أختها»[2] ، حتى لا يصاب الكلام بالإطناب الممل والتطويل الذي لا فائدة منه.

ثم إن تجميل الكلام لا يكون عبثا، فالمعاني هي التي تنسج ألفاظ البديع، لذلك وجب «أن ترسل المعاني على سجيتها، وتدعها تطلب لنفسها الألفاظ فإ ا إذا تركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق ا، ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها»[3]، ومعنى كلمة المعارض جمع معرض وهو الثوب الذي تلبسه العروس ليلة عرسها- فليس المقصود بتجميل الكلام الجمال في حد ذاته بقدر نجاحه في الغرض الذي يهدف إليه.

وبلاغة الشعر تقوم على«تفتيق البديع أساسا وإعطاء الصنعة والتنميق دورهما على حساب العديد من الآليات القولية وستضاف إليهما بلاغة مقصدية أساسها المعاني»[4].

والتنوع في فن القول بالصور البديعية يبعث النفس على إدراك المعاني على نحو يقر ا من الحقيقة ، وكلما كان المعنى عذبا لطيفا في السمع كان حسنا مؤثرا في النفس.

يقول الشاعر **محمد اللقاني بن السائح** (1896-1970م) في قصيدة إلى الشعب الجزائري: [5]

بني الجَزائر قَومي استيقظُوا فَلَكَم أذَاقَنا اللهو، والإهمالُ تهوينا

1 ينظر نفسه، ج1ص313، 314.

2 نفسه ص193.

3 الجرجاني: أسرار البلاغة: ص15.

4 محمد سالم ولد محمد الأمين مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة(مقال) مجلة الكويت ،ا لمد 30العدد3 يناير مارس 2000.ص65.

5محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر،ج1، ص109، 110.

بـني الجَزائر ما هذَا التقَاطُـع من	**دون البرايا عيوب جمعت فينا**
فَقْر!! وجهلٌ!! وآلام!! ومسغبةً!!	**يا رب رحماك هذَا القَدر يكْفينا**
فَـالجَهلُ قَاتلُنا والفَقْـر مهلـكُنا	**والبأس خاذلُنا، واليأس مردينا**
مـدوا أيديـكم فَها كَفي لنتحد	**إن التفَرق، يا للعـار يؤذينا**
هـيا نؤم زلالَ العلم نشربه	**فالجَهلُ يقْتلُنا، والعـلْم يحيينا**
الناس بالعلْم شقوا الأرض واخترعوا	**وشيدوا، وبنوا عزا وتمكـينا**
الناس في الجو طَاروا وحلقُوا وعلُوا	**ونحن نحسبهم جهلا شـياطينـا**
الناس بالعلْم نـالُوا كُل مكْرمة	**ونحن بالجـهل لا يرجى تلاقينـا**

اعتمد الشاعر في مخاطبته لقومه على محسنات بديعية منوعا بينها؛ حيث وظف الترصيع في قوله(الجهل قاتلنا، والفقر مهلكنا والبأس خاذلنا، واليأس مردينا، الجهل يقتلنا، والعلم يحيينا)، والترصيع هو«إيراد جملتين بحيث تكون اللفظة في الجملة الأولى متفقة مع نظير ا في الجملة الثانية وزنا ورويا»[1] . وقد يكون الترصيع من أنواع المقابلة أو من أقسام السجع.[2]

كما استعمل الشاعر المقابلة في قوله (الجهل يقتلنا، والعلم يحيينا)، والمقابلة هي«أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يؤتى بمقابل ذلك على الترتيب»[3].

ووظف الجناس الناقص في قوله (البأس ، واليأس)، والسجع في قوله (طاروا، وحلقوا وعلوا) وفي قوله (شقوا، شيدوا، اخترعوا).

وهذه المحسنات أكسبت النص الشعري موسيقى حزينة تعكس نفسية الشاعر بإيقاع داخلي تستسيغه الأذن وتستميل وتنجذب إليه، حيث تسهم هذه الأساليب الجمالية في

---

[1] راجي الأسمر، علوم البلاغة، الموسوعة الثقافية العامة، إشراف إميل يعقوب، دار الجيل بيروت، 2000م،1426ه، ص189.

[2] ينظر :محمد علي التهناوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة وفيق المعجم، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان، ط1-،1992 ج1، ص421-422.

[3] راجي الأسمر، علوم البلاغة ، الموسوعة الثقافية العامة ص113.

القضاء على سلبية ا تمع الخامل، وهذه المحسنات كانت بدورها استعارات وضحت المعنى ففي قوله (أذاقنا اللهو، والإهمال وينا) استعارة مكنية حيث كان نتيجة اللهو والإهمال استخفاف الغير و وينهم، ومن هنا عوضت هذه الاستعارات حجج الشاعر وصور ا للقارئ، كما استخدم الشاعر التكرار الحجاجي(بني الجزائر، والناس) الذي له طابع إلحاحي يستنهض النفوس للتحرك والتغيير، موظفا حجة المقارنة بين العلم والجهل ونتائجهما على ا تمعات، خدمةً للغرض الحجاجي نفسه.

ومن هنا نستنتج أن حجاجية القول الشعري لا تقوم على أسلوب واحد بعينه؛ بل بتضافر مجموعة من الأساليب البلاغية صوراً بيانية ومحسنات بديعية وكل له دوره في تحقيق الإمتاع وجودة الإيقاع وقدرة الإقناع.

ثالثا- حجاجية الإيقاع الموسيقي:

يعد الإيقاع في الشعر منبع سحره، وسر جماله، ومظهرا يميزه عن سائر فنون القول؛ لأنّ الإيقاع أولُ ما يطرق الأسماع فيشدها، ويتسلّل إلى القلوب فيأسرها، وقد عرف القدماء الشعر بأنه «قول موزون ومقفى يدلّ على معنى»[1]؛ حيث جعلوا من الوزن والقافية حدا للشعر، لذلك كانت الصلةُ وثيقةً بين الشعر والموسيقى، يقول **الجاحظ** (ت255ه) «والعرب كانت تقَطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة فتضع موزونا على موزون»[2].

أشار **أرسطو** إلى التناسب بين الأوزان والأنواع الشعرية، حيث يرى أنّ أرزن الأوزان وأوسعها أنسب للملاحم[3]، كما رأى **حازم القرطاجني** أنّ تنوع الأغراض الشعرية ينبغي محاكا ا «بما يناسب الأوزان ويخيلها للنفوس، فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه

---

1 قدامة بن جعفر: نقد الشعر تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ص64. وأحمد ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، علق عليه أحمد حسن بسج، بيروت لبنان ، ط1- 1995، ص211.

2 الجاحظ: البيان والتبيين: تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج1- ص385.

3 ينظر أرسطو طاليس: فن الشعر، الترجمة العربية القديمة وشروح الفرابي وابن سينا وابن رشد، ترجمه عن اليونانية شرحه وحقق لنصوصه عبد الرحمن بدوي، ص68.

بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، وإن قصد في موضع آخر قصدا هزليا أو استخفافيا وقصد تحقير شيء، أو العبث به حاكى ذلك بما يناسب من الأوزان الطائشة القليلة»[1]، وهذا الرأي شديد التأثر برأي **أرسطو** الذي ينطبق رأيه على الشعر اليوناني.

كما ربط **ابن فارس**(ت395ه) بين الشعر والإيقاع؛ حيث يقول«أهل العروض مجمعون على أنّ لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الإيقاع، إلا أنّ صناعة الإيقاع تقسم الزمان بالنغم، وصناعة العروض تقسم الزمان بالحروف المسموعة»[2].

والواقع أنّ الإيقاع يتسم بطابع فردي إنتاجا وتلقيا لذلك فهو ذاتي ومتغير، إنه «أشمل من الوزن ومن التمثلات اللغوية الحسية، واختزاله في "الوحدات الصوتية" أو في "الوزن" ضرب من التبسيط المخل، فالوزن نوع والإيقاع جنس، فكل وزن إيقاع ولا عكس، فالإيقاع أكبر مما هو حسي ثابت، إنه يتسع ليستوعب ما هو مدرك بالحس والذّوق والذهن»[3].

وهناك مظهران للإيقاع الشعري «موسيقى خارجية يحكمها العروض وحده، وتنحصر في الوزن والقافية، وداخلية تحكمها قيم صوتية باطنية أرحب من الوزن والقافية والنظام ا ،ردين»[4]، والإيقاع الشعري يعني انتظامه بجميع أجزائه في سياق كلي، حيث يتجلى هذا الانتظام في الموسيقى الداخلية والخارجية بما في ذلك «كل علاقات التكرار والمزاوجة والتوازي والتداخل والتنسيق والتآلف والتجانس، مما يعطي انطباعا بسيطرة قانون خاص على بنية النص العامة مكون من إحدى تلك العلاقات أو بعضها»[5]، فالبنية الإيقاعية تتشكل مع النص في بنيته الكلية واكتشاف نظامها هو عمل تأويلي، ومعنى هذا أنه ينبغي

1 حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة،، ص266.
2 أحمد ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص212.
3محمد عبد الباسط عيد: في حجاج النص الشعري، ص119.
4 محمد بن يحي، السمات الأسلوبية في الخطاب الشعري عالم الكتب الحديث إربد الأردن الطبعة الأولى، 1432. 2011، ص51.
5 محمد عبد الباسط عيد: في حجاج النص الشعريص120.

تجاوز البيت الواحد إلى النص ككل أما التوقف إزاء البيت الواحد، فلا يرشدنا إلى البنية الإيقاعية الخاصة التي يفترق ا نص عن نص آخر.

يقول **ابن رحمون**:[1]

والشعر إنْ لَم يكُن في القَلْبِ مصنعه فإنه محض ألْفَاظ وأوزان

أحدث الإيقاع الشعري إشكالية بين اشتراط حضور الوزن والقافية وغيا ما، فهناك من النقاد والشعراء من يرى أنّ الإيقاع يتعلق بالدلالة وليس الوزن والقافية شرطا لشعرية الشعر«وإنما تم التعامل معهما كعنصرين بنائيين يمكن أن يوجدا في عمل شعري كما يمكن بنفس القدر ألا يوجدا إطلاقا دون أن يحرم العمل وصفه بالشعرية»[2]، غير أنّ تداخل الإيقاع بالدلالة لا يبرر غياب الوزن، فاشتراط الوزن في الشعر الكلاسيكي لا يعد عيبا، كما أنّ غيابه في الشعر الحر لا يعد ميزةً، وبصرف النظر عن غياب الوزن أو حضوره نبحث عن الوظيفة الحجاجية التي يضطلع ا الإيقاع الشعري.

إنّ مدار اهتمامنا هو أهمّيةُ الإيقاع الموسيقي في العملية الحجاجية، فالإيقاع يستولي على النفوس، والأنغام تمتلك الأسماع، فتظهر أهمية موسيقى الشعر في كو ا تجذب أذن المتلقي، خاصةً إذا كانت ملائمة في بنيتها الداخلية والخارجية للشعر، فتعطي للخطاب قوةً إضافيةً تستميل المتلقي وتجذبه برونق الإيقاع، فيعمل ذهنه على المقارنة والقياس، ومن هنا فإنّ الإيقاع يعتبر فنا من فنون الإقناع، يزيد في القوة الحجاجية، من خلال جذب انتباه المتلقي واستمالته لسماعه، وما يجذب الأسماع يقود الأنفس للاقتناع.

1 ديوان ابن رحمون، شعراء الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، مركب مطبعة الرغاية الجزائر 1980، ص118.

2 محمد فكري الجزار: لسانيات الاختلاف ص32 نقلا عن محمد عبد الباسط عيد: في حجاج النص الشعري، ص118

وفي قصيدة رسالة الشعر في الدنيا مقدسة دافع **مفدي زكريا** عن الشعر العمودي بأوزانه وإيقاعه وموسيقاه رابطا "مضمون الشعر" أو بنيته الدلالية بالبنية الإيقاعية في قصيدة شعرية؛ حيث يقول:[1]

1- رسالةُ الشعر في الدنيا مقَدسةٌ ... لـولا النبوءَةُ كانَ الشعر قُرآنا

2- فَكُم هتكـنا بها الأستار مغلقَةً ... وكَم غَزونا ا، في الغيبِ أكْوانا

3- وكَم جلـونا بها الأسرار مبهمةً ... وكَم أقَمنـا بهـا للعدلِ ميزانا

4- وكَم صرعنا ا في الأرضِ طـاغيةً ... وكَم رحمنا بهـا في الإنسِ شيطَانا

5- وكَم حصدنا ا الأصنام، شاخـصةً ... وكم بعثْنا من الأصنامِ، إنسانا!

6- وكَم رفَعـنـا ا أعلام نهضتنا ... فـخلّد الشعـر في الدنيا، مزايانا

7 –وعابثـين ..أرادوا الشعر مهزلَةً ... فَأزعجوا برخيصِ القَول، آذانا

8- تنكـروا للقَـوافي، حين أعجزهم ... صوغُ القَوافي وضلوا عن ثَنايانا

9- قَالُوا جمود على الأوضاعِ، وزنـكُم ... فَشعرنا الحُر لا يحتاج أوزانا

10- فَأين من جرسِ الإيقَاعِ خلْطُكُم ... ما الشعر؟ إنْ لَم يكُن دوحا وأغْصانا؟

11- وكَيف..؟ هلْ خلد التاريخ، سخفَكُم ... مـهـما تفَنّن إخراجـا وإتقَانا؟

12- وما عسى تنفَع الإسفَاف مطْبعة ... تضفي الدمقْس على الأموات أكْفَانا؟

13- وهلْ أعار- رواةُ الشعر- لَغوكَم ... وزنا؟ وهلْ حشوكُم بالحفْظ أغْرانا؟

14- وما تفيد المَعانِي وهي مجدبةٌ ... لَو صاغَ ألْفَاظَها داوود ألْحـانا؟

15- وهلْ تضيق القَوافي وهي مخـصبةٌ ... عـنِ الخَوالد؟ لَو تصفُو نوايانا؟

16- وما الذي يصلُ الأرحام في عَدكُم ... إنْ كانَ ماضيكُم زورا وبـهتانا؟

17- (رجعى)العروبة لا (عدوى)الدخيلِ بنا ... شتانَ ما بين (عدواكُم)و(رجعانا)

18-عودوا إلى لُغة، يرضى الدخيلُ بـها ... ما كَانَ أغْناكُم عنا، وأغْنـانا

19- أو عجلُوا توبةً، ترضي عروبتنا ... مـا كانَ أدناكُم منا، وأدنانا

1مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص245-246.

تعتبر موسيقى الشعر رافدا حجاجيا مهما، فالإيقاع الشعري يستميل أذن المتلقي ويؤثر فيه، ويكمن دوره في «توفير التكافؤ في مستوى البنية الخارجية إذ تعلّق الأمر بموسيقى الإطار؛ أي بالوزن والقافية باعتبار التفعيلات والقافية ليست سوى وحدات تتشابك وتتعاقب، وفي مستوى البنية الداخلية؛ حيث يعمد الشاعر إلى ترصيع أو جناس أو موازنة أو رد صدور الأعجاز وما إلى ذلك من مظاهر موسيقية توقع البيت وتوحد بين أجزائه، فإذا بالموسيقى عنصر هام في تحقيق اللذة التي يحدثها الـ وع»[1] . وموسيقى الشعر تنسجم مع نفسية الشاعر؛ حيث تمتلك الأنغام الأسماع فتستولي على النفس بإبداع وتؤثر عليها لتحدث الإمتاع، والطابع الإيقاعي المتكرر يحدث انفعالا في ذهن المتلقي ويكسب الخطاب الشعري نفسية حجاجية قوية.

وإذا جاد النغم الموسيقي في الشعر وتناسق إلى منتهاه«حسن وقعه في الأذن، وانشرح له الصدر، وطربت له النفس، فكل نغم أطرب أرباب الصناعة وذوي الأذن السماعة فهو الحسن»[2].

وفي قصيدة "رسالة الشعر في الدنيا مقدسة"،كان الشاعر **مفدي زكريا** يحتج للوزن والقافية واللحن وجرس الإيقاع، فيعتبر الإيقاع العنصر الأساسي للشعر، ويعتبر التخلي عنه إهمالا لقيم جمالية لا بديل لها.

والمتلقي في هذه القصيدة هم دعاة الشعر الحر خاصة، والجمهور الحاضر آنذاك في مهرجان الشعر في دمشق [3] وقارئ النص عامة.

فكيف أسهم الإيقاع الموسيقي في البناء الحجاجي العام لهذه القصيدة؟

---

1 سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص126.

2 عمار ساسي: منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث إربد الأردن، ط1، 1432ه-2011م ص176.

3 القصيدة ألقاها الشاعر في مهرجان الشعر بدمشق باسم الجزائر يوم23 سبتمبر 1961. ينظر اللهب المقدس هامش صفحة 245.



لقد صاغ الشاعر جملة من الحجج بذكر مزايا الشعر الموزون المقفى، منها أنّ رسالة الشعر بمضامينها وموسيقاها تفضح الطاغية، و تك الأسرار، وتقيم العدل، وتحرك الناس بعد جمودهم (أصنام)، وتخلد مزايا النهضة، حيث أولى الشاعر أهمية بارزة للوزن والقافية والإيقاع، وفي الوقت نفسه بالجانب الذاتي للشعر وحماسيته التي تعكس قوة العاطفة وصدقها، في حين أنّ دعاة الشعر الحر - حسب رأي الشاعر- عابثون جعلوا منه مهزلة برخيص الأقوال التي تزعج الآذان بخليط الإيقاع، بحجة أنّ القوافي ضيقة ولا تتسع للمعاني، فلا التاريخ خلّدهم ولا رواة الشعر تحفظ قولهم أو تقيم لهم وزنا...مهما تفننت المطابع في إخراجه. وإن كان أصحاب الشعر الحر يتهمون الشعراء الكلاسيكيين بالرجعية والجمود، فالشاعر يتهمهم بعدوى الدخيل، ثم يترك لهم حرية الاختيار بين الابتعاد عن اللغة العربية بعدوى الدخيل وهي في غنى عنهم، أو الاقتراب والعودة إلى الشعر العمودي الذي يرضي اللغة العربية.

قام الخطاب بوظيفته الحجاجية كون الشاعر أدرج حجته (أهمية الوزن والقافية والإيقاع) وحجة الرأي المخالف (الشعر الحر) باستعمال القوى الإنجازية: الاستفهام الإنكاري والتوكيد والتمثيل والتكرار. وباستعمال ألفاظ تمجد الشعر العمودي "مقدسة- خوالد.. وأخرى تسفه الشعر الحر بِوابِلٍ من الصفات التي تستخف به وبأصحابه منها: مهزلة، أموات، خلطكم، سخفكم، حشوكم، لغوكم، ضلوا، أعجز م القوافي، تنكروا، عابثين، الإسفاف، الأكفان..

1- الموسيقى الداخلية : جاءت القصيدة بموسيقى قوية للدفاع عن قوة الإيقاع الشعري، فجاءت الحجة من جنس الدعوى، وكانت موسيقاه ملائمة في بنيتها الداخلية (ففي اية صدر كل بيت من الأبيات الخمسة الأولى نجد: مقدسةً، مغلقةً، مبهمةً، مهزلةً، طاغيةً، شاخصةً) ثم نجد في الأبيات التي تليها (سخفكم، لغوكم، خلطكم، وزنكم) التي تنتهي كلها بإشباع ضمة الميم، - متحدثا عن أصحاب الشعر الحر- وكأنه يقوم بتجديد إيقاعه، فيزيد من حدة انفعاله، ويدخل حجاجه مدارا جديدا، ثم يعود إلى قوته الموسيقية الأولى في البيتين الرابع عشر والخامس عشر حين يتحدث عن المعاني والقوافي (مجدبةً، مخصبةً) وكأنه يهدف

ذا الإيقاع الوصول إلى اليقين الراسخ، حول ضرورة الإيقاع الشعري بالوزن والقافية والتي -في نظر **مفدي زكريا**- لا يعجز عنها الشاعر الحق، وهو بذلك يظهر قدرته على قول الشعر، فإن كان غيره لا يستطيعون صياغة شعر موزون ومقفى، فالشاعر قد أضاف إيقاعا داخليا يبين قدرته الإبداعية في تجديد الإيقاع.

كما وظّف الشاعر الجناس التام بين (وزنا/وزنا) بدلالة أحدهما على القيمة (وهل أعار رواة الشعر... وزنا) ودلالة الثاني على وزن الشعر، والجناس الناقص (الأستار - الأسرار)، ليس هذا فحسب؛ بل جاء في بداية صدر البيت ما يلائمه إيقاعيا في العجز والذي يظهر جليا في قول الشاعر:

(فَكُم هتكْنا بِها... وكَـم غَزونا ا...

وكَم جلَـونا بِها... وكَم أقَمنـَا بِها...

وكَم صرعنا ا ... وكَم رحمناً بِها ...

وكَم حصدنا ا ... وكم بعثْنا ...

وكَم رفَعنا ا....)

وهذا ما يسمى بالترصيع نظرا لاتفاق الألفاظ وزنا ورويا، فجاءت البنية الصوتية الموسيقية متقابلة في الشطرين بشكل منتظم تدعمها البنية التركيبية المتوازية بين الشطرين وبين الأبيات تتضمن دلاليا تسعة أسباب وحجج جاءت بعد فاء السببية، بالإضافة إلى تكرار الإحالة بضمير الغائب "الهاء" الذي يعود على رسالة الشعر، فيربطها بالبيت الأول.

وتتضح كذلك البنية المتوازية بين عجز البيت الثامن عشر، وعجز البيت الذي يليه مع تكرار أحرف المد واللين، وتكرار حرف النون المتصل بحرف المد اثني عشر مرة وفي حرف النون غنة.

ما كانَ أغْناكُم عنا، وأغْنانا.

ما كانَ أدناكُم منا، و أدنانا

وهذه البنية التركيبية المتوازية في أبيات القصيدة أسهمت في إنجاز إيقاع موسيقي قوي، أضفى قوة حجاجية على المضمون، وأحدث تناغما وتكاملا بين الموسيقى والوزن والدلالة.

2- **الموسيقى الخارجية:**

2-1 **الوزن:** استعمل الشاعر في قصيدته أقوى البحور وأعلاها درجة وهو بحر البسيط حسب رأي **حازم القرطاجني** الذي ربط بين موضوع القصيدة ووز ا، مقتنعا بأنّ الأوزان تتفاوت في قدر ا على التعبير عن الموضوع، فقد لاحظ أنّ «من تتبع كلام الشعراء في جميع الأعاريض وجد الكلام الواقع فيها تختلف أنماطه بحسب اختلاف مجاريها من الأوزان، ووجد الافتنان في بعضها أعم من بعض فأعلاها درجة الطويل والبسيط»[1]. نشأ البسيط من تكرار تفعيلتين أولا هما سباعية (مستفعلن) وثانيهما خماسية (فاعلن)، ويرى الشاعر أنّ وزن الشعر هو الذي يقيم ميزان العدل **(وكَم أقَمنــَا بِها للعدل ميزانا)**.

2-2- القافية: القافية عند العرب ليست إلا تكريرا لأصوات لغوية بعينها، وأنّ هذه الأصوات تشمل الحركات التي تأتي بعدد معين يتراوح من واحد إلى أربعة، يتلوها ساكن تأتي بعده حركة وتكرير هذه الأصوات اللغوية هو السبب في إحداث النغم في الأبيات، وهو المسؤول عن الإيقاع الموحد (وحدة النغم بالقصيدة كلها)[2].

وتتجلى موسيقى البنية الخارجية للشعر من خلال القافية؛ و«هي قمة الإنشاد الموسيقي فهي –زمنيا- اية البيت، كما أ ا على صعيد الإنشاد ذات طبيعة صوتية

1 حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، ص266.
2 ينظر عمار ساسي : منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب، ص175.

تكرارية، تتوالى فيها الأصوات في تواز وتتابع مستمرين»[1]. ولكل صوت معنى مميز ودلالة خاصة لذلك فإنّ«أجود الشعر هو ما ارتبط فيه موسيقى قافيته بدلالة قصيدته معنى مبنى ارتباطا وثيقا»[2].

أعطت القافية للخطاب قوة إضافية تستميل المتلقي وتجذبه برونق إيقاعي متميز؛ حيث ترتكز القافية على حروف المد واللين المكررة في النص بحيث تقوم بدور موسيقي إيحائي(قر**آنا**- أكـ**وانا** – إنـ**سانا** – شيـ**طانا**- مي**زانا**...) نظرا لتعلقها بما قبلها مشكلة انسجاما صوتيا ودلاليا، وجاءت القوافي معظمها أسماءً والاسم ثبات وتمسك، إنه يوحي بتمسك الشعر بالقافية التي تميز في نظره الشعر عما ليس بشعر وهذه القوافي شكلّت إضافة حجاجية هامة إ ا أسماءً التزمها الشاعر على طول القصيدة، ما عدا الفعلين /أغـ**رانا/** و/أدنانا/ وجاءت القوافي كلها على وزن /فاعل/ وكأنّ الشاعر يريد أن يقول بضرورة ربط القوافي بالمعاني وانسجام الصوت والدلالة، ويبطل بذلك حجتهم أنّ "القوافي ضيقة على المعاني" ويدحضها.

رابعا: حجاجية التكرار:

التكرار هو«دلالة للفظ على المعنى مرددا، كقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع، فإن المعنى مردد واللفظ واحد»[3]، وينقسم إلى قسمين: تكرار في اللفظ والمعنى، وتكرار في المعنى دون اللفظ[4].

وقد يكون التكرار في الحرف أو الكلمة أو الجملة، أو تكرار المعنى، وكلها تؤدي دورها الفني والبياني بحسب السياقات والمقامات التي تقال فيها، وقيمة التكرار الحجاجية تكمن في التأثير في المتلقي ليصل إلى درجة الإقناع ؛ يقول **الجاحظ**(ت255ه):«والتقليل

1محمد عبد الباسط عيد: في حجاج النص الشعري، ص124.

2 عمار ساسي: منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب، ص176.

3 ضياء الدين ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ج2، ص110.

4 نفسه ص 137.

للتخفيف والتطويل للتعريف، والتكرار للتوكيد، والإكثار للتشديد»[1]، ويرى **العسكري**(395هـ) أنّ التكرار يراد منه تأكيد الحجة على المأمور به.[2]حيث يؤكد على أهمية التكرار ويقرنه بتأكيد الحجة، ويجعله مدا للقول، ومن ثمّ يربط بين مد القول، وبلوغه الشفاء والإقناع.

التكرار وسيلة بلاغية لها بالغ الأهمية من أجل تقوية الحجج التي يكررها الشاعر كلما دعته الضرورة إلى ذلك، فوسيلة التكرار «يقصد إليها المتكلم لتقوية قوة المنطوق، يقولون الشيء "إذا تكرر تقرر"، والتكرار تعرفه الشفرتان: المنطوقة والمكتوبة كلتاهما، وإن كان تأثيره في بنية الشفرة المنطوقة التلقائية أقوى، علاوة على تكرار المنطوق بتركيبه، قد يتكرر بتغيير طفيف في هذا التركيب»[3]، فللتكرار طابع إلحاحي للفكرة المطروحة يقررها في الذهن ويمنحها القوة المطلوبة.

ويقوم التكرار على التعبير عن موضوع واحد بأفكار مختلفة «ويستعمل بطريقتين؛ إما أننا نكرر ببساطة الشيء نفسه، وإما أننا نتكلم عن الشيء...وهو طريقة تقديم أطروحة تسمح بإنتاج تأثير البروز، ورؤية الفكرة الواحدة من زوايا عديدة»[4]، والتكرار حجة تستعمل المعنى نفسه بأشكال مختلفة لدفع الخمول.

ويكمن دور التكرار في إبراز حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير ا، ويلفت الانتباه إليها وإلى أهمية الموضوع المطروح؛ كما تتمثل قوة التكرار الحجاجية في كثرة الإثارة إلى الدقائق والرقائق المتعلقة بذلك الموضوع تكثيفا لحدة الحضور التي نريد أن يتسم ا

1 الجاحظ: رسائل الجاحظ، ا لد الثاني، الجزء 4، "الرسالة18 ، البلاغة والإيجاز، ص114.

2 الصناعتين (الكتابة و الشعر) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد دار الطلائع، القاهرة، 2004. الجزء1ص156.

3محمد العبد: تعديل القوة الإنجازية: دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ضمن كتاب التداوليات: علم استعمال اللغة حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث إربد الأردن، ط1، 1423ه-2011 ص337.

4 فيليب بروطون : الحجاج في التواصل، ترجمة محمد مشبال، عبد الواحد التهامي ص108.

الموضوع في ذهن السامعين، ولإحداث الانفعال أيضا، فكلما كان الموضوع مخصوصا كان أبعث على الانفعال[1].

ومن أمثلة التكرار الحجاجي في قصيدة"رسالة الشعر في الدنيا مقدسة"، اعتمد الشاعر على التكرار اللفظي (حيث كررت لفظة **الشعر** ست مرات) (ولفظ القوافي ثلاث مرات) وتكرار اسم الاستفهام (هل) أربع مرات، واسم الاستفهام (ما) ثلاث مرات، و(كم الخبرية) التي تفيد الإكثار تسع مرات.ولفظ الدنيا مرتين (ولفظ الأصنام مرتين)، لفظ الدخيل مرتين.

كما اعتمد تكرار المعنى حول الوزن والإيقاع الشعري (أوزانا،وزنا، وزنكم، جرس الإيقاع، دوحا وأغصانا وألحانا) وتكرار المعنى في قوله (إنس/إنسانا)، (عدل/ميزانا)، (خلد/خوالد)، (الغيب/الأسرار/الأستار)، (رجعى/رجعانا)، (عدوى/عدواكم)، (أغناكم/أغنانا)، (أدناكم/أدنانا)، (يرضى/ترضي)، (العروبة/عروبتنا).

يتضح كذلك التكرار في قول الشاعر **محمد السعيد الزاهري**:[2]

فَيا نشأنا هذي بِلاَدك تشتكي — إلى اللهِ من شؤمِ الجُدود العواثر

وتشكُو من الأخلاقِ لما فَسادها — فَشا حتى ما بين البنِين الأصاغر

وتشكُو من الجَهلِ الذي لم يزلْ بِها — يعض عليها بالنيوبِ الكَواشر

وتشكُو من القَومِ الذين قَضوا بِها — زمانا، ولَكن في قَبِيحِ التناقُر

كرر الشاعر لفظة (تشكو) ليبين هول الأمر وفضاعته وسوء الحال وانقلاب الزمان على الأمة التي كان لها سؤددا وفخرا وجيشا وأسطولا، ويصنف هذا الفعل الكلامي[3] (تشكو) ضمن السلوكيات –حسب **أوستين**Austin- وضمن التعبيريات –حسب

---

1 إبراهيم عبد المنعم إبراهيم: بلاغة الحجاج في الشعر العربي شعر ابن الرومي نموذجا: مكتبة الآداب القاهرة ط1، 2007، ص102-103.

2 محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص153.

3 سيتم الحديث عن الأفعال الكلامية وحجاجيتها في الفصل الموالي من البحث ص181 وما بعدها.

سيرلSearle؛ لأنّ الفعل يعبر عن حالة نفسية، وتكراره يقوي المعنى ويؤكده فالشكوى من شؤم الحظوظ المعثرة ومن فساد الأخلاق ومن تفشي الجهل والتنافر بين الإخوة قديما وحديثا، وهدفه في ذلك إصلاحي، وبعد أن بين الشاعر الحال التي وصلت إليها البلاد أدرج حكما يدعم ا حججه ويقويها يبدأها بالفاء السببية التي يمثل ما بعدها نتيجة لما سبقها فيقول محمد **السعيد الزاهري**:[1]

فَلا تك أشتاتا، إذَا جد حادثٌ   فَما ضرنا إلا انحلالُ الأواصرِ

حيث يدعو الشاعر إلى عدم التفرق والتشتت مستعملا تكرار المعنى (أشتاتا، انحلال الأواصر) واستعمل الرابط الحجاجي الفاء السببية مرتين، ليوضح أنّ سبب كل الآلام والأضرار هو التفرق والشتات، فقد نجح العدو في تفريق شمل البلاد ليسودها كما استعمل الشاعر أسلوب الحصر ليؤكد الأمر ويبينه ويقنع مخاطبه.

ووظيفة التكرار تتجاوز الإخبار والإبلاغ والإفهام إلى الإقناع والتأثير؛ حيث ينتج عن التكرار دلالة إلحاحية ومبالغة في التأكيد هذا ما يجعل سلوك المخاطب يتغير حالا، فالتكرار يدفعه دفعا ويكثر الشاعر من التكرار في المواعظ والوعد والوعيد يبتغي به ممارسة فعلية إنجازية فورية بغية قيام المتلقي بفعل ما يلح عليه.

للتكرار بعد حجاجي يتمثل في كونه«يولد حافزا ويجدد دافعا، ويمد طاقة، وينفخ نفسا، لا يمكن أن توفره لغة النصح المباشر أو التوجيه المكشوف... فهو يتجاوز مجرد الإخبار والإبلاغ والتأثير إلى الدفع نحو تنفيذ الفعل، وتغيير السلوك»[2] ، يفيد التكرار تأكيد الفكرة المطروحة وترسيخها في ذهن المتلقي بعد تبليغه وإفهامه، فتكرار اللفظة ذا ا أكثر من مرة يعد أسلوبا من أساليب الإقناع،كما يضفي التكرار انسجاما في السبك وترابطا بين أجزاء النص واتساقه وقوة حجاجية تتمثل في الإلحاح على المعنى وتأكيده.

---

1 محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص153.

2 حاكم عمارية: تقنيات التبليغ عند سيبويه، رسالة دكتوراه في التواصل اللغوي إشراف الدكتور عبد الجليل مرتاض، جامعة تلمسان، 2013/2012 ص464.



يمكن للخطاب الحجاجي أن يعتمد في الإقناع على تكرار الدعوى الحجاجية وصياغتها صياغة موازية وإلباسها إيقاعات نغمية متكررة" وحتى وإن كانت ظاهرة التكرار لغوية، فهذا لا ينفي عنها البعد العقلي والمنطقي في التأثير.

وتجدر الإشارة هاهنا إلى أنه ليس كل تكّرار يهدف دائما إلى الإقناع، وهنا نخص تكّرار "الشكل" فقد يكون في حالات يطول فيها الكلام حتى يفتقر أوّله إلى تمام لا يفهم إلّا به، أو لأنّ السبك والتركيب يقتضيان ذلك، فالتكرار ظاهرة من ظواهر تماسك النص واتساقه.



الفصل الثالث





الفصل الثالث:

حجاجية الفعل الكلامي في شعر الحكمة الجزائري الحديث

توطئة

أولا: حجاجية الفعل الكلامي

ثانيا: مفهوم الأفعال الكلامية les actes de langage وعلاقتها بالحجاج

1- تصنيف **أوستين** Austinالأفعال الكلامية:

1-1 التمييز بين الأفعال الإنجازية والأفعال غير الإنجازية(الوصفية)

1-2 التمييز بين جوانب الفعل الثلاثي.

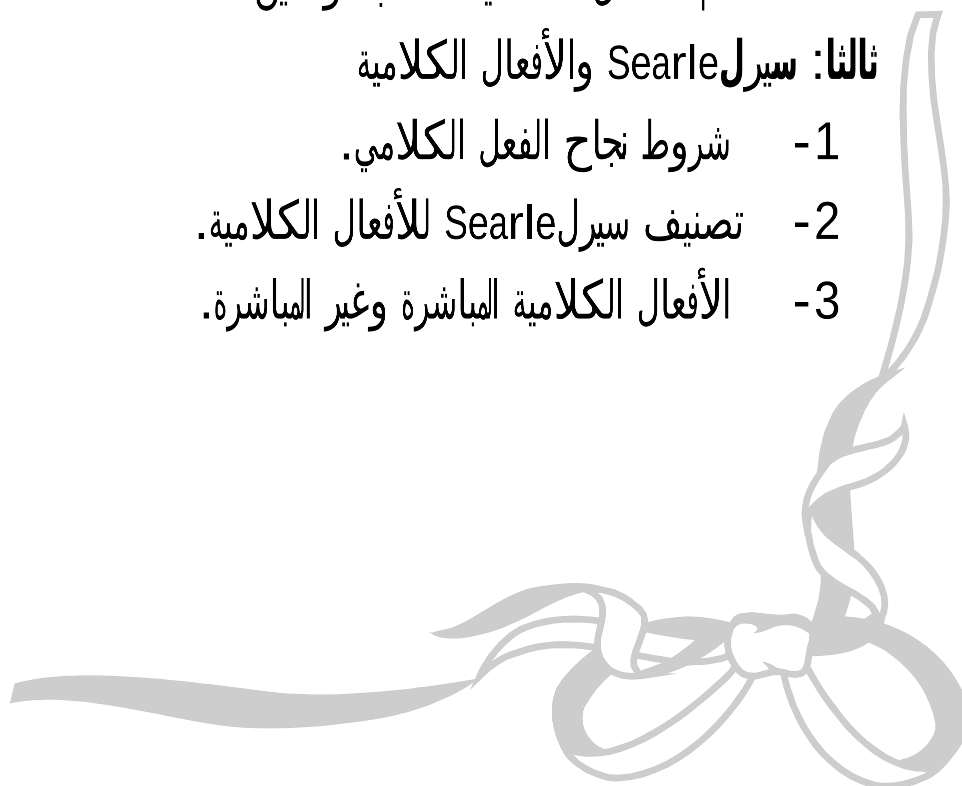
2- أقسام الأفعال الكلامية حسب أوستينAustin .

ثالثا: سيرل Searle والأفعال الكلامية

1- شروط نجاح الفعل الكلامي.

2- تصنيف سيرلSearle للأفعال الكلامية.

3- الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة.



يقول **مفدي زكريا**:[1]

وصالح الدعوات النار تنكرها ما لم تقَدم لها، الأعمالُ برهانا
ليس تجدي، قَرارات على ورقٍ إنْ لَم يكِ الفعلُ، إيضاحا وتبيانا

ويقول **رمضان حمود**:[2]

إنْ يكُن للحياة فيكُم طُموح فَمتى النطق والسكُوت حرام
أنفخ الروح في القلوب بِشعري لَيت شعري هلْ تقُوم النيام؟
أضرم النار في القلوب بِشعري فَلشعري في كُل نفْسٍ ضرام
أرسل الشعر للنضالِ إذا ما هضم الحق واستحل ذمام
ليت هلْ ينهض الكَلَام بِقَومٍ لَم يقْدر هداهم العلام

[1] اللهب المقدس، ص248.
[2] محمد صالح الجباري: الأدب الجزائري المعاصر، منشورات السهل ، الجزائر 2009، ص 342

الفصل الثالث: حجاجية الفعل الكلامي في شعر الحكمة الجزائري الحديث:

أولا: حجاجية الفعل الكلامي:

تقتضي دراسة حجاجية الفعل الكلامي البحث في البعد الاجتماعي للفعل الكلامي؛ حيث يرى **باتريك شارودو** أنّ العلاقات الاجتماعية لا تراهن «على صيغة "حقيقي" أكثر من صيغة "أعتقد أنه حقيقي" لم نعد نراهن على القوة المنطقية للحجج أكثر من قوة إقناعها لا نبحث عن دليل مطلق يحيل على الكلي بقدر [ما نبحث عن] صحة ظرفية في الإطار المحدد الموضعي»[1]، فليس المهم –حسب **باتريك شارودو**- في تحليل الخطابات الأدبية الكشف عن الحقيقة؛ بل الكشف عن تقنيات وآليات تفعيل الحقيقة «فالزعم بوصف الحقيقة قد لا يكون إذن إلا قناعا لزعم أكثر جوهرية بممارسة ضغط على آراء الآخر»[2].

يبحث الحجاج في الوسائل التي بفضلها يتحقق نجاح الخطاب؛ أي قدرة النص على الفعل والإنجاز، «إنه ينقل من رأي إلى رأي ومن حال إلى حال وهذه القدرة على الفعل لا تكون ممكنة إلا إذ كان في اللغة قوة خطابية خلاّقة تمنح القول سلطانا طاغيا لا يقاوم»[3]، فقيمة النص الشعري تتحدد بمدى قدرته على النجاح؛ أي تحقيق شروط نجاح الفعل الإنجازي للمتكلم (الشاعر)؛ بمعنى تحقيق غاية النص الأدبي بإفادة المعنى الذي يتوخاه صاحبه، ويدلّ على مقصده ومدى قدرته على التأثير في المتلقي وإقناعه ودفعه نحو الفعل والإنجاز.

لقد صار الحجاج في الدراسات اللّغوية والبلاغية الحديثة أوسع مجالا، لا يقتصر دوره على التوظيف الانتقائي باعتباره عنصرا خارجيا ثانويا يوظف فقط في مواقف تواصلية معينة؛ بل تحول مع تيار التداولية المدمجة في الدراسات اللسانية، إلى عنصر كامن في اللغة إن

---

[1] باتريك شارودو : الحجاج وأشكال التأثير، ترجمة ربيعة العربي ص293.
[2] صابر حباشة : التداولية والحجاج ص18.
[3] مصطفى الغرافي : الأبعاد التداولية لبلاغة حازم من خلال منهاج البلغاء وسراج الأدباء (مقال) مجلة عالم الفكر ص268.

من حيث بنيته أو من حيث وظيفته، و ذا يصير الحجاج فعلا كلاميا، تجب دراسته في نطاق دراسة اللغة لا في البحث عما هو واقع خارجها، وهذا ما يدعو إلى اعتبار اللغة مسرحا للمحاورة والتحاج بين الذوات المتواصلة، وتنحصر وظيفة اللغة في دلالة الأقوال على التوجيهات الحجاجية الناتجة عنها[1]؛ حيث يرى **غروتندورست وفان إيمرن** Grootendorst van Eemeren أنّ الحجاج فعلٌ إنجازي مركب يمتد عبر سلسلة الملفوظات.[2]

حدد **فان إيمرين**Van Eemeren موقع الحجاج داخل التداوليات بدمجه لنظرية الحجاج مع نظرية الأفعال الكلامية وتحليل المحادثة والخطاب والجدل الصوري داخل نموذج نظري أطلق عليه اسم نظرية الحجاج الجدلي، ويحدده بكونه«نموذجا مثاليا للمحادثة الخلافية، يوجه مراحلها، ويوزع الأفعال اللغوية عبر هذه المراحل، وينظّم تفاعلا ا، ويشكّل شرطا أساسيا لبناء معياري نسقي للخطاب يسمى التحليل الجدلي»[3]؛ حيث يتصور **إيمرين** Eemeren الحجاج من الناحية الجدلية فعلا لغويا مركبا، يتكون من مجموعة من الإثباتات الموجهة لتبرير أو دحض رأي ما، ولإقناع حكم عقلاني يتفاعل بكيفية معقولة مع درجة مقبولية وجهة النظر المطروحة[4]؛ حيث تقوم مقاربة **فان إيمرين** أساسا على«بناء نموذج معياري للتفكير النقدي إلى بنية الحوار النقدي بحيث يكون الحوار في هذه المقاربة آلية للتفاعل، دف إلى حل ال اع أو الاختلاف في الرأي ضمن قاعدة تحدد تبادل أفعال الحجاج باعتبارها أفعالا لغوية بامتياز»[5].

والأسئلة التي يحاول البحث الإجابة عنها في هذا الفصل:

---

[1]ينظر رضوان الرقبي: الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مقال مجلة عالم الفكر العدد2 ا لد 40أكتوبر-ديسمبر2011 ص70.

[2] ينظر ط عبد الرحمن : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص263.

[3] محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ص118.

[4] ينظر نفسه ص119.

[5] عليوى أباسيدى : التواصل والحجاج في التداوليات الحجاجية للحوار النقدي نموذج المدرسة الهولندية إيميرين وغروندورست ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة الجزء الثاني الحجاج والمراس ص260.

- ما وظيفة الفعل الكلامي الحجاجية؟
- وهل كل فعل كلامي فعل إنجازي حجاجي قادر على التأثير؟
- وما هي متضمنات القول التأثيري؟ أو كيف يضمن المتكلم في كلامه ما يجعل الآخر يقتنع عفويا بوجهة نظره؟

والإجابة عن هذه الأسئلة تسمح لنا باستنتاج القيمة الحجاجية للفعل الإنجازي، ومدى تأثيره على المتلقي من خلال تطبيقه على الخطاب الشعري، يقول **ديكرو**Ducrot «لقد انطلقنا من ملاحظة عامة أنه كثير من الأفعال الكلامية لها وظيفة حجاجية، توجه المتلقي إلى نتيجة محددة أو تصرفه عنها، حين نبتعد قليلا عن العمومية يمكن أن نقول إن الوظيفة الحجاجية تحمل علامات داخل الجملة نفسها منها: القيمة الحجاجية لملفوظ ما، فهي ليست فقط نتيجة المحمولات الخبرية له، ولكن الجملة يمكن أن تحمل عدة دلالات وعدة صيغ أسلوبية، والتي بالإضافة إلى محتواها الإخباري يمكنها أن تدلي بتوجيهات حجاجية للملفوظ حيث تعمل على توجيه المتلقي وجهة دون أخرى»[1]. فمن بين الأفعال الكلامية التي تبرز فيها القيمة الحجاجية: الأفعال التوجيهية التي تحمل المتلقي على إنجاز فعل معين والأفعال العرضية التي تستعمل لعرض المفهوم وتوضيحه والتي يقصد منها النقاش والحجاج.

تعد نظرية الحجاج التداولي امتدادا وتطويرا لنظرية أفعال الكلام؛ إذ حاولت التداولية أن تعالج الحجاج باعتباره فعلا تداوليا، لا يمكن توضيحه إلا من خلال مراتب المتخاطبين وأدوارهم في أفعال الكلام، لذلك يجب رصد الأفعال الكلامية في الخطاب الشعري بين المتكلم (الشاعر) والمتلقي، وما تؤديه هذه الأفعال من وظيفة حجاجية، لكن ينبغي أن نبحث أولا في مفهوم الأفعال الكلامية وعلاقتها بالحجاج.

---

[1] Oswald Ducrot : les échelles argumentatives, Edition de Minuit Paris 1980 P.15.

ثانيا : مفهوم الأفعال الكلامية[1] :Les actes de langage وعلاقتها بالحجاج:

كثيرا ما تعكس اللغة علاقات الناس، وذلك من خلال الأفعال التي تنجزها بعض التلفظات التي تتيحها استعمالات للغة، وعليه يمكن أن يعرف التلفّظ بوصفه «الفعل الذاتي في استعمال اللغة إنه فعل حيوي في إنتاج نص ما كمقابل للملفوظ باعتباره الموضوع اللغوي المنجز والمنغلق والمستقل عن الذات التي أنجزته، وهكذا يتيح التلفظ دراسة الكلام ضمن مركز نظرية التواصل ووظائف اللغة، ويرى **بنفنيست**Benveniste أنّ التلفظ هو موضوع الدراسة وليس الملفوظ»[2]، فلا يجب الخلط بين التلفظ بوصفه الجزء المختص بالإنتاج الصوتي، وبين التلفظ بوصفه فعلا في السياق.

إنّ لحظة التلفظ هي المرجع للوصول إلى مقاصد المتكلم، ولهذا يجب الربط بين الفعل اللغوي والزمن الذي أنتج فيه ربطا قويا وبين الزمن والمتكلم، فمرجع الأداة التلفظية "الآن" هو لحظة التلفظ ا، لكن يصعب تحديد هذه اللّحظة تحديدا دقيقا، فقد تدل لحظة التلفظ على الامتداد في الزمن وهذا ما يدلّ على إمكانية «نقل المركز الإشاري إلى الإطار الزمني المكاني الذي يطلع فيه السامع أو القارئ على النص»[3].

---

[1] ترجِم مصطلح speech acts الذي وضعه Austin إلى مصطلحات مختلفة، فقد ترجمت إلى اللغة العربية **بأفعال الكلام**، ينظر: جون لانكشو أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق 1991 ، وطالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ، منشورات جامعة الكويت 1994، ومسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي دار الطليعة للطباعة والنشر)... وترجمها علي محمودحجى الصراف، **بالأفعال الإنجازية** ، ينظر كتابه: في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب القاهرة 1431ه-2010م ط1. كما ترجمت **بالأعمال اللغوية** ينظر صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، الإصدار الأول 2008، دمشق ص76. وترجمت **بالأفعال اللغوية**، ينظر: دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط1، 2005،ص7. ويقابل مصطلح speech acts في اللغة الفرنسية: les actes de langage - les actes de paroles - les actes de discours ، ينظر نفسه والصفحة نفسها.

[2] فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية ، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط 1986، ص07.

[3] براون ويول : تحليل الخطاب: ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود 1418ه، ص64.

والتلفظ هو الأساس الذي بنى عليه **أوستين**Austin نظرية أفعال الكلام Les Actes de Langage ومن بعده **سيرل**Searle"، فهو ممارسة يباشرها المتكلم ابتغاء إنجاز فعل محدد، ويشترط أن تكون ملائمة للسياق، فاللغة تمثل إنجازا وممارسة وفعلا حيث الأمر والنهي والإخبار والاستفهام وغيرها تمثل إنجازات لغوية، والملفوظ اللغوي يجسد هذه الإنجازات.

والمقصود من الفعل الكلامي «كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وعلاوة على ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل بأفعال قولية actes locutoires إلى تحقيق أغراض إنجازية actes illocutoires (كالطلب والأمر والوعد والوعيد...إلخ) وغايات تأثيرية actes perlocutoires تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا؛ أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعيا أو مؤسساتيا ومن ثمة إنجاز شيء ما»[1]. فغاية الفعل الكلامي هو تحقيق التأثير والإنجاز.

قد نستعمل اللغة في كلامنا للقيام بفعل ما وللتأثير على المتلقي، هذا المفهوم وسعه "**أوستين**"Austin "في المحاضرات الإثني عشر التي ألقاها في جامعة "هارفارد" Harvard سنة 1955، ونشرت سنة 1962 في كتاب عنوانه " How to do think with words"، والذي ترجم إلى اللغة الفرنسية عام 1970 إلى " Quand dire, c'est faire"(2). "كيفية إنجاز الأفعال بالأقوال"إذ جاء بأفكار ثورية فتحت مجالا واسعا أمام المفكرين في دراسة استعمالات اللغة، فتأسست بذلك نظرية الأفعال الكلامية، وطُورت بعد ذلك من طرف "سيرل" "Searle".

[1]مسعود صحراوي: في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة ، حافظ اسماعيلي علوي عالم الكتب الحديث إربد الأردن ط1-1432-2011، ص51-52.

[2]voire Patrick charaudeau. Dominique Mainguenenuv. Dictionnaire Analyse du discoure édition du seuil, Février 2002 Paris, VIème, P 16.-.



تشكل نظرية أفعال الكلام ثورةً "ضد الفكرة القائلة أن وظيفة اللغة هي وصف العالم –الإيهام الوصفي- وأنّ كل الملفوظات التقريرية تقوم على ثنائية الصدق والكذب، فالعكس من ذلك: إنّ وظيفة اللغة هي التأثير على الواقع، والسماح لمن ينتج الملفوظات إنجاز هذا الفعل، وفي هذه الحالة لا تخضع الملفوظات الثنائية الصدق والكذب"[1] وهذه الأفعال الإنجازية تخضع لمعيار النجاح والفشل وليس الصدق والكذب.

وقد استفاد **ديكرو**Ducrot و**انسكومبر**Ancombre من خلال مؤلفهما الحجاج في اللغةL'argumentation dans la langue من**أوستين**Austin و**سيرل**Searle وغيرهما من أصحاب نظرية أفعال الكلام الذين اعتبروا القول إنجازا وليس إخبارا.

لقد تعمق مفهوم الحجاج في الدرس اللساني عند **ديكرو**Ducrot، فإذا كان الحجاج عند **بيرلمان** Perelman **وتيتكا** Tyteca يكمن في الجوانب المنطقية أو الشكلية الموجودة في الخطاب فإنّ ديكروDucrot يرى أنّ الحجاج كامن في اللغة ذا ا، فهو تقديم للحجج التي تؤدي إلى نتيجة معينة فالحجاج «يكون بتقديم المتكلم قولا (ق1) أو مجموعة أقوال) يفضي إلى التسليم بقول آخر (ق2) أو مجموعة من أقوال أخرى»[2]، والنتائج التي يؤديها هي في واقع الأمر إنجاز لفعلين هما فعل التصريح بالحجة وفعل الاستنتاج سواء كانت النتيجة مضمرة أو مصرحا ا. وفعل المقتضى الضمني هو جوهر العملية الحجاجية.

الحجاج عبارة عن علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاجة، لكن هذا العمل محكوم بقيود لسانية فلا بد من أن تتوافر في الحجة (ق1) شروط محددة حتى تؤدي إلى (ق2)، ولهذا فإنّ الحجاج مسجل في بنية اللغة ذا ا، وليس مرتبطا بالمحتوى الخبري للأقوال، ولا بمعطيات بلاغية مقامية[3] ؛ لأنّ القول يتضمن في ذاته تلميحا يؤدي إلى

[1] Jaque Moeshler –Antonie Auchlin, Introduction à linguistique Contemporaine, Deuxième édition, Armande Colin/ Her –Paris 1997 -2000, p. 135.

[2] Ancombre (J. C.) et Ducrot (o.) : L'argumentation dans la langue, P.08.

[3] ينظر شكري مبخوت: نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم ص360-361.

تمييز حجاجي للقضايا التي ينشئها، ولا جرم أنّ هذا التمييز يمكن أن يتنوع من متكلم لآخر، وفق حالات الخطاب، إذ لا أحد يستطيع القول ما هي الخلاصة المقترحة أو المنفية من (ق) أي أنّ القيمة الأساسية للقول ترجع في جزء مهم إلى الاستعمال الحجاجي له[1].

انبثقت نظرية الحجاج في اللغة عند **ديكرو**Ducrot و**أنسكومبر**Anscombre من داخل نظرية الأفعال الكلامية «فأضافت فعلين لغويين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج، ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار، والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام تتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره، أما الاقتضاء فيرتبط بقاعدة التسلسل»[2]، فكل جملة تستلزم جملة أخرى وتؤدي إليها بواسطة رابط حجاجي،حيث إنّ«فهم الملفوظ يستلزم اكتشاف النتيجة التي قصد إليها المتكلم»[3]. ويكون هذا الاستنتاج والاستلزام الضمني على سبيل الاقتضاء.

يفرض فعل الحجاج نتائج معينة، فهي تلزمه سلوك طريقة وحيدة في الخطاب؛ لأنّ الحجاج هو تقديم الحجج المؤدية إلى نتيجة معينة «إنه يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها أن كون اللغة لها وظيفة حجاجية؛ يعني أن التسلسلات الخطابية محددة لا بواسطة الوقائع Les faits المعبر عنها داخل الأقوال فقط ولكنها محددة أيضا بواسطة بنية الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها»[4]. حيث يتألف فعل الحجاج من الأسباب والنتائج والروابط،يصل إليه المتلقي عبر الاستنتاج والاستدلال.

---

[1] Ducrot Osswald : Les Echelles argumentatives, P.16

[2] أحمد اتزكنرمت: الحجاج في المناظرة مقاربة حجاجية لمناظرة أبي سعيد السيرافي لمتى بن يونس، ضمن كتاب: الحجاج والاستدلال الحجاجي إشراف حافظ إسماعيلي علوي، ص 153-154.

[3]Ducrot ; les mot du discours , P.12.

[4] أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة مجلة المنارة، الصفحة الثقافية الثلاثاء 5 ديسمبر http://www.almanarah.com



ومعنى هذا كذلك أنّ عمليات الاستلزام الحواري التي يقوم ا المتلقي -والتي تنشأ بسبب مخالفة أحد قوانين الخطاب (المحادثة) الأربعة (الكم والكيف والعلاقة والطريقة)التي وضعها "بول **غرايس**Grice- هي في حقيقة الأمر عمليات استدلالية يقصد المتكلم من خلالها التأثير في المتلقي وإقناعه بوجهة نظره عبر تلك التسلسلات الاستنتاجية التي يقوم ا، والتي يوجهه إليها المتكلم. وهذا يظهر العلاقة الوطيدة بين المفاهيم التداولية خاصة(الاستلزام الحواري والفعل الكلامي غير المباشر والاقتضاء التداولي ومتضمنات القول)؛ إذ يربط بينها جميعا فعل التلميح والاستنتاج والاستدلال والفعل التأثيري وهذه الأفعال تستخدم في الحجاج.

وقد ربط **ديكرو**Ducrot فعل الحجاج بفعل الاستنتاج Acte d'inférer ولا يقصد به«الفعل النفسي الذي يكمن في تأسيس اعتقاد حول بعض الإشارات، ولكنه فعل كلامي يستلزم فعلا كلاميا استنتاجيا في تحقيق إنتاج الكلام فالمتكلم (ل) حين يتلفظ بقول (ق) يقوم بفعل استنتاجي إذا قام في الوقت نفسه بالرجوع إلى معطى معين يقدمه كنقطة انطلاق لاستدلال سيؤدي إلى إصدار القول (ق)»[1].

وباتساع مجال الأفعال الإنجازية وسع **ديكرو** Ducrot حقل التداولية المدمجة؛ حيث يرى«أنّ التوجيه الحجاجي لازم لمعظم –على الأقل- الجمل دلالتها تحتوي على توجيه مثل"بتلفظنا لهذه الجملة نحن نحاجج في صالح استنتاج معين»[2]. فحجاجية الفعل الإنجازي ترتبط بفعل التوجيه.

فالحجاج فعل كلامي يركز على العمليات الاستنتاجية التي يقوم ا المتخاطبون والاستنتاج استدلال ذهني من خلال افتراض مسبق، أو ما هو متواضع عليه بين المتخاطبين،

---

[1] J.c. Anscombre et o. ducrot : l'argumantation dans la langue,p10

[2] صابر حباشة : من إشكاليات تطبيق المنهج الحجاجي على النصوص حجاجية المفردة القرآنية نموذجا ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج4، ص192.

يقول "ديكرو" Ducrot متحدثا عن مفهوم الافتراض المسبق: «هو العنصر الدلالي الخاص بالقول أو تحويله إلى استفهام، هل أ؟ وإلى نفي لا أ"»[1].

وأهم فرق جوهري يفصل بين الافتراض السابق والأقوال المضمرة Sous-Entondus يتمثّل في كون أنّ الأول هو نتاج للسياق الكلامي، أي يمكن أن نستشفه من خلال الملفوظات ذا ا، أما الثاني فهو وليد الملابسات المحيطة بالعملية التواصلية[2].

ومن أهم وظائف الفعل الكلامي التداولية وظيفته الحجاجية التي تزيد من فاعليته الإنجازية، حسب رأي **أوستين**Austin **وسيرل**Searle، وترتبط الوظيفة الحجاجية بالوظيفتين التأثيرية والإقناعية، وعليه يمكن الحديث عن حجاجية الفعل الكلامي المتعلقة بقيمتي النجاح والفشل على الأخص، والتي قيد **أوستين**Austin بروزهما بالفعل التأثيري تحديدا، على أساس أنّ للكلام «قوة بلاغية كامنة فيه، تتجلّى في حالة التلفظ به، وقوة أخرى تأثيرية على مستوى المتلقي تتجلّى من خلال الأغراض التأثيرية والنتائج المنجرة عنها»[3].

ومفهوم الحجاج وثيق الارتباط بالفعل الإنجازي بين نفاذية الخطاب والاقتناع الفعلي، فالحجاج «بحث من أجل ترجيح خيار من بين خيارات قائمة وممكنة دف دفع فاعلين معينين في مقام خاص إلى القيام بأعمال إزاء الوضع الذي كان قائما»[4]؛ حيث يقوم المتلقي بمجموعة من الاستدلالات والاستلزامات الحوارية من أجل الوصول إلى استنتاج قصد المتكلم الذي يدعوه إلى إنجاز فعل معين في سياق ما. ونجاح الفعل الإنجازي مرهون بالفعل التأثيري الذي يحققه من خلال الاقتناع الفعلي.

---

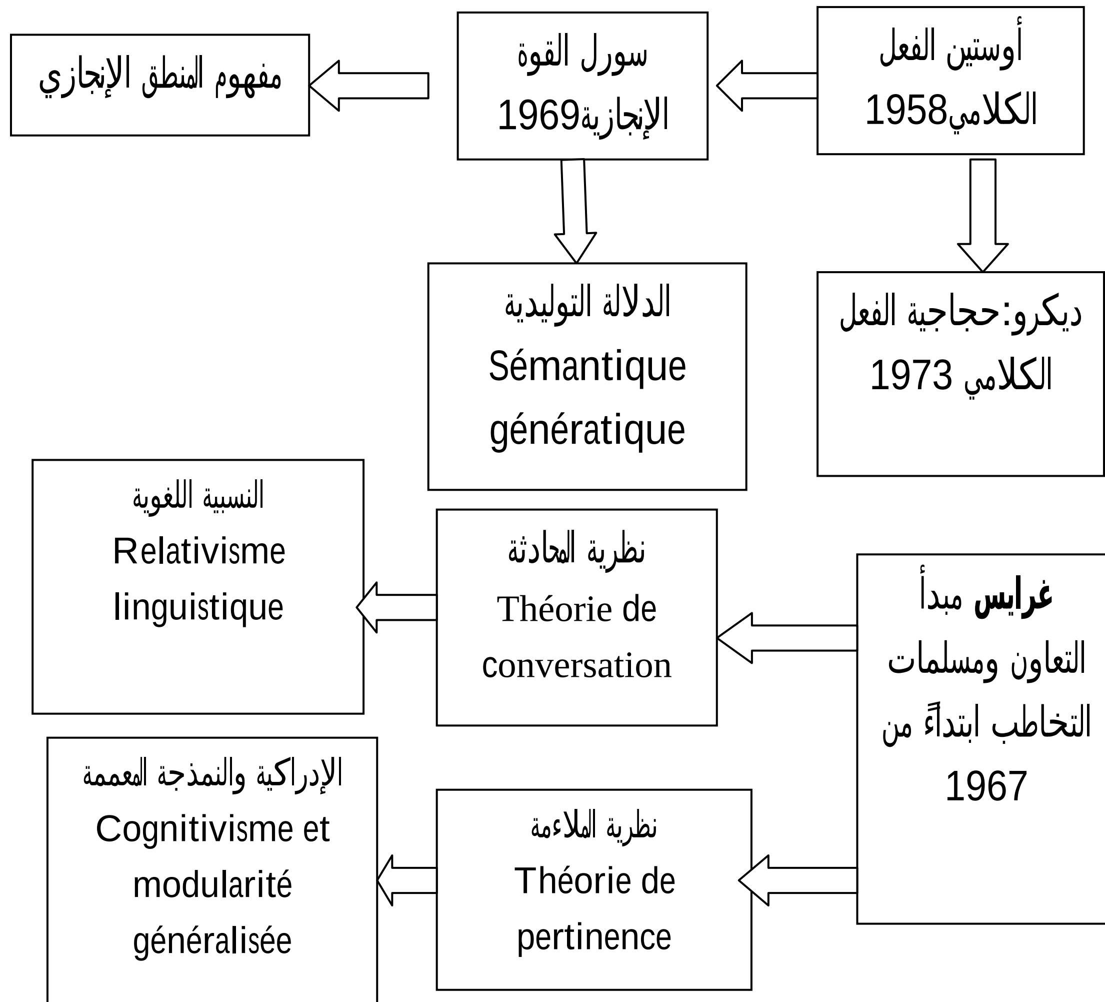
[1] Oswald Ducrot, Dire et ne pas dire, principes de sémantique linguistique, édition HERMANN, 2ème édition, Paris (1980) p. 81.

[2] Voire, Oswald Ducrot, Le dire et le dit, édition de minuit, Paris (1984), p 34.

[3] J. L Austin ; Quand dise c'est faire, introduction, traduction et commentaire par Gille Lane, édition du seuil, 1970, p. 13/14.

[4] محمد سالم ولد محمد الأمين : مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ، مجلة عالم الفكر، ا لمد28، العدد3، يناير ، مارس 2000، ص57.

و المخطط الآتي يبين أبرز المفاهيم التداولية في سياقها التطوري التاريخي كما يلي:[1]



وهذا المخطط يبين تداخل المفاهيم التداولية وتعالقها؛ فدراسة حجاجية الفعل الكلامي منبثقة من نظرية أفعال الكلام والتي يبرز دورها الحجاجي إذا ما توافرت شروط النجاح كما تحدث عنها كل من أوستينAustin وسيرلSearle، وترتبط وظيفة الإقناع الحجاجية بمجالات تداولية صريحة للفعل الكلامي، وكل فعل إقناعي يرتبط بافتراض مسبق وقول مضمر يحدده مقام التواصل والتبليغ.

---

[1] مسعود صحراوي: في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، ص62

1 - تصنيف أوستين"Austin" للأفعال الكلامية:

ترتكز نظرية "أوستين"Austin على فكرة الإنجازية، «فالمسألة التي ظلّت مرتبطة باسم أوستين Austinوهي الفاعلية أو الإنجازية performativité بعض الأفعال في اللغة المستعملة أو قل ما يستعمله اللسان ويسخره في التخاطب بهذه الأفعال»[1]، ومفهوم القوة الإنجازية بمثابة الدعامة الأساسية التي قامت عليها نظرية الأفعال الكلامية[2].

ومفهوم الإنجازية قائم على أنّ بعض الملفوظات في حقيقتها لا تصف شيئا في العالم، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، ولكنها تؤدي أفعالا (مثل الوعد، التحذير...) ويحكم عليها بمعيار الفشل أو النجاح في الإنجاز، فالإنجازية«نوع من أفعال الكلام يقصد بها الأعمال التي تؤدى بالكلام؛ أي تنفذ بنطقها؛ بل إنّ بعضا منها لا يتصور أداؤه وإنجازه بدون كلام أو نطق ومن ذلك بعض مناسك العبادات كتكبيرة الإحرام والتشهد يراد بالأفعال الإنجازية تلك (الأعمال) التي يتم أداؤها، وعملها والقيام بها أثناء النطق بالأفعال اللغوية التي تدل عليها؛ أي يشير معناها المعجمي إلى أحداثها التي تؤدى أو يحدثها المتكلم في أثناء نطقه بها ما لم تتدخل عناصر سياقية معينة تغير من معناها المباشر»[3]، فالفعل الإنجازي فعل نؤديه أو ننجزه أثناء النطق أو التلفظ به.

إنّ دراسة مفهوم القوة الإنجازية في مجال تحليل الخطاب هو محاولة للتحقق من فعاليته، فالنص الواحد باعتباره سلسلة من الأفعال الكلامية المترابطة التي تؤدي أغراضا

[1] عبد الملك مرتاض: تداولية اللغة بين الدلالية والسياق، مجلة اللسانيات مجلة في علوم اللسان وتكنولوجياته العدد العاشر ، مركز البحث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية ، الجزائر 2005، ص65.

[2] Voire : F. Récanati : La transparence et l'énonciation, Edition du seuil, Paris (1979) P. 100.

[3] علي محمود حجى الصراف: في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب القاهرة 1431هـ-2010م ط1،ص13.

إنجازية ترتبط لتشكل فعلا كلاميا واحدا، وبذلك«يغدو فهم نص ما هو إمكان الإجابة عن سؤال تداولي هو: لماذا ولأي هدف أو غاية حجاجية تم إنتاج هذا النص»[1].

ينجح الفعل الكلامي في تحقيق التأثير والإقناع الذي يتوخاه المتكلم إذا«تعرف المستمع على القصد الذي أُنجز من خلال الفعل، فالقصد مكون أساسي في مضمون التلفظات»[2]، فحتى تنجح المقاصد كأفعال إنجازية يجب انعكاسها على المستمع.

وفي مناقشته لنظرية أفعال الكلام يناقض ألان **بيروندونير** Alain Berrondonner فكرة أن نقول هو أن ننجز « انطلاقا من ضرورة التخلي عن مفهوم القول الفاعل، وتعليق القوة الإنجازية تسليما بأنّ الكلام نقيض الفعل»[3]؛ حيث يرى **بيروندونير** Alain Berrondonner أنه حينما نقول فنحن لا ننجز أو نفعل شيئا فالقول نقيض للفعل، ولكن ماذا لو كان القول طلبا أو توجيها، أو أمرا...؟ ألا ينجر عنه فعلا إنجازيا يضمره المتكلم في خطابه ويوجه به متلقيه إلى الفعل والإنجاز.

1-1 التمييز بين الأفعال الإنجازية والأفعال غير الإنجازية(الوصفية):

قام أوستين"Austin بالتمييز بين العبارات الإنجازية والعبارات غير الإنجازية(الوصفية)[4] فوجد أنّ «قول شيء ما على وجه مخصوص هو إنجازه، من أمثلة العبارات الوصفية التي تصف إحساسات: أعتذر، إني متأسف... أما العبارات الإنجازية: أدعم رأيي، أتنبأ، أتوقع... وشرط العبارات الإنجازية هو ملاءمتها للواقع(الإنجاز

[1] محمود طلحة: تداولية الخطاب السردي، ص103

[2] يوسف السيساوي، المقاربة التداولية للإحالة ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة ، حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن ، ط1، 1432ه-2011،ص467.

[3] Alain Berrondonner : Elément de pragmatique linguistique, p107-112 نقلا عن هواري بلقندوز "التداوليات النصية مقاربة في فهم الخطاب وتأويله" إشراف د/ أحمد يوسف أطروحة دكتوراه ، جامعة وهران، 2009-2010. ص180

[4] يسميه علي محمود حجى الصراف: الأفعال الوصفية غير الإنجازية بالمنطوقات التقريرية أما الإنجازية فيسميها المنطوقات الأدائية، ينظر كتابه في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص29.

الحقيقي)»[1]؛ فالوعود مثلا تتضمن التزاما معينا من جانب المتكلم ينجزه عند قوله(أعد بذلك) هو في الواقع (يعد)؛ أي يجعل نفسه ملزما بفعل ما يقوله، فالأفعال الإنجازية لا يحكم عليها بالصدق أو الكذب؛ بل بالنجاح أو الفشل.

أما الأفعال غير الإنجازية (الوصفية) ف«تقال لوصف شيء أو تصويره أو سرد معلومات عنه؛ أي تتحدث أو تنقل تقريرا عن العالم، فإذا كان التقرير أو الوصف مطابقا حكم على المنطوق بالصدق، وإذا كان غير مطابق حكم على المنطوق بالكذب»[2]، ففي قولنا مثلا: "فلان طويل" فهو وصف تصويري للعالم، يحكم عليه بالصدق أو الكذب تبعا لمطابقته للواقع أو عدم مطابقته.

ويرى **بول ريكور** Ricœur Paul أنه «قد يدمج الفعل بقطب الواقعة في جدل الواقعة والمعنى، لكن هذا الفعل أيضا يتبع قواعد دلالية تعرضها بنية الجملة، إذ يجب أن يعبر عن الفعل بصيغة ضمير المتكلم»[3]، والأفعال الإنجازية سواء أكانت أوامر أو رغبات أو أسئلة أو تحذيرات أو إثباتات، فضلا عن قولها شيئا ما، تنجز شيئا، وتترتب عليها آثار من خلال القول.

والجمل الإنجازية لا يقصد ا أن تخبر عن أمر ولا تبلغ معرفة عن حدث واقع، ففي جملة "قبلت الزواج" «إنّ المتكلم هنا لا يخبر بشيء؛ بل يحدث واقعا لا يتم إلا بلفظه»[4]؛ فالحدث الكلامي فيه هو الفعل الذاتي؛ و«يكمن القصد من الكلام في تبادل المعلومات مع القيام بأفعال تضبطها قواعد التواصل في الوقت ذاته، مما ينتج عنه تغييرا في وضع المتلقي والتأثير في مواقفه»[5].

---

[1] ينظر أوستين:نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات) ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق 1991 ص 100.

[2] علي محمود حجى الصراف: في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص32.

[3] بول ريكور :نظرية تأويل الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط 2006/2 ص41.

[4] علي محمود حجى الصراف: في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي ص31.

[4] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009 ص90.

لكن لاحظ **أوستين**Austin أنّ تصنيفه يفتقر إلى مقياس معياري نحوي لتمييز العبارات الإنجازية، ف«وجود ضمير المتكلم في الزمن الحالي المثبت، تبين أنّ هذا التقسيم غير جامع ولا مانع فهناك جمل لا تشتمل على هذا المعيار وهي إنجازية، وهناك جمل تشتمل عليه وهي وصفية»[1]، كما قسم الأفعال الإنجازية إلى صريحة وغير صريحة؛ فالإنجازية الصريحة يكون الغرض فيها صريح الدلالة، مثلا"أعدك" غرضها الوعد"، أما الأفعال الإنجازية غير الصريحة فدلالتها ضمنية، مثلا:"اسكتي أيتها الحمقاء" فلا يقصد منها الأمر؛ بل يدل السياق على التوبيخ، وهذا ما جعله يميز بين جوانب الفعل الكلامي الثلاثة.

وهذا التمييز سيفتح الباب لتلميذه **سيرل**Searle فيما بعد ليقدم تمييزا بين الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة.

1-2- التمييز بين جوانب الفعل الكلامي الثلاثي:

رأى أوستين Austin أنّ ما وضعه من شروط ليس كافيا للتمييز بين الأفعال الإنجازية(الأدائية) وغير الإنجازية(الوصفية)، أدى به الأمر إلى التمييز بين جوانب ثلاثة للفعل الكلامي الواحد هي:

- أ- الفعل اللفظيActe locutoire
- ب- الفعل الإنجازيActe Illocutoire
- ج- الفعل التأثيري Acte perlocutoir*e*.[2]

[1] علي محمود حجى الصراف: في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي ص37.

[2] ينظر د محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص45-67 ، ويطلق على الأفعال الثلاثة تسميات عديدة من قبل الدارسين العرب، فيسميها د عبد القدر قنيني(فعل الكلام/قوة فعل الكلام/لازم فعل الكلام)"نظرية أفعال الكلام العامة ص113.ويسميها د صالح إسماعيل عبد الحق (الفعل التعبيري/والفعل الغرضي/ والفعل التأثيري)"التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفود ص184،194،203، ويسميها سيد هاشم الطبطبائي (فعل القول/الفعل المتضمن في القول/والفعل الناتج عن القول)، ويوافقه في ذلك د مسعود صحراوي"التداولية عند العلماء العرب ص41-42

أ- الفعل اللفظي(Acte locutoire):

وهو الفعل الذي ننجزه بمجرد تلفظنا لبعض الكلمات، فالنطق بالعبارة أو قولها هو فعل لفظي، وهو «فعل معقد مركب –فيما يرى **أوستين**- من ثلاثة عناصر تركيبية يمثل تنفيذ كل عنصر منها فعلا بذاته، هذه العناصر هي:

أ- **الفعل التصويتي:** ويتمثل في إصدار الأصوات المعينة من مخارج الأصوات المعينة من مخارج صوتية معينة.

ب- **الفعل التأليفي**: ويتمثل في إصدار متواليات الأصوات طبقا لنظام تأليف هذه الأصوات.

ج- **الفعل الإحالي:** ويتمثل في مراعاة ارتباط الوحدات التأليفية بالمراجع الخارجية للدلالة على معاني مخصوصة»[1]. وهذا معناه أن الفعل اللفظي هو نطق بعبارة لها المعنى والمرجع نفسه، فالفعل اللفظي يتألف من فعل تركيبي وفعل صرفي، وفعل صوتي، وفعل دلالي. ففي قولنا: السماء ستمطر، قمنا بفعل التلفظ من خلال إصدار أصوات وإخضاعها لنظام تركيبي معين وربط هذه الأصوات بالدلالة.

ب- الفعل الإنجازي (Acte Illocutoire):

والفعل الإنجازي هو الفعل الذي ننجزه بالقول (سؤال، أمر، تحذير، وعد... وغيرها)، وتتضح العلاقة بين الفعل اللفظي والفعل الإنجازي في أنّ الأول يتحقق في صوت وتركيب ودلالة، أما الثاني «فيتمثل في تحقيق ألفاظ أو تعابير لغوية تنطوي زيادة على ما يخوله مستوى الفعل اللفظي من دلالة على قوى إنجازية قد يمثلها الإخبار، أو الاستفهام، أو غير ذلك، هذه القوة الإنجازية هي التي تمثل القصد التداولي من تحقيق الفعل اللغوي، و بهذا يكون الفعل الإنجازي هو الفعل الذي تبرز من خلاله معالم الاستعمال»[2]. فالفعل الإنجازي

---

[1] علي محمود حجى الصراف : في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ص41.

[2] نفسه، ص42.

هو الغرض الذي يحمله القول قد يكون أمرا، استفهاما، تحذيرا، ولا يقصد منه وصف العالم ولا يحكم عليه بالصدق أو الكذب؛ بل بالنجاح والفشل.

وهناك شروط يجب على المتكلم تنفيذها من أجل أداء الفعل الإنجازي:

أ- أن يؤدي الفعل اللفظي؛ أي أن ينطق أو يستعمل الجملة المحتوية للفعل.
ب- أن يقصد بالجملة المنطوقة امتلاك القوة الإنجازية المعينة.
ج- أن يتأكد من فهم المتلقي الغرض المقصود.
د- أن يستوفي أعرافا معينة تحدد ممارسة الفعل.[1]

فالفعل الإنجازي مبني على المواضعة والاصطلاح، يشترط على المتكلم التلفظ بالقول الذي يحمل قصدا معينا، مع مراعاة وصول المتلقي للقصد.

فلضمان نجاح الفعل الإنجازي شروط تكوينية تتعلق بوجود إجراء عرفي مقبول، يكون هذا الإجراء متلفظا، وصحيحا وكاملا، يؤديه متخاطبون مؤهلون للتنفيذ، بالإضافة إلى شروط قياسية مرتبطة بصدق نوايا والأفكار والمشاعر لدى المتكلم[2].

وأن يؤدي المتكلم فعلا إنجازيا معناه أنه في حالة قوله كذا فقد حقّق إخبارا، أو وعدا، أو تحذيرا... وهذا ما يؤكد تعالق الفعل اللفظي بالفعل الإنجازي، فلا يمكن إنجاز الفعل إلا من خلال النطق به.

ويتأسس الحجاج في« الفعل المتضمن في القول وفي سلسلة الاستدلالات الدلالية والتي لا يتشكل فيها المعنى بناءً على الروابط المنطقية فقط؛ بل على التلفظات وآداء الأفعال المتضمنة وإنجازها ضمن الخطاب»[3]؛ حيث يتم تأويل الأقوال عبر تحديد الدلالات والمقامات

---

[1] ينظر: علي محمود حجى الصراف : في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ص42-43.
[2] ينظر محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر2002، ص44.
[3] عمارة ناصر : الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1430،1ه-2003، ص74.

التي ينتجها الفعل الكلامي؛ أي أغراض الكلام ومعناه ومسار تحول المعنى من التلفظ إلى الإنجاز.

يشكل الفعل الإنجازي حجةً تدفع المتلقي أو السامع للتغيير من موقفه أو تعديله، فيصبح موقفه متصلا بذلك الفعل المنجز بالقول؛ إذ هو في الحقيقة رد فعل له، أو أثر ناتج عنه.

ج- *الفعل التأثيري: (Acte perlocutoire):*

ويقصد بالفعل التأثيري الآثار المترتبة عن الفعل الإنجازي، وهو الدفع إلى العمل والوصول إلى الاقتناع بفعل شيء أو تركه، كأن أجعل مستمعي يقتنع بشيء ما، أو أجعله يخاف، أو يمتنع عن فعل شيء... وقد يكون ذلك عن قصد ونية أو عن غير قصد، كما أن الفعل الإنجازي والفعل التأثيري يستلزمان معا الاتفاق، إذ يمثّل الفعل التأثيري الشاهد على أنه بواسطة تلفّظنا للقول تمّ تحقيق الفعل الإنجازي، حيث يظهر في الآثار التي يحدثها القول على المتلقي من تغيير في الرأي أو في السلوك.

وقد تحدث كلاوس برينكر عن وظيفة الاستثارة قائلا «يفهم الباث المتلقي أنه يحثه على أن يتخذ موقفا محددا تجاه شيء ما (التأثير في الرأي) أو أن ينجز فعلا معينا (التأثير في هذه السلوك)، يمكن أن توضح الوظيفة الاستثارية بالعبارة المفسرة الآتية أنا (الباث) أطلب منك (المتلقي) أن تتخذ موقفا /رأيا س/ أن تنجز الفعل /س/»[1] . فحين يتلفظ المتكلم بقول معين، يكون قد أنجز فعلا ، يؤثر به على المتلقي مثل جعله يقوم بفعل ما أو الاقتناع بفكرة أو اتخاذ موقف.

ونظر **أوستين**Austin إلى الفعل الكلامي من خلال ثلاث زوايا: التلفظ، الإنجاز والقصد؛ ففعل التلفظ هو فعل الكلام أو مخارج الحروف المادية، أما فعل الإنجاز فيعني

[1] كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمه وعلق عليه ومهد له: سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 1425-2005 القاهرة ص143.

مقاصد العبارة أو قوة فعل الكلام، ويتعلق الفعل التأثيري بمقاصد المتكلم الخارجة عن العبارة أو لازم فعل الكلام. وهذا ما يمدنا بمناهج للتعامل مع نصوص من شعر الحكمة الجزائري بالبحث في التقنيات الفكرية والاجتماعية التي يسعى الشاعر إلى تمرير الخطاب، وتعدي الفعل إلى الحدث والتغيير والإنجاز، وتتأكّد نفاذية الخطاب بحصول الفعل التأثيري والاقتناع الفعلي (المنجز أو لازم فعل الكلام) الذي جاء به **أوستين**Austin ولإحداث هذا التغيير ينبغي على المتكلم أن يكون مقتنعا بفرضياته المقدمة حتى يحدث التغيير في متلقيه ويقنعه بأطروحته.

ويستمد الخطاب نفاذيته من تقنيات تجعل الخطاب منسجما مع المخاطبين، والشرط الرئيس فيها هو معرفة مستويا م، وعلى المحاجج أن يضع في الحسبان مستوى العقول التي يهدف إلى إقناعها، وكذلك الوعي بنوعيتها، فالاهتمام هنا إذن مركز على الجوانب الاستدلالية التي تستعمل على تعاضد العقول المخاطبة وانسجامها في الطرح المقدم[1].

يسعى فعل الحجاج إلى تحقيق الإقناع والتأثير، وإن كان المتكلم ينتزع موافقة المتلقي أو إقناعه، فإنه يقوم بذلك بعيدا عن العنف والإكراه، ولا يعبر عن نتائجه بالصحة أو بالخطأ؛ بل بالقوة والضعف في التأثير فمعيار الصحة هو قوة الإقناع، كما تتعدد الأفعال الإنجازية الحجاجية فقد تكون مباشرة وصريحة من خلال عرض المقدمات والنتائج، كما قد تكون مضمرة تقود المتلقي إلى استنتاج النتائج بالتلميح دون التصريح.

يرى **بروندوير**Brendonner أنّ«كل فعل كلامي هو تحقيقي لذاته و ـرد كونه إنتاجا كلاميا في حين أنّ القيمة التأثيرية تختص بتحقيق موقف ملموس تحقيقا فعليا بواسطة التكلم وحده»[2]. فالفعل الكلامي هو فعل النطق أو التلفظ؛ إنه تحريك لأعضاء التصويت، والتحقيقي هو كل نطق بالكلام حيث أن السلوك اللغوي تأثيري، ومن هنا فإن اللغة نشاط اجتماعي تفاعلي ذات بنية حجاجية خاصة إذا اقترنت بغرض التأثير؛ لذلك فإن الحجاج

[1] ينظر محمد سالم ولد محمد الأمين: حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، ص18.

[2] جورج مولينيه: الأسلوبية ترجمة بسام بركة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،1427ه-2006، ط2، ص160.

يستند إلى الأفعال الكلامية لتحقيق التأثير على المتلقي سواء أكان هذا التأثير في سلوكه أم معتقده وفق ما يقتضيه الموقف التواصلي.

وفي هذا الصدد يرى **جورج مولينيه** أنّ«الفعل الكلامي الذي يتسم بكونه أدبيا هو "تأثيري"، أو لا يكون شيئا. فالأدبية هي إنجازية performativité مطلقة للغة؛ إذ تتحول إلى وظيفة شعرية؛ أي أنّ الفعل الخلّاق لشيء لغوي يكون هو نفسه مرجع هذا الشيء»[1]. وهذا يحيل إلى علاقة التداولية بالأدبية من جهة وبالأسلوبية من جهة أخرى، وإذا لم يكن الفعل الكلامي الأدبي تأثيريا إنجازيا فليس أدبيا.

ومن هنا فإنّ الحجاج يندرج في صميم نظرية أفعال الكلام، فالحجاج مرادف للفعل التأثيري، فهو يهدف إلى إحداث تغيير في موقف المتلقي، والفعل الحجاجي متعلق بمقصدية المتكلم وناتج عن علاقة تلازمية بين الأفعال الكلامية، والأفعال الكلامية تؤدي دورا حجاجيا من خلال اقترانها بالإثبات والإنجاز والتأثير، وهذا ما سنوضحه أكثر من خلال الحديث عن تصنيفات أفعال الكلام.

2 - أقسام الأفعال الكلامية حسب أوستينAustin:

يقترح "أوستين" Austin خمسة أقسام للأفعال الكلامية.

2-1 الحكميات Verdictifs:

يرى أوستين Austin أنّ فعل الحكم «يختص بكونه ناتجا عن إصدار حكم في المحكمة سواء أكان ذلك الحكم من هيئة قضائية أم من محكّم تختاره الأطراف أم من حكم الملعب مثلا، غير أنه ليس من الضروري أن تكون هذه القرارت نائية، فقد يكون الحكم

[1] جورج مولينيه: الأسلوبية ترجمة بسام بركة ،ص160

مثلا تقديريا أو على صورة رأي، أو تقييميا»[1] . ومن أمثلة أفعال الأحكام: أعطى رأيا، شخص، فهم أثبت، وصف، تأول، وصف.

يقول الشاعر *محمد العيد آل خليفة*:[2]

أرى حظ أراذلَ النفُوسِ مواتيا وحظ كَريمِ النفْسِ غَير مواتي
فَأوجِس في نفْسِي من الدهرِ خيفَةً لعلْمي بِأن الدهر ذُو غَمرات
أرى الكَونَ قُرآنا من اللهِ منزَلًا على الروحِ والأحداث آيِ عضات

والشاعر يصدر أفعالا حكمية لكونه يعطي رأيه ويشخصه، والملاحظ أنّ أفعال الحكميات تتداخل مع الإيضاحيات (العرضيات) كونا أيضا تحمل الملاحظة والتشخيص.

2-2 *التنفيذيات**Exercitifs***:

وتقضي التنفيذيات «بممارسة السلطة والقانون والنفوذ ومن أمثلة ذلك: التعيين في المناصب والانتخابات وإصدار الأوامر التفسيرية في المذكرات وإعطاء التوجيهات التنفيذية القريبة من النصح والتحذير وغيرها»[3]، مثل: أمر، اختار، حذّر، نصح، استعطف، صرح، سمى، توسل... وتندرج التنفيذيات ضمن الصنف الأول فهي أعمال تنفيذ أحكام ولكنها ليست في حد ذا ا حكميات.

ومن أمثلة الأفعال التنفيذية قول الشاعر رمضان حمود:[4]

دعوني فَما المَجد إلا العنا وخوض الجَلائل عند الطلاب
فليست تنال العلا صدقَةً ولَكنها بِركُوبِ الصعاب
دعونِي أناضلُ عن أمة توارت حقُوق لها بالحجاب

---

[1] أوستين نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلمات ترجمة عبد القادر قنيني ص92.
[2] ديوان محمد العيد آل خليفة ، ص10.
[3] نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلمات ص93.
[4] محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائري، ص355.

دعونِي أُناضلُ عن أُمة تــوارت فَضائلُها بين ظُفْرٍ وناب

يصدر الشاعر أفعالا تنفيذية؛ حيث يأمر المتلقي أن يتركه يعاني الصعاب من أجل نيل العلا والمطالبة بالحقوق، وهو في حقيقة الأمر فعل كلامي غير مباشر يقصد به استنهاض همة المتلقي وتحريكه للنضال(إنه فعل توجيهي حجاجي)، وقد أدرج فعلا عرضيا توضيحيا في البيت الثاني، عن طريق النفي قصد إثبات فكرته، بالإضافة إلى فائدة التكرار الحجاجية.

وظف الشاعر **ابن رحمون** الأفعال التنفيذية في قوله:[1]

ذكْرى لَكُم بِمعاني المَجد حافلةٌ فيها يا بنِي الإسلامِ معتبر
منها أُقَدم نصحاً يا بنِي وطني من العقيدة والإِحساس يعتصر
لا تجعلُوا أملَ الأَحرار مهزلَةً فالقَوم من يأسنا واللهِ قد سخروا

ففي خضم حديث الشاعر عن مؤامرة المشركين ومكرهم وإنقاذ الله للرسول "صلى الله عليه وسلم" في الهجرة.. يقدم الشاعر نصحه لشعبه مستلهما من العقيدة (أقدم نصحا)، ثم يقدم فعلا تنفيذيا آخر يقصد من خلاله التوجيه عن طريق النهي (لا تجعلوا أمل الأحرار مهزلة) أي عدم الاستخفاف بأمل نيل الحرية.

ويقول **رمضان حمود**:[2]

لا تقْنطوا طَالبِين المَجد أنصحكُم فالمَرءُ قَهرا علَى ما هو يتطَبع
أَخاف علَيكُم أنْ تناموا فَتهلكُوا ومن يغترر يوما لابد أنْ يكبوا
ولَيس قَبِيحا أنْ يقَالَ كَبوتم ولكن ضعف النفْسِ جبنا هو العيب
ومن لَم يذُق طَعم الردى بِنِضاله سيشكُو الأَذَى والدمع من عينِه يجري
شر البِلَاد ، بِلاد خاف ساكنها من جمرة الجُورِ أَو من فَتكَة السفَلِ

[1] ديوان ابن رحمون: شعراء الجزائر مركب مطبعة الرغاية الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1980، ص14.
[2] محمد ناصر: حمود رمضان حياته وآثاره ، المؤسسة الوطنية للكتاب ص45.

يظهر الفعل الكلامي التنفيذي في قول الشاعر (أنصحكم) فهو ينصح متلقيه على طلب ا د، حتى يصبح طلب ا د لديه طبيعة وعادة. وفي قوله (أخاف عليكم) يحذره الشاعر من النوم لأنه يقود إلى الهلاك .

3-2 - الوعديات Promissifs:

وتسمى كذلك الإلزاميات أو أفعال التكليف يقول أوستينAustin «إنّ النقطة الأساسية في التعهد هي أن يلتزم المتكلم من خلال الفعل الذي ينطقه بتصرف أو نشاط معين»[1]؛ لأنها تلزم المتكلم بإنجاز فعل معين مثل"الوعد، الموافقة، التعاقد، العزم، النية، التصميم، التخطيط..ومن هنا فإن درجة هذه الأفعال الإنجازية تختلف بين القوة كالوعد، وتضعف قوة حينما يقوم المتكلم بإظهار النية بفعل ما. *يقول **رمضان حمود**[2]:*

إنّ نفْسِي إلى المَكَارِمِ تصبو ولَها في سما البيان هيام
وإذَا كانت النفُوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

فالشاعر يظهر نيته بأنّ نفسه تصبو إلى المكارم، وهذا الفعل يدخل ضمن الوعديات؛ لأنه يلزم نفسه القيام بالمكارم.

يقول **السعيد الزاهري**[3]:

أُريد من الأيامِ ما لا تطيقُه وأقْصد منها ما لا يقْصده الشاه
ومن يركَبِ العزم الجَديد فَإنه يهونُ عليه أنْ يحصلَ مرماه
ومن كَانَ في أعماله متكَاسلاً فَسرعانَ ما يكْدي ويخفق مسعاه

[1] أوستين : نظرية أفعال الكلام العامة ترجمة عبد القادر قنيني ص179.
[2] محمد صالح الجابري: الأدب الجزائري الحديث، ص287.
[3] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج1، ص 158.

ويقول الشاعر **السعيد الزاهري** في قصيدة الشعر الفحل:[1]

همي من الدنيا بعيد	**والدهر جبار عنِيد**
أسعى من الدنيا لما	**يسعى له الشهم الحَديد**
وركبت عزما لَو ركُو	**ب العزمِ في الدنيا يفيد**
لَكنها هذي الحَيا	**ة زِمامها بِيد الجُدود**

تدخل هذه الأفعال الكلامية في إطار الوعديات؛ لأنّ الشاعر يبين نواياه ومقاصده، بأنّ مقصده نبيل بعيد فله عزيمة كبرى في هذه الدنيا، ومن السهل على صاحب العزيمة نيل مرماه، أما المتكاسل فلا يمكنه ذلك، غير أنه لم يتحقق مأربه، فالعزم لا يفيد؛ لأنّ الدهر جبار عنيد، والحياة بيد الحظوظ. لذلك كانت درجة الوعد أو الالتزام ضعيفة.

وتظهر الوعديات كذلك في قول **رمضان حمود**:[2]

أعانِق الحَق في قَولٍ وفي عملٍ	**وأنهض القَوم إِنْ مالُوا إِلَى كَسلِ**
فلَا أُداهن قَومي إِنْ هم اقْترفُوا	**ذَنبا يلابِس وجه الحَق بِالخَجلِ**
ولَا أعيش بِأَرضِ الذلِ مكْتئبا	**فَالذلُ من شيمة الأَنذَالِ والسفَلِ**
وأبذلُ النفْس في سبل الحَياة فدى	**"ولَا أعولُ في الدنيا علَى رجلِ"**

فالأفعال (أعانق الحق، أنض، لا أداهن، لا أعيش ذليلا، أبذل النفس، لا أعول على رجل أي لا أتكل) أفعال كلامية تندرج ضمن الوعديات؛ لأنّ الشاعر يلزم نفسه القيام بتلك الأمور، فالشاعر ينجز فعل العزم أو النية...

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج1ص160.
[2] محمد ناصر: حمود رمضان، حياته ومآثره، ص167.

2-4 *السلوكيات* **Comportatifs**:

والهدف من هذه الأفعال هو إبداء سلوك معين يتفاعل مع أفعال الغير، مثل الشكر والاعتذار وتقديم التهاني والتعازي والقسم و التحدي. يقول الشاعر ***الأمين العمودي***:[1]

الشكْر للنعمى يوفرها ومن   أسبابِ سلْبِ النعمة الكُفْر

وهو فعل سلوكي قائم على الشكر، لأنه تعبير عن حالة النفسية، ويقول الشاعر **ابن رحمون**:[2]

يا من يعاتبنِي في الحُب معذرةً   الحُب والشعر في المَعنى شقيقَان
إنْ كانَ معناهما اللفْظي مختلفًا   فَإن معناهما الروحي وحدانِي
كلا الشقيقَين في القَلْبِ مضجعه   إلا إذَا افْترقَا في بعضِ أحيان
الحُب إنْ لَم يكُن في القَلْبِ منبعه   فإنه محض تقْليد وبهتان
والشعر إنْ لَم يكُن في القَلْبِ مصنعه   فَإنه محض ألْفَاظ وأوزان

حيث تتضح الأفعال السلوكية في تقديم الاعتذار: معذرة، ويحرك هذا المعنى -وفق المبتغى التداولي- قصد خفي، فهو تعبير عن حالة نفسية لا يصرح ا الشاعر، والمرجح أنه لا يريد حقا الاعتذار لمن يعاتبه في الحب؛ بل يستوقفه نظرا لكونه لا يبين اعترافا بخطإ حبه؛ بل يبين لمخاطبه حقيقة الحب، لأنه شاعر لا يمكنه أن يتخلى عن شعره، هو كذلك محب لا يستطيع التخلي عن حبه، ويجعل للشعر والحب معنى واحدا حتى وان اختلفا لفظا، فمنبعهما القلب.

ومن الصعوبة القيام بعملية تصنيفية دقيقة وصارمة لأفعال الكلام في الشعر لكونه قائم على«طابع الاحتمالية المطردة، المفتوحة في الخطابات الشعرية عموما، والخطاب الشعري الحداثي على وجه التحديد، ويعود انفتاح البنية على ضروب من التوجيه، وأنواع

[1] صالح خرفي : الشعر الجزائري الحديث (الملحق)ص103.
[2] ديوان ابن رحمون ص120.

من التأويل فيما نحسب، إلى ميزة اللعب باللغة في حيز الخطاب الشعري»[1]. ذلك أن المعاني في الشعر قد تتخفى وراء ا ماز بعيدا عن اللفظ، مما يجعلها تنفتح على معاني كثيرة، وقراءات عديدة ، وهذا يعد إشكالا في المقاربة التداولية للخطاب الشعري.

2-5- *العرضيات*:Expositifs:

وتسمى كذلك "بالتفسيريات" والهدف منها الحجاج والنقاش والتبرير، وتختص بعرض مفاهيم منفصلة مثل: التأكيد، والنفي، والوصف، والإصلاح...[2] وهذه الأفعال «أصعب الأصناف الكلامية تعريفا ولكنها عموما تبين كيف أنّ العبارات المنطوق ا تجري مجرى الاحتجاج والنقاش، كما تكشف كيف أننا نستخدم الألفاظ. وبوجه عام يصلح هذا الصنف لطريقة الوصف والعرض»[3]. *يقول **رمضان حمود**[4]:*

لن ينالَ العز شعب كالجَماد فَقَد الإحساس خالٍ من شعور
لن ينالَ المَجد شعب بالرقَاد يترك اللب ويعنى بالقُشور
إنما المَجد قَرين بِالجهاد ووئام وثَبات في الظهور

في هذه الأبيات أفعال كلامية عرضية لكونا تنفي وتؤكد وتفسر، فقد استخدم الشاعر النفي وهو«أسلوب نقض وإنكار؛ يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب، فينبغي إرسال النفي مطابقا لما يلاحظه المتكلم من أحاسيس ساورت ذهن المخاطب خطأً؛ مما اقتضاه أن سعى لإزالة ذلك بأسلوب النفي»[5]، ومن هنا فكل قول يأتي منفيا يكون حجة لإقناع المتلقي، فللنفي دور حجاجي في عرض معطيات الحجاج فهو حسب **بيرلمان** Perelman

[1] نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة ردمك ،ط1،2009 ص93
[2] ينظر فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ، دار الحوار، سورية، اللاذقية، الطبعة الثانية 2007.ص62.
[3] صالح إسماعيل عبد الحق : التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد لبنان تنوير لبنان الطبعة الأولى، بيروت، لبنان ط1-1993 ص223.
[4] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص355.
[5] مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص246.

«هو رد على إثبات فعلي أو محتمل حصوله من قبل الغير»[1]. لهذا يعد من حجج القصد التلميحي، حين يقصد المخاطب تقرير حججه بالتلميح، فيثبت الشاعر اقتران ا د بالجهاد، وينفي نيل العز وا د بالنوم والجمود.

والغاية من الأفعال الإيضاحية (العرضيات أو التفسيريات) هي الحجاج والنقاش، فهذه الأفعال الإنجازية دف إلى الدفع إلى العمل، وتوجيه فعل المتلقي إما لفعل الشيء أو تركه. ويظهر نجاحها أو فشلها في إقناع المتلقي من خلال الفعل التأثيري الذي تؤديه ويفسره السياق الذي وردت فيه. «ويكتسي العرض المقدم من طرف فعل كلام قوة دفع الغير إلى الالتزام؛ حيث يضمن المتكلم صاحب ادعاء الصلاحية بصدق إمكانية الالتزام عند الحاجة ذا الإدعاء ذا الادعاء ويقدم مبررات وافية لذلك»[2]. فعبر أفعال الكلام العرضية إقرار صدق الادعاء القابل للنقد والموضوع من أجل النقاش، حيث يتخذ المتكلم موقفا عند الحديث عبر الحجاج، مثل أجيب، أعارض، أوضح، أفترض، أناقش..

ويمكن تلخيص تصنيف **أوستين**"Austin كما يلي «إنّ الفعل المتعلق بممارسة توكيد لنفوذ أو ممارسة سلطة معينة، والفعل الإلزامي هو اتخاذ تعهد أو إعلان عن قصد، والفعل السلوكي هو اتخاذ موقف، والفعل التفسيري هو توضيح مبررات وحجج ومعلومات»[3].

يبدو تصنيف "**أوستين**"Austinمفتوحا ومرنا، لذلك حاول"**سيرل**" "Searle" تطوير نظرية أفعال الكلام عند **أوستين**Austinواقتراح معايير أخرى لتصنيف الأفعال الكلامية.

وتتضح الأدوات اللسانية التي تستعمل لغرض حجاجي إقناعي على مستويين:

---

[1] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ميسكيلياني للنشر المغرب ط1، 2011، ص37.

[2] جاكوبسون مونان ميبكي هابرماس، التواصل نظريات و مقاربات، تصدير عبد الكريم ترجمة عز الدين خطابي، زهور حوتي، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، ط1، 1428-2007م، ص129.

[3] صالح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، لبنان تنوير لبنان الطبعة الأولى، بيروت، لبنان ط1-1993، ص224.

على مستوى أفعال الكلام المتداولة في الحجاج، هناك أفعال الكلام العرضية وفق أوستينAustin 1962 أو ما يسمى بالتوضيحيات أو الأفعال التفسيرية لعرض مفاهيم وبسط موضوع وتوضيح استعمال الكلمات وضبط مراجع مثال: أكد، أنكر، أجاب، اعترض، وهب...[1]

وعلى مستوى السياق هناك أدوات وتعابير وصيغ تضفي السمة الحجاجية على قول ما، ما يجعل الحجاج يكون ضمنيا أو صريحا، وهكذا نجد «تعابير إنجازية موجهة إلى ربط قول ما ببقية الخطاب، وبكل السياق المحيط، من هنا نعثر على أجيب؛ استنبط؛ أستخلص؛ أعترض... وتأتي هذه التعابير لتربط القول بالأقوال السابقة، وأحيانا بالأقوال اللاحقة، إذ إن هذه الأقوال تأكيدية عامة وهناك مستوى آخر يظهر فيه ارتباط الخطاب الحجاجي بالبعد التداولي»[2]، فالأفعال التوضيحية لها دور حجاجي كونها تعرض المفهوم وتوضيحه، أو تأكيد قضية معينة، كما تربط الأقوال السابقة باللاحقة، وقد يكون الحجاج فيها ضمنيا وصريحا.

ثالثا: *الأفعال الكلامية عند جون سيرل* "Searle":

أضفى **سيرل**" Searle" انتظاما أكبر على الأفكار التي تحراها **أوستين** Austin بعمق، واختلاف الهدف من الفعل الكلامي هو ما جعل"**سيرل**" Searle" يعيد تصنيف أفعال الكلام، فقد يكون الهدف منه هو القيام بفعل معين من جهة، وجعل الأفعال مطابقة للعالم، أو جعل العالم مطابقا للأفعال من جهة أخرى.

في إطار حديث "**سيرل**" "Searle" عن اتجاه الملاءمة أو المطابقة بين العالم والكلمات يربطها بالقصدية ويقول أنها «الطريقة الخاصة التي يمتلكها العقل لربطنا بالعالم، وعلى غرار ذلك تبرز حقيقة أنّ هناك طرقا مختلفة من الحالات القصدية، وتربط الأنماط المختلفة من الحالات القصدية المحتوى الخبري بالعالم الواقعي، إذا صح القول، مع إلزامات مختلفة بالملاءمة، فيقال عن الاعتقادات والافتراضات إنها صحيحة أو زائفة استنادا إلى ما إذا

[1] فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ص83.
[2] نفسه ص 86.

كان العالم حقا هو الطريقة التي يمثلها الاعتقاد كوجود»[1]، فالهدف من الفعل الكلامي (الغرض الإنجازي) يوجد بين المحتوى القضوي لذلك الفعل والعالم الحقيقي.

تفترض العملية التواصلية القصدية طرفين أساسين هما المرسل والمتلقي، بيد أنّ «المقاصد أنواع: أولي يتجلى في المعتقدات، والرغبات التي تكون لدى المتكلم، وثانوي يكون فيما يعرفه المتلقي من مقاصد المتكلم، وثلاثي ينعكس في هدف المتكلم الذي يريد أن يجعل المتلقي يعترف بأنه يريد منه جوابا ملائما»[2]. فالحجاج يرتبط بالإنجاز والمتمثل في أثر القول على المتلقي، والحجاج مرهون بالقصدية ؛لأن الجمل تحمل معنى مقصودا مثل الوعد أو الحكم... وبالتالي تكون القصدية مصدر قوة الفعل الإنجازي وحجاجيته،كما أنّ الفعل التأثيري نتيجة عن الفعل الإنجازي المتصل بالمعنى والقصد معا. كما أضاف **سيرل** "Searle إلى مفهوم القصدية "مبدأ التعبيرية" Principe d'exprimabilité الّذي يقوم على دعائم فكرة جوهرية، يمن أن نلخصها في: إنّ كلّ ما نريد قوله يمكن قوله[3].

أما اتجاه المطابقة فهو الطريقة التي يرتبط ا المحتوى القضوي مع العالم، واتجاهات المطابقة هي:[4]

أ/من القول إلى العالم: حيث يتحقق نجاح إنجاز الفعل في حالة تطابق المحتوى القضوي للفعل الإنجازي مع واقعة مستقلة حدثت أو تحدث في العالم الإنساني، كما يحدث عند الإخبار عن واقعة أو وصفها.

ب/ من العالم إلى القول: يتحقق نجاح الفعل في المطابقة بتغيير العالم ليطابق المحتوى القضوي للفعل الإنجازي، كما يحدث في فعل الوعد.

---

[1] جون سيرل : العقل واللغة وا تمع (الفلسفة في العالم الواقعي) ترجمة سعيد الغانمي ، الدار العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف ، المركز الثقافي العربي، ط1 2006م -1427ه، ص151.

[2] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005، ص164.

[3] Jaque Moeshler, Antonie Auchlin, Introduction à linguistique contemporaine, p 138.

[4] ينظر علي محمود حجى الصراف:في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص57.

ج/ اتجاه المطابقة المزدوج: يتحقق النجاح في المطابقة بتغيير العالم ليطابق المحتوى القضوي مع إمكانية قيام الفعل الإنجازي والفاعل بدوره يسمح بتطويع المحتوى ليتلاءم مع العالم.

د/اتجاه المطابقة الفارغ: هنا لا توجد مشكلة في نجاح تحقق المطابقة بين المحتوى القضوي والعالم؛ لأنه عموما يقع القول مع افتراض حصول المطابقة قبل ذلك.

ربط **سيرل** "Searle" مفهوم القصدية ومطابقة الكلمات للعالم بمفهوم السببية؛ حيث يقول «السببية هي علاقة واقعية بين الأشياء والأحداث في العالم، وهي علاقة تتسبب من خلالها ظاهرة ما هي السبب بظاهرة أخرى هي النتيجة»[1]. فالهدف من الحديث عن مطابقة الكلمات للعالم أو مطابقة العالم للكلمات هو حجاجية القصد من الكلام.

لذلك نجد **سيرل** "Searle" في موضع آخر من كتابه (العقل واللغة وا تمع) يتحدث عن السببية القصدية؛ بل ويربط قدرة التمثيل للعقل بالعلاقات السببية؛ حيث يقول«أمر جوهري لبقائنا في العالم أن تتداخل قدرة التمثيل في العقل والعلاقات السببية بالعالم ويتواشجا بطريقة نسقية، والشكل الذي يتداخلان به هو السببية القصدية»[2]، فإما السبب هو تمثيل للنتيجة أو أنّ النتيجة هي تمثيل للسبب، واختلاف أسباب ومقاصد المتكلم أثناء حديثه هو ما جعل "**سيرل**" "Searle" يعدل تصنيف أستاذه "أوستين"Austin ويغير فيه.

كما قد يختلف الهدف من الفعل الكلامي-حسب سيرل" "Searle - على أنه جعل المستمع يفعل شيئا، والهدف من الوعد هو تعهد المتكلم بإلزام نفسه أن يفعل شيئا وهكذا، فالهدف الإنجازي من "الأمر" و"الطلب"هو ذاته، كلاهما يجعلان المستمع يقوم بفعل شيء ما، ولكن القوة الإنجازية تختلف عن ذلك، حيث هناك درجات متفاوتة من الشدة أو القوة ينجزها قول معين(أقترح عليك فعل كذا، أطلب منك فعل كذا، آمرك أن

[1] جون سيرل : العقل واللغة وا تمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، ترجمة سعيد الغانمي ص24.

[2] نفسه، ص 157-158.



تفعل كذا)، فهي تتفق في الغرض الإنجازي، لكن يعرض كل قول بدرجة مختلفة حيث تتصاعد الشدة أو القوة من الاقتراح إلى الطلب إلى الأمر.

فقد ميز "**سيرل**"" Searle"بين أربعة أقسام من الأفعال الكلامية: فمن خلال الأمثلة الآتية:

1- "جون" يفرط في التدخين.
2- هل يفرط "جون" في التدخين؟
3- عليك أن تفرط في التدخين يا "جون".
4- الجو لا يطاق بتدخين "جون" المفرط.

فإننا نقوم بأربعة أمور:عند النطق بالعبارات الأربعة، نقوم بفعل التلفظ(الصوتي، التركيبي)acte d'énonciation ، والملاحظ أنّ هذه العبارات تشترك في المحتوى القضوي acte propositionnel (التدخين المفرط ل"جون") لكن لكل عبارة منها فعل إنجازيacte illocutionnaire (الإخبار، السؤال، الأمر، التمني...) وكل عبارة تخلف نتائج معينة(الفعل التأثيريacte perlocutionnaire) [1].

إن إدراج الفعل القضوي جاء لتدارك الالتباس الحاصل عند **أوستين** Austin بين فعل التلفظ والفعل الإنجازي فجعل فعل التلفظ يتكون من نظامي التصويت (النطق) والتأليف(التركيب)، أما الجانب الإحالي والمرجعي فيقوم على إدراج المعنى وإدراجه قبل القوة الإنجازية، هذه الملاحظات ساعدت **سيرل** Searle على توضيح الفرق بين الفعل القضوي والقوة الإنجازية، إذ يمكن للمحتوى القضوي الواحد أن يحقق أفعالا إنجازية مختلفة كما تبين من خلال الأمثلة السابقة، فهي ملفوظات أربعة ذات محتوى قضوي واحد هو (التدخين المفرط لجون)، لكنها من حيث القوة الإنجازية مختلفة من جملة لأخرى ففي الأولى "إخبار"، وفي الثانية "سؤال"، وفي الثالثة "أمر"، وفي الرابعة "تذمر" بطريقة مضمرة.

[1]Voir J. R. Searle, les actes de langage (essai de philosophie du langage, collection savoir, lettre Herman, Paris, nouveau tirage, 1996, P.60-62

يميز سيرل" Searle" بين الفعل الإنجازي والفعل التأثيري، بأنّ هذا الأخير عبارة عن نتائج وآثار تسفر عنها الأفعال الإنجازية في المتلقي، وأنّ الأفعال الإنجازية يجب أن تؤدى قصديا؛ ف«إذا لم تقصد أن تعطي وعدا، أو تصدر حكما، إذا فأنت لم تطلق وعدا أو حكما، غير أنّ الأفعال التأثيرية لا يجب أن تؤدى قصديا بالضرورة . قد تقنع شخصا بشيء ما، أو تدفعه إلى فعل شيء، أو تزعجه، أو تحيره دون أن تقصد ذلك»[1]. فالأفعال التأثيرية قد تكون قصدية وقد لا تكون قصدية، وهي نتيجة مترتبة عن الفعل الإنجازي ، فحين يقول المتكلم شيئا ويقصد به معنى ما ويحاول توصيل المتلقي لقصده فإنه إذا نجح في ذلك يكون قد أدى فعلا إنجازيا.

ترى **أوركيوني**Orecchioni أنّ القوة الإنجازية تعني«المكون الذي يعطي للملفوظ قيمته من حيث هو فعل »[2]؛ أي الغرض الذي يتحقق من الفعل الكلامي.

لا تتحقق القوة الإنجازية لأفعال الكلام إلا لكون الفعل التأثيري (قوة لازم فعل الكلام Acte perlocutoire)المفهوم من طرف المستمع، والذي حظي بقبوله يجب«أن ينطبق أيضا على النتائج الدالة على العمل والناجمة عن المضمون الدلالي للملفوظ»[3]، ولهذا الأمر يرى **سيرل**Searle" أنّ المطابقة بين القول والعالم بشرط الإخلاص والنية من أجل نجاح الفعل الكلامي، وتحقيقه القوة الإنجازية المطلوبة الذي يسعى ا إلى تأثير ما داخل العالم.

أما بالنسبة للقوة الإنجازية للفعل الحجاجي، فليس هناك استدلال حتمي أو فكرة قوية «فلو كان الأمر على هذه الشاكلة، فسنعرف مسبقا الاستدلال الحتمي وسنستخدمه جميعا، أو ما هي الفكرة القوية وسنلجأ إليها جميعا، يمكن أن يخدم استدلال واحد أفكارا

[1] جون سيرل: العقل واللغة وا تمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي. ص203.

[2] Catherin cerbrat Orecchioni , Les actes de langage dans le discours théorie et fonctionnement, Edition Nathan ; Paris 2001,P.16

[3] جاكوبسون، مونانن مييكي، هابرماس، التواصل نظريات ومقاربات، تصدير عبد الكريم غريب، ترجمة عز الدين خطابي، زهور حوتي،ص29.

متعارضة، ويمكن للفكرة نفسها أن تدرج في استدلالات مختلفة»[1]، فليست الفكرة قوة في حد ذا ا؛ بل يكتسب الفعل الكلامي الحجاجي صحته من المعنى الذي ينتجه داخل سياق تواصلي بين المتخاطبين.

اعتبر **سيرل**"Searle" أنّ«كل ملفوظ لساني يعمل كفعل محدد (أمر، سؤال، وعد...إلخ يسهم في إنتاج بعض الآثار، ويعلق بعض التغييرات في الموقف التواصلي، كما اعتبر أن المكون الأساسي للملفوظ الذي يمنحه قوته هو القوة الإنجازية، وبأن هذه القوة تطبق وتضاف إلى المحتوى القضوي للملفوظ»[2].

ترى كاترين كيربرات أوركيوني Orecchioni أنّ بروز متضمنات القول ومقصدية المتكلم من خلال النص من جهة والسياق من جهة أخرى؛ حيث تقول «تقع مسؤولية بروز المحتوى القولي على:

- المتتالية النصية التي يرتكز عليها بصورة دائمة، ولكن أيضا على تلك التي يرتكز عليها عند الاقتضاء.
- السياق الحالي للنص.
- السياق الهامشي للنص.
- السياق»[3]، فالسياق الهامشي للنص؛ أي خارج عن النص مثل الإيماءات الحركية ونبرة الصوت، والسياق الذي يبين إن كان المحتوى الذي ندلي به حرفيا هو المتضمن في القول أو هو كم.

[1] باتريك شارودو ، الحجاج وأشكال التأثير ترجمة ربيعة العربي، ص295.

[2] Catherin cerbrat Orcchioni, les actes de langage dans le discours, théorie et fonctionnement, Edition Nathan ; Paris 2001, P16.

[3] كاترين كيربرات أوركيوني: المضمر ترجمة ريتا خاطر، مراجعة جوزيف شريم ، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت ، كانون الأول (ديسمبر)2008. ص35.

1- **شروط** نجاح **الفعل الكلامي :**

وضع التداوليون قواعد يحاكم على ضوئها نجاح الكلام أو فشله، ونجاح الكلام يعني تحقيق الهدف التأثيري الذي يرومه المتكلم وبالتالي نجاح الحجاج. وهذه القوانين أسماها **سيرل** Searle شروط النجاح، ودعاها **غرايس** Grice قواعد المحادثة، ونعتها **ديكرو** Ducrot بقوانين الخطاب.

وشروط نجاح الإنجاز حسب **سيرل** Searle :

1- الشرط التمهيدي: وهو شرط تحضيري يسبق أداء الفعل الكلامي، مثلا فعل الشكر يجب أن يكون المتكلم مدركا أنّ المخاطب قد فعل شيئا يعود بالنفع.

ويتحقق الشرط التمهيدي عندما :

أ- يكون المتكلم أو المتلقي "قادرا" على إنجاز الفعل.

ب- لا يكون واضحا لكل من المتلقي أو المتكلم أنّ المتلقي سينجز الفعل المطلوب في ا .رى الاعتيادي للأحداث[1]. ومعناه أن يكون المتكلم في الوضع الذي يسمح له بتحقيق الإنجاز؛ أي أن يمتلك الأهلية،كما عليه أن يراعي ظروف مخاطبه واستعداداته. فسياق الكلام والأهلية يتضافران لجعل الكلام ناجحا وموفقا، أو فاشلا.

2- شرط المحتوى القضوي: «ويحدد نوع المعنى الذي يعبر عنه بالقسم الإخباري (مثال فعل الوعد يجب أن يشير إلى حدث مستقبلي بالنسبة للمتكلم) »[2] وهذا الشرط «يحتم وجود "قضية" يعبر عنها قول المتكلم الإنجازي، فهذا الشرط لا يتحقق إلا عندما يكون للكلام معنى قضوي(نسبة إلى قضية (proposition التي يقوم على متحدث عنه، أو مرجع reference ومتحدث به

[1] علي محمود حجى الصراف، في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص 52-53

[2] ينظر: جيفري ليتش وجيني توماس Geoffry Leech and Jenny Tomas البراغماتية(المعنى في السياق) ملف pdf (pdf created with pdf Factory trial version www.pdfactory.com)، ص252-253.

prédication»[1] ، وهذا يعني أنه يجب مراعاة العلاقة الإسنادية التي تضبط المحتوى القضوي.

3- شرط الجدية والإخلاص: «ويتحقق حين يكون المتكلم "مخلصا أو صادقا" في أداء الفعل الإنجازي فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع، بعبارة أخرى : لابد أن يكون المتكلم يريد "حقا" أن ينجز الفعل من قِبله أو من قِبل المتلقي»[2] فشرط الإخلاص يستوجب:

- أن يكون المتكلم جادا في كلامه.
- أن يكون قاصدا إلى تحقيق إنجازه.

فيجب تنفيذ الفعل بأمانة وإخلاص مثلا فعل الاعتذار يجب أن يتأسف المتكلم على ما فعل، ويجب في شرط الإخلاص الصدق؛ أي أن تكون النوايا والمقاصد صادقة، فلا يقول المتكلم ما يناقض رغباته ومعتقداته.

4- الشرط الأساسي: هو أن يكون المتكلم عازما على تحمل تبعات إنجازه «ويتحقق حين يكون المتكلم يريد التأثير في المتلقي لينجز الفعل، وبعبارة أخرى: يعد هذا الشرط "محاولة" حث المتلقي على إنجاز فعل معين»[3]، مثلا في فعل التحذير الشرط الأساسي فيه هو أن يحسب الشروع في عمل مستقبلي أنه لن يكون في صالح المتلقي.

ينجح الفعل الكلامي في تحقيق التأثير والإقناع الذي يتوخاه المتكلم إذا«تعرف المستمع على القصد الذي أنجز من خلاله الفعل، فالقصد مكون أساسي في مضمون التلفظات»[4].

[1] علي محمود حجى الصراف، في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي ، ص52.
[2] نفسه ص53.
[3] علي محمود حجى الصراف، في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي ، ص53.
[4] يوسف السيساوي : المقاربة التداولية للإحالة ضمن كتاب التداوليات، علم استعمال اللغة : حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن ط1432،1-1-2011 ، ص467.

حيث ينجح الفعل الكلامي حين يصل المستمع إلى القصد الذي يبتغيه المتكلم ثم يقوم بإنجازه.

وعلى العموم فإنّ شروط نجاح الفعل التداولي إذا توافرت وفرت اقتناع المتلقي، فتنجح بذلك حجاجية الفعل الكلامي، وبفشلها وعدم قدر ا على كسب تأييد المتلقي أو دفعه إلى العمل أو تغيير موقفه وسلوكه فإنّ دورها الإقناعي يكون فاشلا غير موفق.

وبالنسبة إلى قواعد المحادثة التي وضعها **غرايس** الذي يرى «أنّ تأويل قول ما يتعلق بعاملين: معرفة السياق اللغوي وما فوق اللغوي، وفهم الجملة المنطوقة»[1].

افتتحت النظرية الغرايسية أسلوبا جديدا كليا في النظرية التداولية ومشكلة التواصل، فقد أدرج **غرايس**Grice فكرة الاستلزام الحواري كمساهمة مبدئية في مركز هذه النظرية هذه الفكرة "تسمح بشرح الاختلاف والتباين المتكرر بين مدلول الجملة والمعنى التواصلي بالتلفظ"[2].

وجد "**غرايس**" (1975 حتى 1979) و"**سبربر**" و"**ولسن**" (1986 حتى 1989) ثلاثة أفكار أساسية في شرح الاختلاف بين المعنى الحرفي والمعنى التواصلي:

أ- المعنى التواصلي الملفوظ عامة يكون غير صريح.

ب- بتلقي المعنى التواصلي يتم عن طريق عملية استدلالية.

ج- العملية الاستدلالية تحقق عن طريق قواعد تداولية (مبدأ التعاون، وحكم التخاطب لغرايس، ومبدأ المناسبة "سبربر" و"ولسن"[3].

---

1 محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، ص141.

2 Jacque Moeschler Anne Reboul : Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique Edision Seuil 1994P.202

3 Jacque Moescheler, Théorie pragmatique et pragmatique conversationnelle, p 129.

اقترح **غرايس**Grice مبدأً عاما في مركز التواصل هو مبدأ التعاون يستمد أطروحته من القيم الاجتماعية والأخلاقية التي تفرض نفسها على جماعة لغوية لتنظيم النشاط الكلامي، ورأى أنّ المتخاطبين يفترض أن يحترموا هذا المبدأ بطريقة عقلانية ومتعاونة في إنتاج الكلام وتأويله.

لاحظ **غرايس**Grice أنّ بعض الملفوظات التي نتواصل ا أكثر من الكلمات التي تركب الجملة لتدلّ عليها كلها. هذا الجزء من مدلول الملفوظات التي تلغي حقيقة الجملة اصطلح عليها غرايسGrice بالاستلزام الحواري حيث تطلق الاستلزامات عبر تعبير لساني أي بمبدأ عام يدرك من التواصل أو من التضمينات."[1]

مثال: يسأل "أ" – "ب" : كيف مر عملك الجديد مع "س" في البنك؟

"ب": آ، أظن أنه ليس سيئا، إنه جيد مع زملائه، ولم يوضع بعد في السجن.

فمن معارف "ب" الخلفية ومدلول بعض الكلمات يتضح ل"أ" أنّ "س" ليس نزيها في عمله، هذه الجملة إذن تتضمن استلزاما حواريا خاصا.

لكن كيف تتم عملية الاستلزام -الخروج من المعنى الظاهر بصيغة الجملة إلى معنى آخر؟ وكيف يكون تأويل الجملة التي تحمل تلميحا؟

يقترح **غرايس**Grice أن توصف ظاهرة الاستلزام الحواري "انطلاقا من مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه، باعتبار أنّ مصدر الاستلزام هو الخرق المقصود لإحدى القواعد الأربع مع احترام المبدأ العام، مبدأ التعاون"[2].

تتجسد فكرة **غرايس**Grice في أن مساهمة المتكلمين تتحكم في المبادلة الخطابية بمبدأ عام يتقبل ضمنيا من طرف المستمعين ويسميه مبدأ التعاون، وهذه الفكرة عند **غرايس**

[1] voire, Jacque Moescheler, Théorie pragmatique et pragmatique conversationnelle. p.202.

[2] أحمد المتوكل: الاستلزام التخاطبي، بين البلاغة العربية والتداوليات، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة حافظ اسماعيلي علوي،ص295.

Grice جاءت لجعل المتكلم المساهم في المبادلة الكلامية يمتلك وظيفة امتداد الحديث ويمسك إدارة الكلام.

شكّل **غرايس** Grice هذا المبدأ بالطريقة الآتية: أن يجعل المتكلم مساهمته في الحديث في الفترة اللازمة التي تجري فيها المبادلة الفعلية، حيث يقول "أن تجعل مساهمتك في المحادثة كما هو مرجو منك من حيث اختيار التوقيت المناسب، وأن تكون تلك المساهمة متماشية مع الهدف والتوجه المسلّم بما للتبادل الخطابي الذي تقع ضمنه"[1]، أو كما قال **طه عبد الرحمن** أنّ صيغة "مبدأ التعاون" هي «ليكن اندفاعك في الكلام على الوجه الذي يقتضيه الاتجاه المرسوم للحوار الذي اشتركت فيه»[2].

ويسهم هذا المبدأ في تسهيل التفاهم وتحقيق التأثير وإنجاز الفعل، ويجب على المتكلم «أن يراعي المخاطب في كل ما يأتي ويدعي لغويا ونفسيا واجتماعيا وثقافيا؛ بل إنه يسخر في ذلك ما يعين في التبليغ بالإشارة والملامح...ليجد من المخاطب نفسه متعاونا متمثلا في الإصغاء ومحاولة الفهم»[3].

تتحدد فكرة التعاون بأربع حكم للحديث أو كما يسميها مسعود صحراوي "مسلّمات غرايس"[4]، ويمكن إظهارها بأربع أنماط عادية:الكم(كمية المعلومات)، النوع(الصدق)، العلاقة(الملاءمة)، والطريقة (الكيف):

---

[1] ج.ب براون و.ج. يول: تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، دار النشر والمطابع، الرياض، 1997، ص 40.

[2] طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية 2000.ص103.

[3] نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي ، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، سطيف الجزائر، ط1، 2009، ص30-31.

[4] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء والعرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2005، ص: ص 34/33.

حكمة الكم: اجعل مساهمتك إخبارية بالقدر الذي يقتضيه التواصل، لا تجعلها إخبارية أكثر مما هو مطلوب.[1]

حكمة النوعية(الصدق): اجعل مساهمتك صادقة. أو لا تقل ما تظنه كذبا ولا تقل ما ليس لك عليه حجة؛ حيث"يفترض نزاهة القائل الذي ينبغي عليه ألا يكذب، وأن يملك الحجج الكافية في إثبات ما يثبته"[2].

حكمة العلاقة(الملاءمة) تكلم في صلب القضية ، كن دقيقا، تكلم في الوقت المناسب.[3]

حكمة الطريقة(الكيف) الإفصاح والإيجاز، كن واضحا –تجنب التعبير الغامض المبهم- اختصر كلامك (تجنب أي إطالة غير مفيدة)- اجعل كلامك منظما ومرتبا.[4]

نفهم من هذا أن تصور غرايس Grice للتواصل تصور مثالي ومعياري في إجراء السلوكات الفعلية للمتكلمين التي تنقل في الغالب خرقا لمبادئه، فالغرض الأساس من هذه الحكم التحادثية "هو تحقيق الفعالية القصوى لتبادل المعلومات بين أطراف المحاورة، أي تحقيق تواصل مثالي وشفاف، ويتجاوز مجالها التبادل الكلامي إلى مختلف المعاملات الأخرى كتقديم المساعدة"[5].

ولقاعدة الكم حضور خاص في الشعر؛ لأنّ الشعر مرهون بمدى مراعاة هذه القاعدة حتى قيل البلاغة هي الإيجاز، كما عد قبول النص أو استساغته من لدن القراء خاضعا لهذه

---

[5] voire, Jacque Moeschler Anne Reboul : Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique P.207

[2] آن ربول جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت لبنان ، ط1 ، ص55.

[1] voire, Jacque Moeschler Anne Reboul : Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique P.207

[2] voire, Ibid P.207

[5] حسن بدوح " المحاورة مقاربة تداولية عالم الكتب الحديث إربد الأردن ، ط1، 2012، ص162.

القاعدة الكمية؛ إذ يجب على الشاعر أن «لا يطيل فيمل السامع ولا يقطع بالنفوس وفيها ظمأ للمزيد»[1].

وتعد قاعدة العلاقة أو الملاءمة كذلك أكثر القواعد احتراما، وأدعاها لنجاح العملية الشعرية «فمدار الشرف مع الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال مع ما يجب لكل مقام مقال»[2].

كما أنّ خرق هذه القاعدة تفضي إلى تعديل رؤية تلك المخاطبان وقبولها في سياق الفعل الشعري، لا الفعل الكلامي العادي.

أما قاعدة الصدق فهي مبدأ محل خلاف داخل الخطاب الشعري الذي عادة ما يبنى على النقيض ف"خير الشعر أكذبه"[3] ، كما قد يبنى على الجمع بين المبدأين ؛ أي الصدق والكذب فللشعر«مواطن لا يصطلح فيهما استعمال الأقاويل الصادقة ومواطن لا يصلح فيها إلا استعمال الأقاويل الكاذبة، ومواطن يصلح فيها استعمال الصادقة والكاذبة، واستعمال الصادقة أكثر وأحسن، ومواطن يحسن استعمال الصادقة والكاذبة واستعمال الكاذبة أكثر وأحسن، ومواطن تستعمل فيها كلتاهما من غير ترجيح فهي خمسة مواطن ، لكل مقام مقال»[4].

والبحث في مبدأ الصدق أو الكذب يكون بالتركيز على وجهة نظر المتلقي فمن قال خير الشعر أصدقه «كان ترك الإغراق والمبالغة إليه آثر عنده، إذا كان ثمره أحلى وأثره أبقى وفائدته أظهر، وحاصله أكثر، ومن قال أكذبه ذهب إلى الصنعة يمد باعها وينشر شعاعها، ويتسع ميدانا، وتتفرع أفنانا ؛ حيث يعتمد الاتساع والتخيل»[5].

---

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة ص211.

[2] نفسه ص194.

[3] الجرجاني: أسرار البلاغة ص210.

[4] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص85.

[5] الجرجاني: أسرار البلاغة ، ص211.

نستنتج أنّ الخطاب الشعري قد يراعي قواعد التخاطب وذلك ضمانا لتداوليته، كما قد ينتهكها أو يخرقها تحقيقا لشعريته، واحترام هذه القواعد أو خرقها يفضي في الغالب لإنجاز فعل ما.

يرى **ليتش Leech** أنه "يمكننا أن نخالف مبدأ ما عن غير قصد أو يمكننا أن نخالف مبدأ آخر سرا"[1]، فيمكن أن نجيب عن قصد من خلال الاستهزاء والتهكم، ويقوم المخاطب بالبحث عن المعنى الضمني "الذي يكتشفه المخاطب من خلال افتراضه التزام المتكلم الضمني بمبدأ التعاون، إنه الخرق الصارخ للمبادئ الأساسية الذي يؤدي إلى توليد الاستتباع التحاوري"[2].

قام مجموعة من الباحثين بتعديل وتطوير نظرية **غرايس** من بينهم «**هانريش** Hanrish الذي أضاف بعض التعديلات منها الجمع بين مبدئي الكم والكيف، والباحث اللغوي صادوك Sadok الذي دافع عن فكرة إمكانية اختزال بعض المبادئ الغرايسية... والباحثين **ويلسن**Wilson و**سبيربر**Sperber اللذان شكلا اتجاها تفنيديا لبعض المقولات والمبادئ الغرايسية، على أساس أنما شككا في مبادئه التنظيرية والإجرائية واستثنيا من هذا النقد اللاذع مبدأ المناسبة»[3] ومن هنا ظهرت نظرية جديدة تبنت مبدأ المناسبة المستوحى من مسلمات **غرايس**Griceهي نظرية الملاءمة Pertinence .

تحدثت الباحثة **روبين لايكوف** عن مبدأ التأدب في الخطاب، وقد يكون للشعر غايات أخلاقية تأديبية ؛ لذلك فقد يبنى الشعر على مبدأ أخلاقي هو مبدأ التأدب.

وشروط نجاح الفعل الكلامي يمكننا أن نبحث فيها إذا كان القول شعريا، فمن شروط نجاح تلقي المقول الشعري«أن يكون السامع على استعداد نفسي لذلك، وأن يعتقد بأنّ

[1] جيفري ليتش وجيني توماس Geoffry Leech and Jenny Tomas البراغماتية(المعنى في السياق) ملف pdf (pdf created with pdf Factory trial version www.pdfactory.com ، ص259.

[2] نفسه والصفحة نفسها.

[3] واضح أحمد: الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري، إشراف لزعر مختار، جامعة وهران 2011-2012، ص127-128.

الشعر فاعلية تقارب فاعلية الحكمة»[1]، بالإضافة إلى حصول التخييل في ذهن المتلقي الذي يتميز بمحصوله الفكري وثقافته.

وإذا كانت هذه المبادئ -التي تشكل شروطا لنجاح الفعل الكلامي- أكثر ارتباطا بالفلسفة والحديث اليومي «أفلا تحمل شيئا مما ينبغي توفره في اللغة؟ وبسؤال أكثر تحديدا : ألا يتسع النص الشعري للأسئلة كم، كيف، ولم؟ أليس من حق القارئ أو السامع أن يعرف حجم ما يتلقاه، وكيفية عرض بواعثه؟ ما الجدوى من الشعر إن كان لا يقدم، ولا يعرض ولا ينفع... وبكلمة: ما الجدوى من الشعر إن كان لا يفعل بالمفهوم التداولي للفعل؟ ما هو أصلا وإن غابت هذه الأسئلة جميعا ما الذي بقي في الشعر أو جديرا بلقب الشعر؟ ألا يمكن فهم التحول البراغماتي في علم اللغة على أنه انعكاس لحاجات مجتمعية متغيرة مهمته اجتماعية بوجه عام»[2]، لذلك يمكن البحث في شروط نجاح الفعل الكلامي في القول الشعري؛ ذلك أنّ المتلقي عموما يبحث عن المنافع التي قد يحملها الخطاب الشعري.

2- تصنيف سيرل "Searle" للأفعال الكلامية:

حاول **سيرل** "Searle"تعديل تصنيف **أوستين** للأفعال الكلامية فصنفها بالنظر إلى الهدف الإنجازي إلى خمسة أصناف وهي:

2-1 التأكيديات (Assertifs)

وتسمى كذلك التقريريات أو الإخباريات: وهدفها تقديم الخبر بوصفه تمثيلا لحالة في الواقع وتقتضي«تعهد المرسل بدرجات متنوعة بأنّ شيئا ما هو واقعة حقيقية، وتعهده كذلك بصدق قضية ما»[3]، لكن ليس معناها الوعد أو التعهد كونهما يندرجان ضمن الالتزاميات، بل تأكيد الواقعة أو إثبات الحدث بغية إحراز تصديق المتلقي فقد تكون تفسيرا، وصفا، أحكاما، أو تقريرا .

[1] خليفة بوجادي: الشعر من (فن القول)إلى (مبدأ التعاون) –نحو مدخل تداولي، مجلة ال(ا)ص، ص218.
[2] خليفة بوجادي: الشعر من (فن القول)إلى (مبدأ التعاون) –نحو مدخل تداولي، مجلة ال(ا)ص، ص218-219.
[3] ينظر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص123.

و ـدف التأكيديات[1] إلى جعل الكلمات تطابق العالم«ومن أمثلتها الأحكام التقريرية والأوصاف الطبية والتصنيفات والتفسيرات وتنطوي جميع الإثباتيات على اتجاه ملاءمة من الكلمة إلى العالم، وشرط الصدق في الإثباتيات هو دائما الاعتقاد، فكل إثبات هو تعبير عن اعتقاد، وأبسط اختبار لتحديد هوية الإثبات هو أن نسأل ما إذا كان المنطوق صادقا أو زائفا»[2]، فقد تكون الأفعال الكلامية التأكيدية صادقة أو كاذبة؛ معنى هذا حسب سيرل Searle" أنه حتى الأفعال الوصفية (التي كان يعتقد أوستينAustin أـا غير إنجازية والتي تخضع لمعيار الصدق أو الكذب) هي أفعال إنجازية عند سيرل Searle" ـدف إلى إثبات صحة قول ما بدرجات مختلفة.

وتختلف شدة التأكيديات الحجاجية حسب تنوع أضرب الخبر التي تحدثت عنها البلاغة العربية في علم المعاني، والتي تراعي أحوال المتلقي؛ حيث تزداد قو ا كلما أضاف المتكلم أداة التأكيد، فإن لم يوظف المتكلم أداة التأكيد ذلك أنّ المتلقي يجهل الخبر المقدم له، واستعمال أداة توكيد واحدة – الخبر الطلبي- تعني أنّ المتلقي قد سمع الخبر لكنه يشك في صحته، أما استعمال أكثر من مؤكد –الخبر الإنكاري- فهذا يدل على إنكار المتلقي للخبر وعدم تصديقه. هذا الأمر يبرر كذلك سبب اعتماد المتكلم على العوامل الحجاجية التي تفيد التأكيد والتي سنتحدث عنها في الفصل الموالي.

يرى **برونذونر**Berendonner أنّ الإثبات هو«أن نضع القول محلّ الصدق أو الكذب، ولا يعني إيصال محتوى حقيقة معينة ولكن ضمانا... فالمتكلم يحمل المخاطب على الاهتمام بما يقول كما يفترض مسبقا بأنه مستعد لتمثيل ما هو مصرح به، ومن ثم فهو طامع في ثقة الآخر»[3]، ومعنى هذا أنه حتى الأفعال التي كان يسميها أوستين Austin أفعالا وصفية قد تكون إنجازية حجاجية لكون المتكلم يستعملها بقصد جعل المتلقي يصدق

---

[1] ترجم الدكتور سعيد الغانمي مصطلح Assertifs *بالإثباتيات، ينظر جون سيرل* العقل واللغة وا تمع الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، ص217-218 فيما اعتمدنا نحن مصطلح التأكيديات.

[2] جون سيرل: العقل واللغة وا تمع الفلسفة في العالم الواقعي ترجمة سعيد الغانمي، ص217-218.

[3] ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، ط2، ص127-128.

القضية المطروحة. كما أنّ كثيرا من الأفعال الإيضاحية والحكميات عند أوستينAustin تتفق مع التأكيدات؛ لأنّ لها نفس الغرض الكلامي.

ويظهر استعمال التأكيديات في قول الشاعر *الأمين العمودي:*[1]

خير خصال الفَتى حزم وإقْدام وشرها عن قَضاءِ الوطْر لَمحجام
نفْسِي تريد العلا والدهر يعكسها بالقَهر والزجر إن الدهر ظَلَّام
إن الزمانَ سطَا يِسطُوتـ ـه كَما سطَى عن ضعيف الوحشِ ضرغَام

الأفعال الكلامية هنا تأكيديات؛ حيث يفسر الشاعر خير الخصال والأخلاق وشرها، ويؤكد أنّ الدهر والزمان هما سبب بلائه وهو الذي يصده عن نيل مبتغاه من عز وعلا وهذا تفسير وتعليل، وتقوم التأكيديات على تأكيد الشحنة الإخبارية للمعلومات والأفكار والقناعات التي يتداولها الشاعر، فهو لا يخبرنا فقط عن خير الخصال والأخلاق وشرها وسبب مصائبه، ولكنه يقرر ويؤكد فكرته، والذي يبين ذلك حرف التوكيد:"إنّ" ولام التوكيد.

يقول **رمضان** حمود:[2]

فواجع الدهر أشكَالٌ وألْوانُ والمَرءُ عند حلُول الخطْبِ ولْهانُ
هي الحَوادث لا تنفَك تطْلُبه وفي الحَياة لَه حب وطُغيانُ
يسعى الفَتى وسرور العيش يخدعه في **كل آونة يغويه شيطَانُ**
يا سادرا يبتغي عيشا بلَا كدر مهلًا فَإنك بالنعماءِ نشوانُ
فالعيش لا شك بالويلَات ممتزج وجملَةُ العمر أفْراح وأحزان

معظم الأفعال الكلامية في الأبيات تأكيدية ذلك أنّ الشاعر يؤكد حقيقة الدهر الذي يمزج الفرح بالحزن فيوم لك ويوم عليك ويوم نساء ويوم نسر.

[1] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري الحديث، ص343.
[2] محمد ناصر: حمود رمضان حياته وآثاره، ص45.

أما البيت الذي يقول فيه:[1]

يا سادرا يبتغي عيشا بلا كدرٍ مهلًا فَإنك بالنعماءِ نشوانُ

فهذا البيت يدخل في صنف التوجيهيات؛ لأنه يجعل المتلقي يتمهل ولا يخدعه سرور العيش ونشوته.

2-2 التوجيهيات **Directifs:**

وهدف الأفعال التوجيهية هو محاولة جعل المتلقي يتصرف وفقا لتوجيه المتكلم له، و"يحاول تحقيق هذا الهدف بدرجات متفاوتة تتراوح بين اللين وذلك بالإغراء والاقتراح أو النصح، والعنف والشدة وذلك بالإصرار على فعل الشيء"[2]، غرضها الإنجازي هو جعل المتلقي يفعل شيئا ما للمتكلم يتلاءم مع المحتوى القضوي للتوجيه، مثل الأمر، الطلب، الدعاء وهدفها جعل العالم يطابق الكلمات«وشرط الصدق النفسي المعبر عنه هو دائما الرغبة، كل توجيه هو تعبير عن رغبة بأن يقوم المستمع بالفعل الموجه به. والتوجيهيات من طراز الأوامر والطلبات لا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، لكن يمكن أن تطاع أو مل أو يخضع لها أو تستنكر...إلخ».[3] وتتفق التوجيهيات مع بعض أفعال التنفيذية حسب **أوستين** Austin خاصة في إصدار الأوامر.

تتباين مقاصد المتكلمين وتتنوع بين توجيه المتلقي لإنجاز فعل ما ، أو إقناعه بأفكار أو أفعال ف«كل قول حتى ولو كان لفظا واحدا هو حجة حذف أحد عناصرها»[4]، فالتوجيه والحجاج مقصدان قد يضمرهما المتخاطبون ، كما قد يتم الإفصاح عنهما.

---

[1] محمد ناصر: حمود رمضان حياته وآثاره ، ص45.

[2] ينظر الشهري،استراتيجيات الخطاب، ص123.

[3] جون سيرل : العقل واللغة وا تمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، ص218.

[4] طه عبد الرحمن : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ص255.

والملاحظ أن **بيرلمان Perelman وتيتكا Tyteca** درسا التوجيهيات في إطار حديثهما عن منطلقات الحجاج في القسم الخاص بطريقة عرض المعطيات وشكل الخطاب ف«نجاعة العرض شرط ضروري لكل محاجة هدفها التأثير في جمهور السامعين بتهيئتهم للعمل المباشر سلوكا وبتوجيه أذهانهم وجهة معينة فكرا»[1]. ومن بين طرائق العرض تلك تحدث **بيرلمان** Perelman عن الصيغ التوجيهية في الحجاج وهي: التوجيه الإثباتي والتوجيه الإلزامي والتوجيه الاستفهامي والتوجيه بالتمني، ومن شأن هذه الصيغ أن تستعمل في الحجاج، وصيغة التوجيه الإلزامي هي الأمر، «لكن ليس لهذه الصيغة قوة إقناعية، وذلك على عكس ما قد يعتقد، إذ يستمد الأمر طاقته الإقناعية من شخص الآمر وليس من ذات الصيغة، ولهذا يتحول الأمر إلى معنى الترجي حين لا يكون الآمر مؤهلا شرعيا لتوجيه الأوامر»[2]، فمرتبة المتكلم هي التي تجعل لخطابه القدرة الإقناعية وليس في صيغة الأمر في حد ذا ا.

يعد الأمر تقنية من تقنيات التوجيه وفي هذا الصدد يرى **السكاكي** أنه إذا «كان الاستعلاء ممن هو أعلى مرتبة من المأمور استتبع إيجابه وجوب الفعل... ثم إنها تولد بحسب قرائن لأحوال ما ناسب المقام، إذا استعملت على سبيل التضرع كقولنا" اللهم اغفر لي وارحم" ولدت الدعاء، وإن استعملت على سبيل التلطف، كقول أحد لمن يساويه في المرتبة افعل بدون الاستعلاء ولدت السؤال والالتماس»[3]. فالأمر ليس محكوما بالوضع اللغوي فحسب، فمرتبة المرسل والمقام يسهمان في تحديد نوع الفعل الكلامي الذي تخرج دلالاته واستعمالاته من الأمر إلى أفعال كلامية غير مباشرة كالالتماس والدعاء والسؤال.

كما أنّ التوجيه الاستفهامي له قوة إقناعية كبيرة كونه «يفترض السؤال ويوحي بحصول إجماع على وجود ذلك الشيء. كما أنّ اللجوء إلى الاستفهام قد يهدف أحيانا إلى

1 عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات،ص33.
2 نفسه ، ص38.
3 مفتاح العلوم، ص428.

حمل من وجه إليه الاستفهام على إبداء موافقته-إذا أجاب- على ما جاء الاستفهام يقتضيه»[1]. يقول الشاعر **المولود محمد بن السعيد بن المهوب** (ولد1866م):[2]

إذا جار الزمانُ عليك يوما	**فصبرا فالزمانُ له مرور**
ولا تنظُر لحَادثَة ألّمت	**فإنّ القَرح يتبعه السرور**
وكُن متمسكًا باللهِ عقدا	**هو المعطي المُدبر والخَبِير**
علام المَرءُ تزعجه شئُونُ؟	**ويتلف عقْلُه منه الغرور؟**
أليس اليسر يأتي بعد عسر؟	**بِذَا أنبأ محمدنا البشير**
فَقُلْ لي يا رفيق القَلْبِ قُلْ لي	**أيجملُ أنْ يرى منك النفُور؟**
لَعمرك إنْ تكُن تبغي هناءً	**تمهل دونَ عسرك عسِير**
تجرع مر صبرٍ فَهو صعب	**فإنّ حلاوة الصبر الأخير**
ودع شكْواك للمخلُوقِ واشكُر	**إلها شكْره للقَلْبِ نور**

ففي هذه الأبيات أفعال توجيهية حيث استعمل الشاعر الطلب عن طريق القوة الإنجازية: النهي(لا تنظر) وكذا القوة الإنجازية الأمر (كن، قل لي، تمهل،تجرع، دع، واشكر) كما استعمل صيغة المفعول المطلق (صبرا، وتقديرها اصبر صبرا) داعيا مجتمعه إلى الصبر إذا جار الزمان، فإنّ الأيام لابد أن تنقلب ويزول حينئذ ما قد يكدر صفو العيش، وقد وظف الشاعر كذلك أفعالا عرضية توضيحية من خلال الاستفهام التقريري: "أليس اليسر يأتي بعد عسر؟" والاستفهام الإنكاري(فعل كلامي غير مباشر) "أيجمل أن يرى منك النفور؟" وتظهر التأكيديات من خلال أدوات التوكيد وفاء السببية؛ حيث تتضافر هذه الأفعال الكلامية مجتمعة لتحقيق الهدف الإنجازي ومقصدية الشاعر الهادف إلى تغيير بعض الصفات في المتلقي. يقول الشاعر **محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي**[3]:

[1] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ص38.

[2] محمد الطمار: الأدب الجزائري الحديث، ص344.

[3] نفسه، ص348.

شباب العصر شمر للمعالي فإن العز في هذا المآل
وبادر للحياة بلا توان ولا تكسلْ ولا تبخلْ بمال
فإن العلم أنفس من جمان ومن در ومن كل اللآلي
فلست ترى له أبدا مثيلاً فجد وكن على الأقران عالي
جمالك في بني الدنيا جميعا بعلمك لا بثوبك في الرجال
حياةُ الشعبِ في الدنيا إذا لم تكن بالعلم لا تبقى بحال
فشد بالعلم صرح العز واعلُ علو الشعبِ في جنح الليالي
وبلّغْ أمةً نامت طويلا أحاديثَ الجدود ذوي الخصال
وكن لسنا خطيبا ذا سجايا تبكت كل ذي مكر وقال

وحين نلاحظ الأفعال الكلامية التي تتكون منها هذه القصيدة الشعرية، فإنّ أغلبها يندرج ضمن التوجيهيات وغرضها الإنجازي طلبي؛ حيث استعمل الشاعر القوة الإنجازية النهي (لا تكسل، لا تبخل) والقوة الإنجازية للأمر (شمّر، بادر، جد وكن، فشد، واعل، بلّغ) فكانت درجة التوجيه الحجاجية شديدة، هذه الشدة تظهر من خلال الإصرار والإلحاح الذي يعتمد الشاعر، إنه يصيح بالشباب ويحضه على العلم، يدعوه دعوة ملحة إلى الأخذ بأسباب التقدم والرقي، ولا يرقى الشعب إلا إذا أخذ بتلابيب العلم، معتمدا في ذلك أفعالا تأكيدية ليثبت رأيه وفكرته، ولإغراء المتلقي في قوله(فإنّ العز في هذا المآل) وفي قوله (فإنّ العلم أنفس من جمان....) وأنّ جمال الإنسان وحياته بالعلم.

3-2 *الالتزاميات*Commissifs:

والغرض الإنجازي للالتزاميات هو التزام المرسل بدرجات متفاوتة بإنجاز فعل ما في المستقبل، ومن أمثلة الالتزاميات«المواعيد والنذور والرهون والعقود والضمانات ...[وهي] ضد مصلحة المستمع ولا يعود عليه بالنفع ... وشرط الصدق المعبر عنه هو دائما القصد على سبيل المثال كل وعد أو ديد هو تعبير عن قصد للقيام بشيء ما»[1]، واتجاه الملاءمة

[1] جون سيرل : العقل واللغة وا تمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، ص218.

فيها هو أن يطابق العالم الكلمات وهي توافق الوعديات عند "**أوستين**"Austin . والالتزاميات مثل التوجيهيات لا يمكن أن توصف بالصدق أو الكذب؛ بل يمكن أن تنفذ أو يحنث ا.

ومن أمثلة الالتزاميات قول **رمضان حمود**:[1]

فإنْ دمتم فيما أرى من تخاذُلٍ فلَن تبلغوا- والله- أعلى المَراتبِ

ففي سياق حديث الشاعر عن سبيل استعادة ا د والمفاخر يندد بالتقاعس والتخاذل عن نيل الفضائل والعلا مستعملا فعل الالتزاميات يحققه فعل التهديد (فلن تبلغوا) ومزجه بفعل تعبيري –حسب **سيرل**Searle ، سلوكي حسب **أوستين-** من خلال القسم (والله).

وفي إطار حديثه عن أعلى المراتب والمنازل مستعملا فعلا كلاميا التزاميا يقول **رمضان حمود**[2]:

وما المَرءُ إلا بالعلومِ معظم ولا نالَ بِالإهمالِ أعلى المَنازلِ

ففي صدر البيت فعل توجيهي –وهو فعل كلامي غير مباشر- جاء باستعمال أسلوب الحصر، ويقصد الشاعر (اطلب العلم لتنال عظمةً)، وفي عجز البيت استعمل فعلا التزاميا من خلال التهديد (إن أهملت العلم فلن تنال أعلى المراتب) .

كما يقول **رمضان حمود**:[3]

ومن لَم يذُق طَعم الرّدى بِنِضاله سيشكُو الأذَى والدمع من عينِه يجري

فالشاعر هنا كذلك يدعو إلى النضال (بفعل كلامي غير مباشر توجيهي) هذا في صدر البيت الذي يمثل الشرط أو السبب أما في عجزه الذي يمثل الجزاء أو نتيجة للمقدمة

---

[1] شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص174.

[2] شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص174..

[3] نفسه، ص176.

الصغرى ـديدا ووعيدا (سيشكو الأذى والدمع من عينه يجري) إنه فعل كلامي التزامي هذه النتيجة ستصبح بدورها مقدمة كبرى لفعل استنتاجي آخر يترك مهمته للمتلقي (إذن علي أن أناضل حتى الموت).

4-2 *التعبيريات* Expressifs:

والهدف من التعبيريات هو«التعبير عن حالة سيكولوجية محددة»[1]، وشرط هذه الحالة النفسية هو عقد النية والصدق في محتوى الخطاب؛ أي التعبير عن شرط صدق الفعل الكلامي ومن أمثلتها: الاعتذار والشكر والتهنئة والنقد والقسم مواساة وترحيب، يقول **سيرل** Searle :«والنماذج على التعبيريات هي الاعتذارات والتشكرات والتهاني والترحيبات والتعزيات والمحتوى الخبري في التعبيريات من الناحية النمطية ليس له اتجاه ملاءمة؛ لأن حقيقة المحتوى الخبري يسلم ـا فحسب»[2]، فلا يجعل المتكلم- بالتعبيريات - الكلمات مطابقة للعالم ولا العالم مطابقا للكلمات، و«في حالة التقدير Appréciation فإنّ المتكلم لا يحكم على أقواله من وجهة نظر واحدة وهي درجة تحققها ولكنه بأحكام قيمية وبموقعها إزاء مجموعات متقابلة الحسن/السيء، المدح/الذم إلى جانب العبارات التي تخلو من الضمائر ... كقولنا: إنه مسرور، إنه لا يحتمل...وظروف الجملة: لحسن الحظ...واحسرتاه... وأنواع الشتم... ولو بلفظة واحدة يمثل قولا مثل: خسيس... تدل على نوع من السلوك وتحمل المتكلم على اتخاذ موقف إزاء المخاطب مثلها مثل الأفعال (أهنئك، أشكرك...)»[3].

وهذا يعني أنّ التعبير عن الحالة السلوكية لا يكون فقط بالأفعال؛ بل كذلك بالنداء الذي يفيد الندبة أو المصدر الذي يمثل حكما من أحكام القيمة، أو الجمل الاسمية ... المهم أن تدلّ على موقف المتكلم التعبيري، والملاحظ أنّ التعبيريات توافق إجمالا السلوكيات في تصنيف "أوستين"Austin .

---

[1] صالح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد،ص234.

[2] جون سيرل : العقل واللغة وا ـتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، ص219.

[3] ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص128.

يقول الشاعر عمر بن قدور الجزائري:[1]

عجيب من الأيام ذلة مصلحٍ وعزةُ مغرورٍ له الشر سلم
عظيم على نفْسِ اللبِيبِ مذَلّةٌ تدوس نفوساً تستهاض وتظْلَمُ
ولَكن مجاري الدهر دقت لحكْمة فَركْن الوفَا بين العباد مهدّم
فلَو لَاح سر المَرءِ أصبحَ كُل من جفَا مصلحاً يوما علَيه يسلّم

الأفعال الكلامية هنا تعبيرية؛ لأن الشاعر يعبر عن حالته النفسية بتعجب لما آلت إليه الأمور في بيئته، فالمصلح فيها غريب يعاني قساوة الغربة وثقل الرسالة الإصلاحية.

يقول **محمد العيد آل خليفة** في قصيدة "لا أنسى":[2]

فَيا لك من خطبٍ تعذّر وصفُه فلم تجرِ أقْلام بِه فَوق قرطَاسِ
ولا خير في عد المظالم وحدها إن لم تبِن عن مرهفَات أتراسِ
سئمنا من الشكْوى إلى غير راحمٍ وغير محق لا يدين بِقُسطَاسِ

وسياق هذا القول هو مأساة الثامن ماي 1945 التي راح ضحيتها قرابة خمسة وأربعين ألف شهيد؛ لأنم نادوا بحرية الجزائر، وهذه المأساة خلفت في نفس الشاعر وفي نفس كل جزائري جراحات لا تنسى... فيعبر الشاعر عن أزمة نفسية قوية بواسطة -أفعال كلامية تعبيرية "فيا لك من خطب، سئمنا، لا خير، غير راحم، غير محق، لا يدين بقسطاس- جاءت بصيغ مختلفة بالنداء والفعل والجملة الاسمية ... وأزمته النفسية تلك أدت به إلى العجز عن وصف المأساة وهولها ويستخلص حكمة مفادها: لا جدوى من ذكر المظالم دون أن يصحب ذلك الاستعداد المطلوب للانتصاف من المظالم، وهي دعوة غير مباشرة –أي فعل كلامي غير مباشر توجيهي- فمن أجل نيل الحرية ينبغي الجهاد والقوة لا

[1] صالح خرفي: عمر بن قدور الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتب الجزائر سلسلة الأدب الجزائري الحديث 1984 ص45.
[2] الديوان، ص326.

بالمطالبة السياسية، فما أُخِذَ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة، وهذا ما يجسد لنا امتزاج الأفعال الكلامية.

ثم يعبر الشاعر عن حالة السأم والملل من الشكوى إلى مستعمر ظالم كافر، فهو تحريض ضمني على رفع السلاح لمحاربة المحتل بعد أن وصفهم الشاعر بعديمي الرحمة وهاضمي الحقوق، وهذا يقتضي فعلا استنتاجيا من طرف المتلقي هو ضرورة البحث عن حل آخر غير الشكوى كونا لا تجدي نفعا ولا تحقق مأربا. وحين يستنتج المتلقي هذا الأمر يكون الشاعر قد نجح في تحقيق الفعل الحجاجي المضمر في الخطاب.

ويقول **رمضان حمود** موظفا الأفعال الكلامية التعبيرية:[1]

كفَانا كفَانا فالحَياة تبدلت ... ألا اختاروا ما يحلُو بخير الوسائلِ

فسِيروا حثيثًا، واستردوا فخاركُم ... فبئْست حياة المَرءِ تحت الأداهم

تظهر الأفعال التعبيرية في قوله (بئست حياة المرء...) لأنّ الشاعر يذم الذل والهوان، ودور هذا الفعل الحجاجي هو تحقيق الفعل التأثيري عن طريق جعل المتلقي يخجل من فعل الذم هذا؛ بل ويحس بتأنيب الضمير، فينهض للتغيير، ويستعمل الشاعر الأفعال التوجيهية المباشرة تجسدها أفعال الأمر(اختاروا ،سيروا، استردوا) حاثا المتلقي على طلب الفضائل والعلا، واستعادة المفاخر الوطنية. ومن أمثلة التعبيريات كذلك قول الشاعر **محمد السعيد الزاهري**[2]:

إذا جر صرف الحَادثَات إلى العلا ... فَأهلاً بصرف الحَادثَات ومرحبا

والشاعر يعبر عن حالته النفسية بهذا الفعل التعبيري "الترحيب" غير أنّ ترحيبه مجازي، فهو لا يرحب بشخص معين؛ بل بشدة المصائب ليدل على صبره لنيل العلا.

[1] شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص174.

[2] شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص154.

2-5- *التصريحيات* **Déclarations:**

والغرض الإنجازي من التصريحيات هو: إحداث تغيير في الواقع عن طريق الإعلان، واتجاه المطابقة فيها مزدوج جعل العالم يطابق الخطاب والخطاب يطابق العالم، مثل: أعلن، أصرح، ألاحظ ..«وتنفرد التصريحات بين الأفعال الكلامية بكونا تحدث التغييرات في العالم فقط بفضل الأداء الناجح للفعل الكلامي[1]».

ومن أمثلة التصريحات يقول الشاعر **السعيد الزاهري**: [2]

فَلَقَد رأيت الرزق يم نِعه أخو الرأيِ السديد
ورأيت ذَا الحُمقِ الجَهو لِ منعما وهو البليد

فالشاعر يدْلي برأيه حول الرزق فيرى أنّ صاحب الرزق هو البليد الغبي الجاهل الأحمق أما العاقل صاحب الرأي السديد فلا رزق له. وهنا يتبين لنا أنّ مطابقة هذا الفعل الكلامي للواقع ربما كانت في محيط الشاعر الخاص به وليس الأمر سيان في كل الحالات، فهل يكون الغني جاهلا غبيا دائما؟ وهل يكون الفقير عالما ذكيا دائما؟يقول **رمضان** حمود :[3]

إن سالَمتك الليالي، فارتقب حربا فَصمتها هو الإنذَار إعلَانُ

يرى الشاعر أنّ الحياة إن سرتك حينا فهي تعلن الحرب؛ لأنّ العمر تمتزج فيه الأفراح والأحزان. ونلاحظ أنّ اتجاه المطابقة المزدوج بين الواقع والكلمات مجازية فالإعلان هنا جاء على لسان الحياة. والفعل التأثيري جعل المتلقي يقتنع بعدم الانخداع بسرور العيش.

ويمكن تلخيص تصنيف **سيرل**"Searle"كما يلي: «لو اتخذنا الهدف الغرضي بوصفه فكرة محورية نصنف ا استعمالات اللغة، لوجد إذن عدد محدود إلى حد ما لأشياء أساسية نفعلها باللغة، نخبر الناس كيف توجد الأشياء، ونحاول التأثير عليهم ليفعلوا أشياءً، ونلزم

[1] جون سيرل: العقل واللغة وا تمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ص219-220.
[2] شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج1، ص160
[3] محمد ناصر: رمضان حمود حياته ومآثره ص171.

أنفسنا بفعل أشياءٍ، ونعبر عن مشاعرنا ومواقفنا، ونحدث تغييرات بواسطة منطوقاتنا، وفي أحوال كثيرة نفعل أكثر من واحد من هذه الاستعمالات بمنطوق بعينه في آن واحد»[1]، وإنّ قدرة الشخص على فهم أفعال الكلام وإنجازها هي التي تجعله يعرف الطريقة التي تستخدم ا هذه الجمل لإطلاق الأحكام أو إلقاء الأوامر أو الوعود...أو غير ذلك.

قد يكون لأفعال الكلام دورا حجاجيا وقد لا يكون لها ذلك الدور، وهذا الأمر يتوقف على غرض الخطاب والاستراتيجية التخاطبية التي يتوخاها المرسل في خطابه ف«يبدو أنّ الإيقاعات الابتدائية (أو جل ألفاظ عقود) ليس لها ذلك الدور في كثير من مقامات الإيقاع الابتدائي، بخلاف التقريريات (خاصة التأكيد والادعاء) لكن بعض الإيقاعات (مثل فعل الشهادة) لها دور حجاجي إذا ما توفرت لها الشروط التحضيرية التي تحدث عنها **سيرل**Searle" والأمر في الأخير محكوم بالأغراض التخاطبية التي كثيرا ما تكون فيصلا في إثبات حجاجية فعل الخطاب من عدمها»[2]. إذن قد يكون اختلاف المعنى راجع إلى استخدامين مختلفين للفعل الكلامي.

وحسب تصنيف **سيرل**Searle" الذي يفرق بين خمسة أقسام للإنجاز: الإخباريات، والتوجيهيات، والالتزاميات، التعبيريات، والإعلانيات، نلاحظ أنّ التوجيهيات والالتزاميات هي الأكثر ارتباطا بالحجاج؛ لأنّ الغرض الإنجازي للفعل الكلامي الذي يبتغيه متكلم ما بمنطوقه من خلال التوجيهيات: ينبغي أن يحمل السامع على فعل عمل شيء ما أو إنجازه، والالتزاميات أيضا غرضها أن يلزم المتكلم نفسه بفعل ما في المستقبل ، فيلتزم بسلوك معين.

ولكل من الأفعال الإنجازية وظيفة، فوظيفة التأكيديات هي العرض والإبلاغ، وتأكيد الخبر وإحراز التصديق، أما التعبيريات فوظيفتها التعبير والوصف، في حين أن وظيفة الإعلانيات أو التصريحيات هي الإعلان والتصريح بموقف ما، بينما التوجيهيات فوظيفتها

[1] صالح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص237-238.

[2] مسعود صحراوي: في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، ص61.

الاستثارة والتأثير، كما أنّ وظيفة الالتزاميات هي الالتزام بفعل شيء ما في المستقبل عبر الوعد أو التهديد.

3 - الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة:

كثيرا ما يراد بالأسلوب غير ما تلفظ به، فلا يؤدي الخبر الإفادة ولا الأمر والنهي طلب الفعل، ولا الاستفهام طلب العلم بكنه شيء لا يعلمه السائل، إذ تأتي لتأدية أغراض ومعان لا يعبر عنها باللفظ؛ بل يفهمها المتلقي من السياق عن طريق إجراء عمليات ذهنية، والاستعمال هو الذي يميز القول الصريح عن الضمني.

يقول **سيرل**Searle «يوجد بعض المواقف (الحالات) التي يتمكن المتكلم من خلالها من قول جملة وهو لا يريد ا معناها الظاهر، ويدل ذلك على مقولة ذات محتوى إسنادي مغاير»[1]، ثم يردف ذلك بمثال... فيقول: "يمكن للمتلفظ أن يتلفظ بجملة: هل بإمكانك أن تناولني الملح؟ ولكنها لا تدل على المعنى الظاهر والممثل بالاستفهام، بل يتم فيها الانتقال من المعنى الظاهر (الصريح) إلى معنى آخر، وهو الطلب بتقديم الملح[2].

إنّ إنجاز الأفعال الكلامية قد يكون بالمعنى الحرفي المصرح به في الجملة، كما قد يكون إنجازها ضمنيا غير مباشر ف«لا تؤدى جميع الأفعال الكلامية بنطق جمل يعبر معناها الحرفي عن المعنى الذي يقصده المتكلم ... [فقد] يؤدي ..المرء فعلا كلاميا بصورة غير مباشرة ... تسمى بالأفعال الكلامية غير المباشرة وهناك أنواع أخرى من الحالات، حيث يختلف معنى الجملة نسقيا عن المعنى الذي يقصده المتكلم، تشمل الاستعارة والكناية والسخرية والتهكم والتهويل والتهوين»[3]. والأفعال الكلامية المباشرة «هي التي يكون معناها مطابقا لما يريد المرسل أن ينجزه مطابقة تامة، والدالة على قصده بنص الخطاب وذلك يتبلور

---

[1] J.L. Searle, Sens et expression, traduction : Joëlle Proust, Edition de minuit, Paris (1972), P. 71.

[2] Voire. [2] J.L. Searle, Sens et expression, traduction : Joëlle Proust, P. 71.

[3] جون سيرل : العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي ص220-221.

في المستوى المعجمي وكذلك في المستوى التركيبي»[1]، بيد أنه يمكن للمتكلم إنجاز فعلٍ خطابيٍ دون تصريح بإنجازه و ذا يتفق مع أوستينAustin بأنّ هذه الطريقة الطبيعية للمخاطب لا يلجأ إلى الصيغة التصريحية إلا إذا استدعى السياق ذلك ومثال الملفوظين الآتيين:

(1) إنا تمطر

(2) إني أبلغك أنا تمطر.

في الملفوظ (1) ثمة إبلاغ وإخبار، أما في الملفوظ الثاني (2) فالمرسل لا يكتفي بإخبار المرسل إليه؛ بل يضيف تنبيها إلى أنه قد بلغه الرسالة، وقد يتجاوز ذلك مجرد التنبيه إلى الإشارة إلى المتلقي باتخاذ الاحتياطات كارتداء المعطف مثلا.

ثمة بعض الأفعال الكلامية التي تتحول حال التلفظ ا من الإنشاء إلى وضع الخبر مثل (أناك عن كذا) بدل (لا) وقد تتجلى الأبعاد التداولية في كيفية استعمال الملفوظات حينما يتعلق الأمر بصيغ الآداب؛ حيث إن« الملفوظات الآداب ترمز للعلاقة بين المرسل وبيننا بوصفنا مرسلا إليه، فقد تتوقع من شخص لا نعرفه، معرفة جيدة، أن يصوغ طلبه قطعة ورقة على الشكل الآتي: رجاءً هل يمكن أن تعيرني قطعة صغيرة؟ في حين قد يصوغها شخص آخر لنا به معرفة وطيدة كالأخ الأكبر بطريقة مباشرة فيقول: أعطني قطعة ورق، وطبيعة علاقتنا بالأشخاص هي التي ستحدد ردود أفعالنا، فإذا تلفظ الشخص الذي لا علاقة لنا به بالصيغة التي يفترض أن تكون صادرة عن الشخص الذي نعرفه سيحدث سوء فهم وسيزعجنا لفظه»[2].

قد يكون الخطاب مباشرا أو تلميحيا؛ لذلك ميز **"سيرل"**"Searle" بين الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، وقد وضع مقاييس لنجاح الفعل الإنجازي منها؛ غاية

[1] جيرار دولودوال: جدويل ريطورري: التحليل السيميوطيقي للنص الشعري: ترجمة عبد الرحمن بوعلي، ط1، مطبعة المعارف الجديدة 1994، ص31-32.

[2] جيرار دولودوال: جدويل ريطورري: التحليل السيميوطيقي للنص الشعري: ترجمة عبد الرحمن بوعلي، ، ص25.

القول، توجيهه، وحالته السيكولوجية...[1] وسماها شروط النجاح، ويستند فيها إلى قوانين المحادثة ل"غرايس"Grice، ودلالة الجمل على الشرط أو الاستفهام أو النفي تتم باستخدام الأداة التي تحمل وظيفة الجملة أو الأسلوب، فهذه الجمل في الحقيقة «لا يدرك معناها الوظيفي إلا باستخدام الأداة الخاصة بذلك المعنى، باستثناء جملة الإثبات وجملة الأمر حيث يتم ذلك عن طريق الصيغة»[2]، وتلك الأدوات قد تؤدي إلى إنجاز أفعال كلامية مباشرة كما قد تؤدي أفعالا كلامية غير مباشرة.

وبالنسبة للأفعال الكلامية غير المباشرة، فقد «يرمي المتكلم من خلال قوله إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي؛ مثلما هو الشأن في التلميحيات والسخرية والاستعارة وحالات تعدد المعنى...»[3]، تمثّل الاستعارة والأقوال ا ازية فعلا كلاميا غير مباشر ومن أجل تفسير الجملة الاستعارية ميز "**سيرل**"Searle" بين معنى المتكلم الذي يقصده، ومعنى الجملة، وهذان المعنيان لا يتطابقان، فالمتكلم يقول شيئا ويقصد شيئا آخرا، ولقد«حدد "سيرل"Searle مصطلحين أساسيين استخدمهما في معالجة هذا الجانب من مشكلة الاستعارة، وهما مصطلح (معنى منطوق المتكلم) و(معنى الجملة)، ورأى أنّ المعنى الاستعاري هو معنى منطوق المتكلم.[4]

ويعد الاستفهام من الأفعال الكلامية التي يستعملها المتكلم لأغراض حجاجية إقناعية؛ قد يكون فعلا كلاميا مباشرا يقصد منه جوابا صريحا من طرف المتلقي، وبالتالي إجباره على المشاركة في الحوار وتوجيهه، وقد يكون فعلا كلاميا غير مباشر؛ إذ «إنّ طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما، إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما، كما يمكن أن يلطّف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف، إذا كان

---

[1] ينظر فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ص63.

[2] حلمى خليل :الكلمة دراسات لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية ،الطبعة الثانية، ص62.

[3] فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر حباشة، ص68

[4] معنى منطوق المتكلم: هو ما أسماه عبد القاهر الجرجاني "بمعنى المعنى"، وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنه قد تم الحديث عن الأقوال ا ازية والاستعارة ودلالا ا الحجاجية بإسهاب في الفصل السابق كونا تتميز بالقدرة الإقناعية ، لذلك لم نمثل لها في هذا الفصل تفاديا للتكرار. المهم أن الاستعارات هي أفعال كلامية غير مباشرة لأنا تحمل معنيين معنى ظاهر وآخر خفي يستدل عليه.

المخاطَب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم»[1]، فقد لا يكون قصد المتكلم من سؤاله البحث عن جواب؛ بل إقرار أمر، أو طلب شيء... وهو ما عبر عنه أصحاب التداولية بالفعل الكلامي غير مباشر.

ومن أمثلة الأفعال الكلامية غير المباشرة قول **رمضان حمود**:[2]

سمعت أن السجن أضيق من قَبر فألْفَيت قَعر السجنِ أحسن من قَصر

فماذَا يفيد القَصر والقَلْب حائر وماذا يضرّ السجن من كَانَ ذَا قَدر؟

فالشاعر من خلال الفعل التأكيدي في البيت الأول بعد الإثبات ينفي ضيق السجن مستعملا جملة خبرية يقصد ا النفي دون استعمال أداة نفي، فهو فعل كلامي غير مباشر في ظاهره إخبار ولكنه يقصد به النفي؛ لأنه يفهم منه تقبل الشاعر للسجن الذي يتعرض له المناضل الأصيل، ويعتبر ذلك بديلا طبيعيا لحالة الذلّ والخنوع، ولو كانت داخل القصور الفخمة، فهو يخبر المتلقي ويؤكد له أنه بعد تجربته الخاصة وجد السجن أحسن من قصر؛ فبالرغم من الآلام والمحن والسجن يدعو إلى الإصرار وعلى النضال والثبات على الكفاح بطريقة مضمرة،كون السجن لا يضره في شيء؛ لأنه صاحب مبدأ سامي، موظفا الاستفهام بالأداة ماذا" مرتين ، وكان هذا الاستفهام إنكاريا يجعل المتلقي يجيب بالنفي والإنكار، وبالتالي توجيهه الوجهة التي يبتغيها الشاعر.

وقد يكون الاستفهام سؤالا محضا (فعلا كلاميا مباشرا)، وقد يكون إنكاريا أو تقريريا أو توبيخا، وقد يقصد من الاستفهام طلب التصديق، وهو فعل إنجازي حجاجي يهدف إلى التأثير في المتلقي ليدعم رأي المتكلم.

فحينما يكون استفهاما محضا فهو فعل كلامي مباشر يقصد به المتكلم استفسارا وطلبا للإجابة، أما حينما يكون تقريريا أو إنكاريا أو توبيخا... فيؤدي بذلك أفعالا كلامية

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص483-484.

[2] شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص176.

غير مباشرة؛ ويتم تحديد نوع الاستفهام بحسب غرضه في سياقه التواصلي، حيث يكون التقرير حين يعلم المتكلم مسبقا بأن المتلقي لا يخالفه في الإجابة، وحين يتوقع المتكلم إجابات المتلقي، تكون أسئلته أكثر إقناعا.

ومعنى الاستفهام التقريري «حملُك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عندك»[1]. وتكمن وظيفة هذا النوع من الاستفهام في الحجاج أنه يستوجب من المخاطب إعمال ذهنه، حيث يعلم مسبقا أنّ المتكلم لا يقدم له هذه الأسئلة بغرض الإجابة، فإنه يبحث فيما يقتضيه الاستلزام الحواري للأسئلة المطروحة؛ ومن هنا تكون «الأسئلة أشد إقناعا للمرسل إليه، وأقوى حجة عليه»[2]، يقول الشاعر **محمد اللقاني بن السائح**:[3]

1-الناس بالعلْم نالُوا كُل مكْرمة	**ونحن بِالجَهل لا يرجى تلاَقينا**
2-كُل المَسائلِ أوهام مخيمةٌ	**فالحُلْم يشبِعنا، والوهم يردينا**
3-ألم نكُن أمةً أعلَى الورى حسبا	**ألم نكُن أمّة أزكَى الورى دينا؟**
4-ألم نكُن أمةً جاءَ الكتاب لَها	**نورا وتبصرةً يهدي المُضلينا؟**
5-ألم نكُن أمةَ العربِ التي فَتحت	**وسيرت أسد الهَيجا موالينا؟**
6-ألسنا من معشرِ دانَ الزمانُ لَهم	**ودوخوا الأَرض تنظيما وتمدينا ؟**

فالاستفهامات الواردة في القصيدة هي استفهامات تقريرية إنا أفعال كلامية غير مباشرة، يهدف الشاعر من خلالها إلى جعل المتلقي يقر ويؤكد رأيه ويقدم الحجج من أجل الإقناع فالفعل اللفظي استفهام، والفعل الإنجازي تأكيديات، أما الفعل التأثيري فهو إحراز اقتناع المتلقي بأنّ أمة العرب أمة الدين والفتوحات والعلم والتمدن والتنظيم قادرة على استرداد مجدها بالعلم وحده، وهذا ما يؤكده قوله في الأبيات الأربعة الأخيرة "ألم نكن أمة... ألسنا من معشر".

---

[1] مكلي بوشامة : الحجاج في شعر النقائض، دراسة نصين لجرير والفرزدق، دار ميم للنشر ، الجزائر 2010. ص67.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص484.

[3] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1 ص109-110.

وتظهر الاستفهامات التقريرية كذلك في قول الشاعر **رمضان حمود**:[1]

أتحسب العمر شيئًا لا فناءَ لهُ؟ لا تغترر، فغرور المرءِ خذْلانُ

فالشاعر يعرف مسبقا أن المتلقي لا يخالفه الرأي في الإجابة، فهو يسعى إلى تأكيدها وتقريرها لذلك فليست سؤالا محضا؛ بل فعل كلامي غير مباشر إنه استفهام تقريري.

ومن معاني الاستفهام إلزام المتلقي الإجابة والتزام المتكلم التيقن من المحتوى القضوي، أما الاستفهام الإنكاري فيقوم «على المحافظة على الإلزام بالإجابة دون التزام بعدم اليقين؛ بل إنّ المستفهم المنكر يعتقد في خلاف المحتوى القضوي، ولكنه يترك للمخاطب التصريح به وتقريره ليكون الإلزام من جهتين: جهة الإجابة بحسب قواعد المحادثة وآدا ا، وجهة تبني وجهة نظر المتكلم التي لم يعرضها مثبته أو على سبيل توكيد الإثبات حسب ما يقتضيه مقام الإنكار»[2]. فيستعمل المتكلم الاستفهام الإنكاري لإلزام المتلقي بالإجابة التي لم يصرح ا.

يقول **رمضان حمود** في قصيدة(علام نلوم الدهر) اقتصرنا على الأبيات التي يستعمل فيها الاستفهام:[3]

علام نلُوم الدهر واللهُ عادلٌ وننسب للأيامِ ما هو باطلُ؟
ونملأُ وجه الأرض رطْباً ويابِسا بكَاءً وهلْ تجدي الدموع الهَواطل؟...
ونبغي حياة العز والجَهلُ دأبنا وهلْ نالَ عزا في البسِيطَة جاهل؟...
فكَيف يقينا اللهُ من سوءٍ بطْشه وما هو عما يفْعلُ العبد غَافلُ

وقد استعمل الشاعر مختلف الأدوات اللغوية من الاستفهام(علام، هل، وكيف) التي ربطت بين تراكيب خطابه، وأسهمت في انسجامه وفي جعله خطابا حواريا بينه وبين المتلقي

[1] محمد ناصر : حمود رمضان، حياته وآثاره، ص183.
[2] شكري المبخوت تحليل حجاجي لظاهرة بديعية ، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الحجاج والمراس الجزء4، عالم الكتب الحديث، الأردن 2010م، ط1،ص163.
[3] صالح خرفي: حمود رمضان ، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث، ص89-90.

مبنيا على المساءلة،كما أسهم تنويع أدوات الاستفهام في تنويع الأفعال الكلامية؛ بل وكانت الحجج بعينها، فاستعمل الاستفهام الإنكاري باستعمال الروابط الحجاجية: "علام، وهل، وكيف" والشاعر لا يقصد ا السؤال؛ بل الإنكار ولا يطلب من المتلقي الإجابة بنعم أو لا؛ بل إن طرح هذا الأسئلة تمثل أفعالا كلامية غير مباشرة.

وكان قصد الشاعر حجاجا ضمنيا، فامتزجت التأكيديات مع التوجيهيات – حسب تعبير **سيرل**Searle - لأنّ الشاعر يؤكد ويوجه في الآن ذاته، فهو يستعمل استفهاما إنكاريا لينفي المحتوى القضوي (فعل كلامي غير مباشر) ويلزم مخاطبه على الإجابة الآتية: أنه لا ينبغي أن نلوم الدهر ولا أن ننسب للأيام ما هو باطل؛ لأنّ الله عادل في قضائه، كما أنّ البكاء لا يجدي نفعا، ولن يقينا الله سوء بطشه؛ لأنه ليس غافلا عما يفعل العباد، كما تظهر التأكيديات بالإخبار والنفي (والله عادل... ونملأ وجه الأرض رطبا ويابسا... ونبغي حياة العز والجهل دأبنا... وما هو عما يفعل العبد غافل)، وهذا يدلّ على أنّ الشاعر يقرر الحالة الراهنة ويثبتها ولا يخرج نفسه من دائرة الا ام حين يستعمل ضمير الجمع (نحن) ثم يجعل المتلقي ينكرها فيغير ما بنفسه، فلا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وهذا كله من أجل تحقيق الفعل التأثيري.

كما وظف الشاعر **محمد السعيد الزاهري** الاستفهام الانكاري في قوله:[1]

امضِ لحالك قُدما يا أخا الهمم	في **خدمة الشعبِ لا تعتب ولا تلُم**
ولا يهمك ممن يحسِدونك إنْ	**لم يعرفُوا لَك من فَضل ومن كرم**
لو لم يروك أخا نعمى لَما حسدوا	**علاك ، فالمَرءُ محسود علَى النِّعم**
يكْفي من الناسِ أنْ يرضاك بعضهم	**من ذَا ينالُ رِضاءَ الناسِ كُلهم؟**

استعمل الشاعر الاستفهام الإنكاري بواسطة الأداة (من) الاستفهامية (من ذا ينال رضاء الناس كلهم ؟) ليجيب المتلقي أنه لا يمكن نيل رضا الناس كلهم؛ لأنّ رضا الناس

---

[1] شعراء الجزائر في العصر الحاضر: ج1، ص171.

غاية لا تدرك، فكان هذا الاستفهام الإنكاري فعلا كلاميا غير مباشر، أما الأفعال الكلامية الأخرى فكانت معظمها توجيهية بواسطة قوى إنجازية مختلفة بين الأمر (امض) والنداء التنبيهي (يا أخا الهمم) والنهي (لا تعتب، لا تلم، لا يهمك)، كما وظف التأكيديات باستعمال أداة الامتناع (لو) المرفقة ب(لم) النافية ولام التوكيد المرفقة ب(ما)النافية، فتوجه الخطاب إلى الإثبات بدل النفي (لو لم يروك أخا نعمى لما حسدوا علاك) فالحسد نتيجة لما له من نعم وفضل وكرم.

يقول الشاعر **محمد السعيد الزاهري**[1]:

وليس عزيزا أنْ ينالَ مراده أخو عزمة يحكي الحُسام المُشطبا
ومن أين يلْقى غَافلٌ ما يوده إذَا كَانَ لم يملك من الجد مكْسبا

فالسؤال (من أين يلقى غافل ما يوده؟) فعل كلامي غير مباشر، فالشاعر لا يقصد به السؤال عن المكان؛ بل إنه استفهام إنكاري يهدف الشاعر من خلاله إلى جعل المتلقي يجيب بالإنكار (لن يلق الغافل ما يوده لأنه ليس صاحب عزيمة).

وقد يؤدى الفعل الكلامي غير المباشر بالإخبار أو التأكيديات كما يسميها **سيرل** Searle ومثال ذلك قول الشاعر **الطيب العقبي**[2] :

شر الورى من عاش طُولَ حياته في الخَمر منهمكًا وفي لَذاته
لا يرعوي في غَيه وضلاله وإذَا انتشى فَإلى الشقَاءِ بِذَاته
أشقَى ذَوِيه، ووالديه وزوجه وبنوه قَد تعبوا، وكُل بناته
قَد ضيع الدنيا وأذْهب عقْلَه والدين أصبح من كبار عداته
إن عاش فَهو إلى الضلالَة سائر أو مات كَيف يكُونُ بعد مماته؟

---

[1] نفسه: ج1، ص155

[2] شعراء الجزائر في العصر الحاضر: ج1، ص243.

يسطُو على جِيرانِه في سكْرِه وإذَا صحا لَم يأمنوا عثَراته
وكَفَاه من خزيٍ مقَالَةَ قَائلٍ (لا تصحبِ السكْران في حالاته)

فالشاعر من خلال هذه الأفعال الكلامية التي يوظفها يؤدي معنيين : المعنى المنطوق هو مجرد إخبار بحالة الشخص الشقي الذي ينغمس في اللذات والمسكرات، أما الأفعال الكلامية غير المباشر فهي عبارة عن أفعال توجيهية بدرجة قوية شديدة لكون الشاعر يعتمد توبيخا لهذا الشخص، وفي توظيفه للاستفهام (كيف يكون بعد مماته) هنا فعل كلامي مباشر؛ لأنّ الشاعر ينتظر الإجابة من المتلقي وتكمن حجاجيته في كونه يتوقع الإجابة مسبقا فهو لا يتساءل عن شيء يجهله؛ بل يوجه المخاطب إلى الإجابة الآتية توجيها، وحين يجيب المتلقي: (سيكون بعد مماته شقيا) يكون هذا الفعل الكلامي ناجحا، وحين يبتعد المتلقي عن هذا الفعل ويجتنبه حتى لا يكون شقيا يكون الفعل الحجاجي قد حقق هدفه الإقناعي.

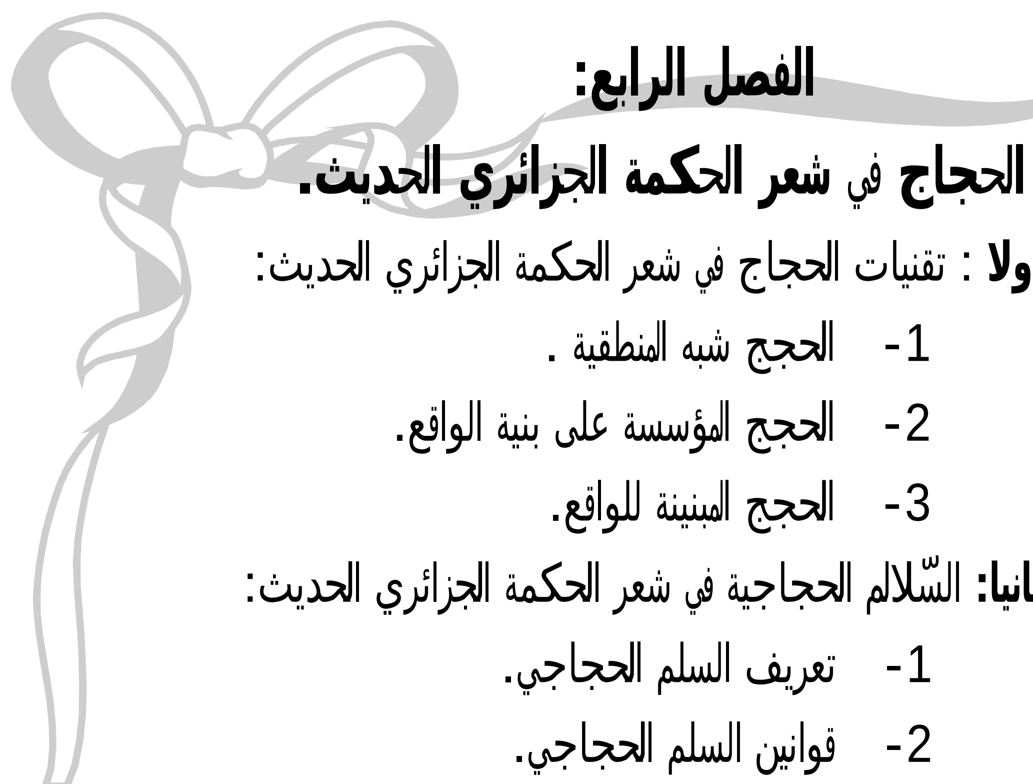
ونتيجة لما سبق فإنّ الدراسة الحجاجية للمدونة المختارة من الشعر الجزائري الحديث تكشف عن جملة من الأفعال الكلامية التي يوظفها الشاعر من أجل توجيه الخطاب الوجهة التي يقصدها، وجعل المتلقي يستنتج فكرة الشاعر ويتبعها وفق عمليات استلزامية، فكان مراعيا لظروف المتلقي واستعداداته -كونه يخاطب مجتمعا طغت عليه الأمية بسبب الاستعمار الذي كان يهدف إلى القضاء على اللغة العربية وطمس الشخصية الجزائرية- ابتغاء تحقيق أهداف حجاجية المتمثلة في النصح والإرشاد والإصلاح، وهذا يدلّ على أنه كان حريصا على نجاح أفعاله الكلامية وتحقيق التأثير المطلوب.

أكثر الشاعر الجزائري من الأفعال التوجيهية والعرضية، والتي تكمن حجاجيتها -في النماذج الشعرية المستشهد ا- في أغراض الوعظ والإصلاح وتغيير سلوك المتلقي وموقفه، ودفعه إلى العمل، من هنا يكثر الشاعر استخدام أساليب الإقناع، وهذا ما يقودنا إلى البحث في مختلف آليات الحجاج في الشعر الجزائري الحديث في الفصل الموالي.



الفصل الرابع





الفصل الرابع:

آليات الحجاج في شعر الحكمة الجزائري الحديث.

أولا : تقنيات الحجاج في شعر الحكمة الجزائري الحديث:

1- الحجج شبه المنطقية .

2- الحجج المؤسسة على بنية الواقع.

3- الحجج المبنينة للواقع.

ثانيا: السّلالم الحجاجية في شعر الحكمة الجزائري الحديث:

1- تعريف السلم الحجاجي.

2- قوانين السلم الحجاجي.

3- وسائل السلم الحجاجي اللغوية.

ثالثا: العلاقات الحجاجية في شعر الحكمة الجزائري الحديث.

مفهوم العلاقة الحجاجية

1- علاقة التتابع.

2- العلاقة السببية.

3- علاقة عدم الاتفاق.

4- علاقة الاقتضاء.

5- علاقة الاستنتاج.



يقول الشاعر الأمين العمودي:[1]

لا أبتغي لُبس الثيابِ، وإنما خير اللباسِ فَصاحةٌ، وبيانُ
فَإذَا كَتبت يقَال أمطَرت السما أو فُهت قيلَ تفَجر البركَانُ
وإذَا نظَمت أتيت قُرائي بِما لم يأتهم قَبلي بِه "حسانُ"
إنْ عاب قَولي أو تقَوه قَائلا بالقَدحِ فيما أدعيه لسانُ
فَرسائلي الغراءُ ضاع أريجها لي حجةٌ، وقَصائدي برهانُ

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج2- ص37-38.

الفصل الرابع: آليات الحجاج في شعر الحكمة الجزائري الحديث

يختلف الحجاج عن البرهان في كون الأول نتائجه احتمالية، أما الثاني فنتائجه حتمية، والشاعر يوظف مجموعة من الحجج بغية تحقيق الهدف الإقناعي الذي يرمي إليه. والأسئلة التي يريد الإجابة عنها هذا الفصل هي:

لكون الشاعر يكثف المعاني في خطابه الشعري، فكيف يوظف التقنيات الحجاجية؟ وهل يمكن تمييز أنماط الحجج الموظفة في الشعر عن بعضها البعض؟ وكيف يرتب الشاعر حججه؟ وما الوسائل التي تساعده على ذلك؟

يتناول هذا الفصل آليات الحجاج في شعر الحكمة الجزائري الحديث ابتغاء اكتشاف الأبعاد الإقناعية في المدونة المختارة، والتمثيل لكل تقنية من التقنيات الحجاجية الموظفة في الشعر، وكيفية ترتيب الحجج وفق سلمية هرمية من الأضعف إلى الأقوى، والعلاقات التي تربط بينها.

أولا : تقنيات الحجاج في شعر الحكمة الجزائري الحديث:

إن مجال الحجاج هو النسبي المحتمل فلا يكون النقاش إلا في موضع الشك، وقد يبدأ المحتج بمقدمات متفق عليها ولكنها ليست بالضرورة صادقة لتقضي إلى نتائج ملزمة؛ بل هي ممكنة الوقوع؛ لذلك يمكن للشاعر أن ينطلق من وقائع ومواضع تشكل محل اتفاق مبدئي بين المتكلم والمتلقي مثل تركيز الشاعر على مكارم الأخلاق في شعر الحكمة؛ ففي تناوله لهذه القيم والفضائل لابد من الاعتدال، فإذا اعتمد عليها الشاعر كان من الغلو والمبالغة، وليس حقيقة مطلقة، ففي كل قيمة درجات،(درجات في العدل، في الخير...) وهذا ما يفرض على المحتج حسن اختيار المقدمات حتى يكون الخطاب متناغما ومتجانسا ومنسجما.

وهناك ثلاثة أنماط للحجج: الحجج شبه المنطقية، والحجج المؤسسة لبنية الواقع، والحجج المبنينة للواقع، ويندرج تحت كل نوع مجموعة من الأقسام:

1/ الحجج شبه المنطقية :

تتصف هذه الحجج بكونها مشابهة للمنطقية؛ لأنها غير ملزمة، فإذا كانت البرهنة ملزمة فهي صائبة أو خاطئة، أما في الحجاج فيكون ذا درجات قد تكون قوية أو ضعيفة، يقول "**بيرلمان**"Perelman" عن هذه الحجج: «إنها حجج تدعي قدرا محددا من اليقين من جهة أنها تبدو شبيهة بالاستدلالات الشكلية المنطقية أو الرياضية، ومع ذلك فإنّ من يخضعها إلى التحليل ينتبه في وقت قصير إلى الاختلافات بين هذه الحجج والبراهين الشكلية»[1]، وهذا يعني أن الحجج شبه المنطقية تستمد قوتها الإقناعية من مشابهتها لتلك الطرائق المنطقية فهي تستند إلى مبدأ منطقي؛ كالتطابق أو التعدية أو التناقض، وتتراكم الحجج الموافقة لتقويتها لتصبح شبيهة بالاستدلال المنطقي لكنها ليست حتمية برهانية؛ بل محتملة نسبية ففيها ما يثير الاعتراض.

1-1 الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على البنى المنطقية:

1-1-1 التناقض وعدم الاتفاق:Incompatibilité

ويقصد بالتناقض contradiction «هو أن تكون هناك قضيتان 2propositions مشكلتين في نطاق مشكلتين إحداهما نفي للأخرى ونقض لها ... في حين أنّ عدم الاتفاق أو التعارض بين ملفوظين يتمثل في وضع الملفوظين على محك الواقع والظروف أو المقام لاختيار إحدى الأطروحتين وإقصاء الأخرى فهي خاطئة»[2]، فقد يأتي المحتج بقضية ثم يأتي بنقيضها، حيث يلجأ إلى الدفاع عن أطروحته مبينا أنها تتعارض مع أخرى؛ وبالتالي يستحيل الجمع بينهمايقول **مفدي زكريا**:[3]

يا لُعنةَ الأجيالِ أنت شهادةٌ أن التمدّنَ للشرورِ لثَام
والعدلُ زور والسلام خرافةٌ لُغةٌ تحلّلُ بِاسمها الآثَام

---

[1] سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص 191 .
[2] عبد الله صولة : في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص42-43.
[3] اللهب المقدس، ص43.

يدعم الشاعر حججه من خلال جمعه بين المتناقضات (التمدن /الشرور، العدل/ الزور، السلام/الخرافة، الإثم/حلال)، فلا جدوى من أقوال الساسة، فالتمدن والرقي يناقض شرور المستعمر؛ بل هو لثام يخبئ نواياه، فلا عدل ولا سلام؛ بل مجرد أحلام خرافية توغل في الإ ام، إنا لغة تحلل ا الآثام وتلبس العدل زورا؛ وبذا يصبح الإثم حلالا؛ وهما متناقضين غير متناسبين؛ لذلك فإنّ الحلول السياسية لم تعد تجدي نفعا ولا حل إلا الحل العسكري فما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا ا.

يقول الشاعر الشهيد **الربيع بوشامة** يخاطب نفسه:[1]

أجاريك في **الآمال حتى إذا طُغت**   **وحالَت** إلى **الأهواءِ فالغل محكَم**
لَك الله من خصمٍ حبيبٍ مقَرب   **أُسافيك آلاما وأنت المُعظَّم**

يجمع الشاعر بين متناقضين (لك الله من خصم حبيب مقرب) يجمع بين نفسه المحببة المقربة إلى قلبه التي يجاريها في آمالها وأمانيها، لكنها إن طغت وتجبرت فهي خصم يحاربه ويساقيه آلاما، والواقع أنّ الشاعر بحجته هذه إنما يحاول تحذير المتلقي من النفس الأمارة بالسوء بطريقة تلميحية.

يقول الشاعر **عمر بن قدور الجزائري**:[2]

عجِيب من الأيامِ ذلة مصلحٍ   **وعزةُ مغرور ، لَه الشر سلم**
عظيم علَى نفْسِ اللبِيبِ مذَلّةٌ   **تدوس نفوساً تستهاض وتظْلَم**
ولَكن مجاري الدهر دقت لحكْمة   **فَركْن الوفَا بين العباد مهدّم**
فلَو لَاح سر المَرءِ أصبحَ كُل من   **جفَا مصلحاً يوما علَيه يسلّم**

يجمع الشاعر بين المتناقضات لبناء حجاجه، فيرى أنه من غير المعقول أن يكون المصلح اللبيب ذليلا مظلوما، بينما المغرور الشرير عزيز مكرم.

[1] جمال قنان: ديوان الشهيد الربيع بوشامة ص119.

[2] صالح خرفي: عمر بن قدور الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتب الجزائر سلسلة الأدب الجزائري الحديث 1984 ص45.

2-1-1 التماثل والحد في الحجاج :

قد يكون للكلمة نفسها تحديدات متنوعة، فتكون الحجة في تحديد وضبط المفهوم للمصطلح نفسه، ذلك أنّ «الألفاظ [أو المصطلحات] المرتبطة بعلاقة ما توجد في حال تفاعل دائم ليس فقط مع مجموعة من الألفاظ من نفس اللغة أو اللغات الأخرى التي يمكن أن ترتبط بالأولى، ولكن يمكن أن ترتبط مع مجموع التحديدات الممكنة الأخرى لنفس المصطلح، وهذه التفاعلات لا يمكن إلغاؤها؛ بل إنا أساسية على وجه العموم لكي يكون الحجاج فعالا»[1]. ويمكن أن يكون التحديد عبارة دورية كأن نقول (المال هو المال) أو (الدنيا هي الدنيا)؛ فهذا التحديد يفتقد إلى حجة منطقية صارمة، لكن يفهم معناه حتى وإن تكرر اللفظ، فمعنى الثاني يحيل إلى معنى آخر غير اللفظ الأول، ف«صيغة التماثل ليست إلا طريقة شكلية نتوخاها في تقويم شيء ما تقويما إيجابيا أو سلبيا بواسطة الحشو le pléonasmeكقول القائل : حين أرى ما أرى أفكر في ما أفكر"... ففي هذا القول نجد اللفظ الثاني هو دائما هو الذي يحمل القيمة الدلالية شأن ما يحث في ظاهرة التكرار»[2].

فصيغة التماثل هي من قبيل تحصيل حاصلLa tautologieوبعض هذه الصيغ القائمة على التماثل انتهت إلى أن تكون حكما أو مسلمات لا يمكن أن تكون لها دلالتها الحجاجية إلا في مقام بعينه فهذا المقام هو الذي يعطي لهذه العبارات دلالتها المخصوصة .[3]

يقول **مفدي زكريا**[4]**:**

والنار أصدق حجةً فَاكْتب بها ... ما شئْت تصعق عندها الأحلَام
إن الصحائف للصفَائح أمرها ... والحَبر حرب والكلَام كلَام

---

[1] محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية ، ص 378 .
[2] عبد الله صولة : في نظرية الحجاج ، دراسات وتطبيقات ص45.
[3] نفسه، ص45.
[4] اللهب المقدس ص42

تظهر حجة التماثل في قوله (والكلام كلام) فمعنى كلمة كلام الثانية تحيل على معنى يخالف الكلمة الأولى حتى وإن تشا بت وتماثلت لفظا، فالكلام لا يجب أن يكون حبرا على ورق؛ بل حربا في ساح الفدا، أم االكلام الذي لا يجدي نفعا ولا يحقق مأربا فليس مباحا، فكلمة الكلام الأولى تعني نطق اللسان، أما الثانية فتعني نطق الرصاص.

يقول الشاعر **محمد الهادي السنوسي الزاهري** (ولد 1320ه):[1]

تاريخُكُم هو الذي يعطيكُم	**درسا بليغا صالحا ومفيد**
فَاستخرجوه ولا تقُولُوا قَد عفَى	**فَالتبر تبر لا يحور صديدا**

يريد الشاعر من الناس أن يستفيدوا من تاريخهم ويأخذوا العبر والدروس، وأدرج الشاعر حجة التماثل بين (التبر وتبر) فالذهب ذهب لا يحور على طول الزمن صديدا ولا يصدأ. وكلمة التبر الأولى تخالف الثانية؛ لأنا تعود على التاريخ الذهبي أما التبر الثانية فتعود على الذهب الذي لا يضمحل ولا يذوب مهما طال الزمن.

3-1-1 الحجة القائمة على العلاقة التبادلية: Arguments de réciprocité

تعتبر حجة التبادل Réciprocité حجة شبه منطقية؛ لأنها «إسناد للحكم ذاته إلى أمرين ندعي أنما متماثلان والحال أننا لو أخضعناهما إلى الدراسة الدقيقة لانتهينا إلى فروق عديدة»[2]، فقد يماثل الشاعر بين شيئين وهما متباعدان في الحقيقة، فيجعلهما متطابقين، وتماثلهما ضروري لتطبيق قاعدة العدل،ومن أمثلتها السن بالسن والشر بالشر... وتتمثل حجة قاعدة العدل L'argument de règle de justice في«معاملة وضعيتين متماثلتين

[1] شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ط2 ج2، ص321.

[2] سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 201 .

معاملة واحدة، ذلك أنّ تماثلهما يقتضي تطبيق قاعدة العدل وهي قاعدة تقتضي معاملة واحدة لكائنات أو وضعيات داخلة في مقولة واحدة»[1] ، مثل حلال عليكم حرام علينا.

يقول **محمد العيد آل خليفة** في قصيدة استوح شعرك:[2]

ولكُل ساعٍ في **المَواطن ما سعى** **من خانَ خين، ومن رعى فيها رعى**
ولربما كَان الجزاء مؤخّرا **أجلًا، فَضاقَت حيلةُ المُتسرّع**

حيث يرد التماثل في قوله : من خان خين ومن رعى فيها رعى ففي هذا المثال حجة عكسية ودعوة لتطبيق قاعدة العدل .

ومثلها قول الشاعر **محمد الأخضر السائحي**:[3]

من ينصر الإسلام ينصر وإنما **يضل طَريق النصر من كَانَ ملحدا**
ومن يرع حق اللهِ يرع حقُوقَه **وما ضاع حق خلْقَه من تجندا**

وقول **مفدي زكريا:**[4]

الشر بالشر...! والأيام تجربةٌ **من سره الدهر حينا ساءَه حينا**

ويقول **مفدي زكريا**:[5]

إن تبذُلوا المَال في **الجلى يرد لَكُم** **الخير بالخَير مزروع فَمحصود**

هي إذن علاقات متناظرة مبنية على حجج عكسية وعلاقتها تبادلية تعتمد على التناظر:

- من ينصر الإسلام ينصر.

---

[1] عبد العزيز لحويدق: الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية ضمن كتاب مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة إربد الأردن 2010، الجزء3 الحجاج وحوار التخصصات عالم الكتب الحديث ص358.

[2] الديوان ص143.

[3] بقايا وأوشال، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1987، ص128-129

[4] اللهب المقدس ص130.

[5] نفسه ص231.

- من يرع حقوق الله يرع حقوقه.
- الشر بالشر .
- الخير بالخير.

يقول **محمد الأخضر السائحي**:[1]

من أراد سلاما يلْق سلاما ومريد الحُروبِ يحصد حربه
هم أرادوا الحُروب فَلْتكُن الحَربِ ولا عاش من يخادع شعبه

مقدمة **أ** (كل من يريد السلام) ... نتيجة **ب**(يلق سلاما) .

نتيجة **ج**: (فلو أرادوا سلاما لقوا سلاما).

انتفت هذه النتيجة (ج)لانتفاء المقدمة(أ) فهم لم يريدوا سلاما فلم يلقوا سلاما. فنشأت هذه العلاقة العكسية عن قلب وجهات النظر.

مقدمة أ: (كل من يريد الحروب يحصد الحرب).

نتيجة ب: (هم أرادوا الحروب فكانت الحرب).

فالعلاقة بين (أ) و (ب) هي علاقة تبادلية، فحصاد الحرب لمن أرادها.

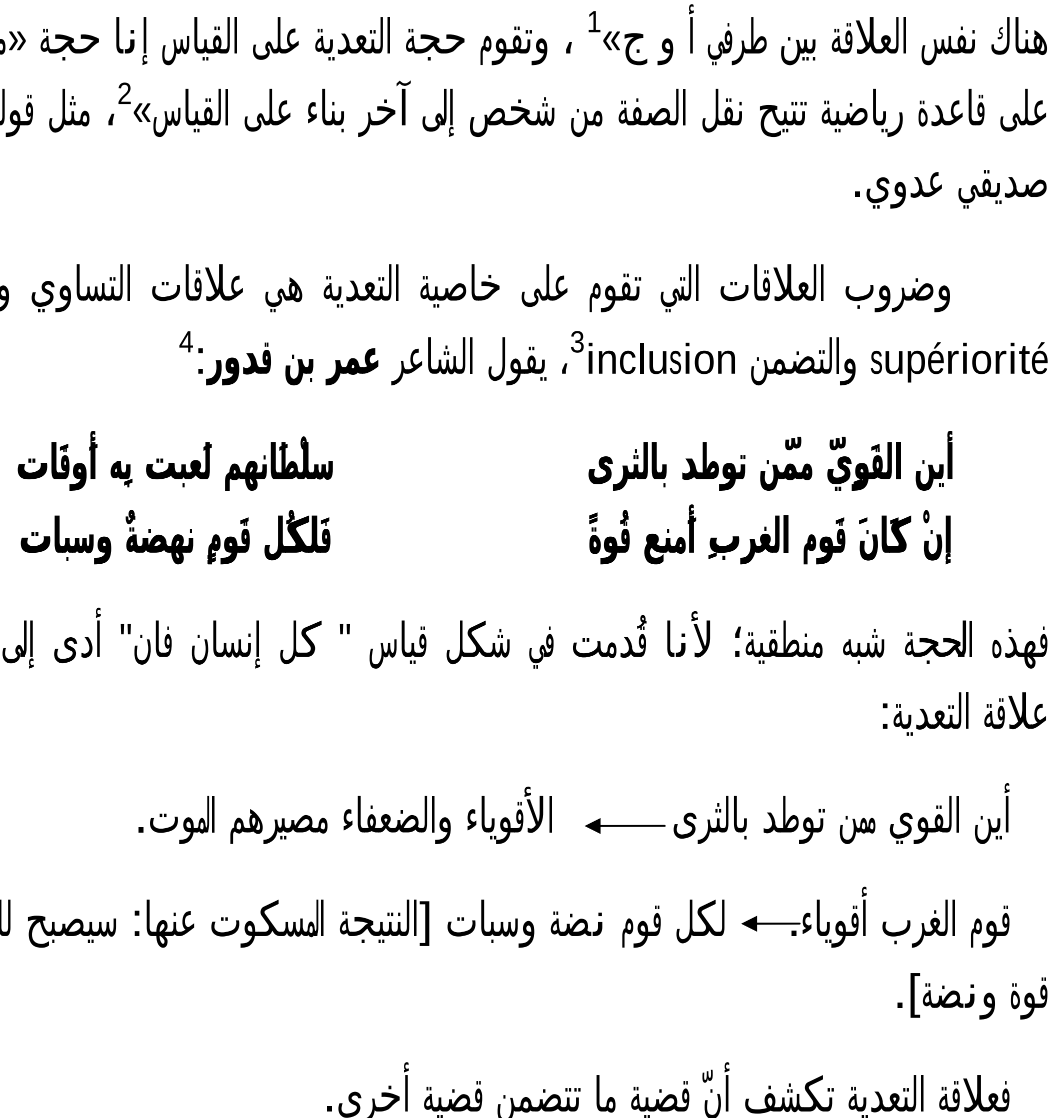
2-1 الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية :

من الحجج التي تعتمد على العلاقات الرياضية حجة التعدية Argument detransitivité.

1-2-1 **حجة التعدية :** وهي «خاصية صورية لبعض العلاقات التي تسمح بالانتقال من الإثبات بأنّ نفس العلاقة التي توجد بين طرفي أ و ب وبين ب و ج إلى الاستنتاج، بأنّ

[1] همسات وصرخات، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1 كانون الأول (ديسمبر)1965.ص16-17.





هناك نفس العلاقة بين طرفي أ و ج»[1] ، وتقوم حجة التعدية على القياس إنا حجة «مؤسسة على قاعدة رياضية تتيح نقل الصفة من شخص إلى آخر بناء على القياس»[2]، مثل قولنا عدو صديقي عدوي.

وضروب العلاقات التي تقوم على خاصية التعدية هي علاقات التساوي والتفوق supériorité والتضمن inclusion[3]، يقول الشاعر **عمر بن قدور**:[4]

أين القَوِيّ ممّن توطد بالثرى ... سلْطَانهم لَعبت بِه أوقَات

إنْ كَانَ قَوم الغربِ أمنع قُوةً ... فَلكُل قَومٍ نهضةٌ وسبات

فهذه الحجة شبه منطقية؛ لأنا قُدمت في شكل قياس " كل إنسان فان" أدى إلى ظهور علاقة التعدية:

أين القوي من توطد بالثرى ⟵ الأقوياء والضعفاء مصيرهم الموت.

قوم الغرب أقوياء⟵ لكل قوم نضة وسبات [النتيجة المسكوت عنها: سيصبح للضعفاء قوة ونضة].

فعلاقة التعدية تكشف أنّ قضية ما تتضمن قضية أخرى.

1-2-2 تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له Argument de division

وتسمى هذه الحجة كذلك بحجة التقسيمL'argument de partition وتقوم على«تفتيت مفهوم إلى مفاهيم متفرعة عنه قصد الحجاج»[5]؛ أي تقسيم الكل إلى أجزاء،

---

[1] محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، ص 379 .

[2] عبد العزيز لحويدق: الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته الجزء الثالث الحجاج وحوار التخصصات ص357.

[3] ينظر عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص46.

[4] صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، ص45.46.

[5]عبد العزيز لحويدق: الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته الجزء الثالث ص357.

وهي حجة شبه منطقية؛ لأنّ الجزء لا يعبر دائما عن الكل بصفة مطلقة، وتسمى هذه الحجة بالبرهان بالحدين وهو كما يعرفه "**بيرلمان**" Perelman «شكل من أشكال الحجج يتناول فرضيتين؛ ليستنتج أنه سواء وقع الاختيار على الأولى أو الثانية نصل إلى الفكرة نفسها أو الموقف ذاته وذلك لأحد الأسباب التالية: فإما لأنهما تقودان إلى النتيجة ذا ا، وإما لأنهما تقودان إلى نتيجتين لهما نفس القيمة أو لأنهما يقودان للحالتين إلى عدم الاتفاق مع قاعدة نتقيد ا»[1]. يرتبط كل جزء من الأجزاء بقضية تتعلق بالكل من أجل الإقناع.

ويمكن أن نمثّل لهذا النوع الحجج بقول **مفدي زكريا**:[2]

إنْ تبذلُوا المَالَ في الجلى يرد لَكُم — **الخَير بالخَير مزروعٌ فمحصود**
إنْ تبخلُوا فَمعانِي البخلِ أربعةٌ — **:جهلٌ وفَقْر وتعذيب وتشريد**
من يكْنز المَالَ لَو يسعد بِه وطَنا — **ويلمه فَهو في الأموات معدود**
جودوا بِه، قَبلَ أنْ تكْوى الجباه بِه — **المَالُ يفْنى ويبقَى الفَضلُ الجُود**

يمزج الشاعر بين حجج مختلفة بين الحجة التبادلية وحجة التقسيم وحجة المقارنة والحجة السببية؛ حيث يقارن بين بذل المال والبخل، فنتيجة الكرم والجود خير، فمن يزرع خيرا يحصد خيرا، وهي حجة التبادلية القائمة على التناظر (الخير بالخير) ويجعل من نتيجة البخل **حجة تقسيم**: فمن معانيها جهل وفقر وتعذيب وتشريد، ويترك للمتلقي مهمة الاختيار بين الكرم والبخل لكن يحاصره بالنظر إلى نتائجهما، ثم يضيف حججا سببية، فإذا كان المال مصيره الفناء والإنسان مصيره الموت فلم الإصرار على البخل إذا كانت ناية المال وصاحبه الفناء، غير أنّ البقاء للجود والكرم وحين وفاة الرجل الكريم تخلّد مآثره، ويضيف تحذيرا ضمنيا جاء على صيغة أمر (جودوا به قبل أن تكوى الجباه به)، وهو فعل كلامي غير مباشر لأنّ الفعل اللفظي أمر أما الفعل الإنجازي فهو ديد أو تحذير.

---

[1] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 209 .

[2] اللهب المقدس ص231.

يقول محمد العيد آل خليفة في قصيدة أسطر الكون:[1]

أرى الكَون قُرآنا من اللهِ منزلاً ... علَى الروحِ والأحداث آيٍ عضات
وأقْرأ من آيِ الشقَاوة أسطُرا ... علَى صفَحات الكَون مرتسِمات
فَسطْر: عيايِيلُ أمضهم الطوى ... عراةٌ علَى لَفْحِ الأَثيرِ[2] حفَاة
وسطْر أيامى يصطَرخن توجعا ... من البؤسِ لا يفْتأنَ مكْتئبات
وسطْر يتامى مرهقين تكُبهم ... علَى جرف البلْوى يد العثَرات
وسطْر: شيوخ كَالأَهلة شيب ... وهلْ شيبهم إلاَ نذير وفَاة؟
وسطْر: مشائيم[3] غرار أذلةٌ ... يسامونُ بِالأَرزاءِ والنكبات
وفَوقَهم سطْر من الخَلْقِ كُله ... جناةٌ لَعمر الحَق فَوق جناة
جناةٌ يرى الرائي من الليلِ مسحة ... علَى سطْرهم والظلْم كَالظلُمات
فَهلْ كَانَ هذَا الكَونُ سيفا مشطبا ... يمثلُ بالأَرواحِ والمُهجات[4]؟
وهلْ كَانَ هذَا الكَونُ سوطًا مبرحا ... يزعُ بني الإِنسان بِالسنوات؟
فَمن سنة جاءَت بِكل ملمة ... إِلَى سنة جاءَت بِكُل أذَاة
سئمت وإِنْ كُنت ابن عشرين حجة ... حوادث لاَ تنفَّك مستعرات...
كَذَلك سفْر الكَون وعظٌ وحكْمةٌ ... وزجر وتوبِيخ وقَرع عداة

يستعمل الشاعر حجة التقسيم في الأبيات التي يبين فيها أسطر الكون" فسطر.... وسطر..." ليبين أسباب السأم الذي يعاني منه وهو ابن عشرين سنة كما يبين شكواه وحسرته، هي أسطر تبين آيات الشقاوة والمعاناة؛ فمنهم الأيامى والعياييل الذين يعانون الجوع والبؤس ومنهم اليتامى...وفوقهم الجناة الظالمون... وما مصائب الدهر إلا عظات

[1] ديوان محمد العيد آل خليفة، ص10.
[2] الأثير: الفلك التاسع عند الأقدمين وعند علماء الطبيعة هو مادة لا تقع تحت تتخلل الأجسام ويكون امتداد الصوت والحرارة بواسطة تموجها.
[3] المشائيم جمع مشؤوم، ما يجر الشؤم.
[4] شطب السيف أو الثوب جعل فيه خطوطا وطرائق، والمهجات: مهجة الدم أو دم القلب أو الروح

للناس وتوبيخ العداة والجناة. وتظهر حجة التقسيم كذلك في البيت الأخير سفر الكون: وعظ وحكمة وزجر وتوبيخ وقرع عداة.

يقول الشاعر محمد **السعيد الزاهري** في قصيدة "ما الناس إلا اثنان"[1]:

تهش لنا الدنيا فَنرضى وتقطب فنغضب والأيام ترضى وتغضب
كذَلك شأنُ الدهر مر مذَاقُه لقَومٍ، وقَد يحلُوا لقَومٍ ويعذُب
كأَن الورى والدهر بحر صروفه قَوارب تطْفُو تارةً ثم ترسب
وما الناس إلَا اثْنان هذَا منّعم وذَاك على جمر الشقَا يتقَلب
وهذَا أَخو حزمٍ يجِد إلى العلا وذَاك لَا ينفَك يلْهو ويلْعب
ومن لَم ينم إلا غرارا رأَيته وكَم منه في العلْيا تبلج كوكَبِ
ومن بات حلْفًا للكَرى ملْءَ جفْنِه فَهيهات أَنْ يحظَى بِما يتطَلب
ولَولَا انتشار العلْمِ والجَهل في الورى لَما كَانَ مغلُوب ولا متغلبِ

فالناس كلهم إما عالم غالب حازم يسعى إلى العلا أو جاهل مغلوب ينام ملء جفنه... ويترك الشاعر للمتلقي الاختيار بينهما.

لكن ما شرط حجة التقسيم وما الغاية منها؟ يشترط في استخدام حجة التقسيم استخداما ناجحا «أن يكون تعداد الأجزاء شاملا Exhaustive يقول Quintilien في ذلك: إن نسقط من تعدادنا الأجزاء فرضية واحدة يهو صرحنا [الحجاجي] كله ونصبح ضحكة للجميع»[2]. أما الغاية من حجة التقسيم حسب **بيرلمان** Perelman فهي «البرهنة على وجود ا ـموع ومن ثمة تقوية الحضورAugment la présence بمعنى إشعار الغير

---

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1 ص167.

[2] عبد الله صولة : في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ص48.

بوجود الشيء موضوع التقسيم من خلال التصريح بوجود أجزائه»[1]، فالغاية الحجاجية للتعداد الشامل لأجزاء حجة التقسيم هو إبراز حضور الأشياء.

3-2-1 إدماج الجزء في الكل أو حجة الاشتمال L'argumentation par inclusion

وهذا النوع من الحجج يسمى كذلك بحجة التضمن «فما يصدق على الكل يصدق على الأجزاء»[2] ؛ لذلك تكون قيمة الكل أهم من الجزء.

ونجد حجة الاشتمال في قول **مفدي زكريا**[3]:

كُل من يعتمد على الغيرِ أضحى ... بِيد الغير في الحَياة سعود
كُل من يرتضي حياة هوان ... ظل في أرضه الشريد الطريدا

يدعو الشاعر عزيمة الإنسان يدعوها إلى الاعتماد على النفس واقتحام المخاطر وعدم الرضا بالذل والهوان مستعملا حجة شبه منطقية مبنية على فكرة مفادها أنه ما ينطبق على الكل ينطبق على أجزائه فكل ذليل معتمد على الغير هو لا محالة مطرود من أرضه.

ومن أمثلة حجة الاشتمال كذلك قول الشاعر **محمد بلقاسم خمار:**[4]

الحُب في كُل النفُوسِ سجِيةٌ ... مزروعة كالنورِ في الإِنسان
لَكن طُعوم ثمارِها بين الورى ... مجهولَة من سالف الأزمان
والحُب أكْثَر ما يكُونُ جريمةً ... إنْ كَانَ في الشهوات والأبدان
وأخس منه تفَاهةً ذَلك الذي ... يدعى بِحب العابِد الولْهان
يمسِي به المَرءُ المُتيم كتلَةً ... مشلُولَةً كَالوهم كالأوثَان
تنتابه في عرضِ الضحى ... ويسِير والأيام كالسكْران

---

[1] عبد الله صولة : في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص48.
[2] محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، ص 380 .
[3] محمد صالح الجابري: الأدب الجزائري المعاصر ص84.
[4] إرهاصات صرابية من زمن الاحتراق: المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ص47.

ما الحب إلا أنْ يكُونَ شهامة وعزيمةً من شعلة الإيمان
ما الحُب إلا أنْ أراك عزيزةً بالعلْم بالرايات بالفُرسان
ما الحُب إلا أنْ أراك جميلةً القَصر بين حدائق الريحان

ففي أول بيت يعتمد الشاعر على حجة شبه منطقية هي حجة الاشتمال؛ لأنّ الكل يشتمل أجزاءً، فمن طبع كل الناس سجية الحب وهذه الحجة هي حجة شبه منطقية، يمكن أن تكون موضع نقاش، لذلك نجده يتبعها بنوع آخر من الحجج إنا الحجج المبنينة للواقع (حجة المقارنة)[1]، حيث يعرض الشاعر الحب الجريمة والأخس منه تفاهة، فالأول يكون في حب الشهوات، والثاني يدعى بحب العابد، فالثاني أشد جرما من الأول ونتيجته الابتعاد عن الحقيقة تبينه لفظة(الوهم) وفقدان العقل والإرادة ويبينه التشبيه(كالسكران)، ثم يعقد مقارنة حجاجية بين هذا النوع من الحب والحب الذي يقصره باستعمال العوامل الحجاجية (ما إلا) على الشهامة والعزيمة والإيمان وعزة الوطن وجماله، فهو بذلك يترك للمتلقي فرصة الاختيار للنوع الذي ارتضاه له الشاعر.

يقول الشاعر **الجُنيد أحمد مكي** (ولد 1893) موظفا حججا شبه منطقية حول حتمية الموت في قصيدة **(أين الجدود؟)**[2]:

سن ذا الموت لا مفَر من المَو ت، ولَو سمنا في السها تحصينا
يعترينا فردا فقَردا رضينا أم كَرهنا فَالحُكْم لله فينا
أين آباؤنا، وأين جدود وجدود الجدود للأولينا
حاولُوا مثْلنا البقَاءَ وظَلوا زمنا فَوق ظَهرها آمنينا
فَدعاهم ريب المَنون فَلبو ه ، وساروا إلى الفَنا مسرعينا
هذه عبرةٌ تذَكر جِيلاً بعد جِيلٍ بِقَومه الأقْدمينا
در در الذين لَم تغوهم لَذ ةُ عيشٍ، لَم تصف للسابِقين

---

[1] سيتم لاحقا الحديث عن هذا النوع من الحجج ينظر ص253من البحث.
[2] شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج1، ص189.

فَأعدوا للهول تقْوى، وبِرّاً لصرف الزمان درعا حصينا

حيث يغري الشاعر النفس بالاحتجاج بشمولية مصيبة الموت، فالمنية مصير الكل وما الإنسان إلا جزء من هذا الكل يصح عليه ما يصح على الكل، فالموت سنة الله في خلقه سواء أردنا ذلك أم أبينا؛ لذلك فإنه من الحكمة أن تصبر النفس على مصاب الموت، والاستفهام التقريري ب"أين" الذي يؤدي فعلا إنجازيا غير مباشر كون الشاعر لا يتساءل عن المكان، بل يقرر ويثبت أنّ الجدود والأوائل كان مصيرهم الموت مهما طال بقاءهم على وجه الأرض، فمعنى شمولية الموت حجة من أجل التعقل؛ فالموت يأتي على الجميع ولن يفلت من قبضته أحد، ثم يمدح الشاعر الذين لم تغوهم لذة العيش الفانية مستعملا فعل (در در الذين....) مؤديا فعلا سلوكيا أو تعبيريا حسب **سيرل**Searle، ثم الفعل التوجيهي من خلال القوة الإنجازية الأمر (فأعدوا للهول تقوى..) حاثا المتلقي على التقوى والبر.

والواقع أنّ معظم أشعار المراثي يوظف فيها الشعراء حجة الاشتمال أو حجة الكل وأجزائه حيث يقول الشاعر **الطيب العقبي** في الرثاء وقد مزجه بغرض الحكمة[1]:

هي الدار في أحداثها تتجرم سرور فَأحزانٌ! فَعرس فَمأتم
حنانيك! إنا للمنِية عرضةٌ وكُل ابنِ أُنثَى فَهو للموت مسلم
وكُل بليغٍ مصقعٍ فَهو عنده إذَا طُرقْت يوما من الدهرِ مفْحم
وما المُكثُ في دارِ الغرورِ لعالمٍ حقيقَتها إلا زعاف، وعلْقَم
عجِبت لذي لُب يغر بِسِلْمها وما سلْمها إلا خسار، ومغرم...
لَك اللهُ قد أودى بِك العلْم والتقَى وأودى الهُدى والجُود بعدك يعدم
حياةٌ، فَموت، فادكار، فبِعثَةٌ فَجنةُ مأوى في دارها تحكّم

فالشاعر يعزي نفسه ومتلقيه ـذا المصاب الجلل وهو وفاة العالم الشيخ ، محتجا بحجة شمولية، فكل ابن أنثى هو للموت مسلم، ولن يبق في هذي الحياة أحد، كما وظف الشاعر

[1] هذه القصيدة رثى ـا الشيخ المكي بن عزوز شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج1، ص236.

رابطا حجاجيا مهما وهو الفاء السببية هذا الرابط يسهم في جعل العلاقة بين الحجج المدرجة في القصيدة الشعرية علاقة تناقض، لكونها تجمع بين المتناقضات ليؤدي بذلك علاقة عدم التناسب الممتزجة مع العلاقة السببية "سرور فأحزان! فعرس فمأتم"، حياة فموت، فادكار فبعثة فجنة مأوى"، التي تفيد الانتقال من مرحلة إلى مرحلة .

ويقول الشاعر **الطيب العقبي**[1]:

ضاقت مذاهبنا وعز المطلب	**والموت يأسرنا، فأين المهرب**
يا نفْس لا تخشي عقوبة صائلٍ	**لا شيء في دار المكاره يعذُب**
صبرا على نوبِ الزمان فإنها	**ساعات عمر عن قليلٍ تذْهب**
والمرءُ ما بين الحوادث حادثُ	**حتى بأظْفار المنية ينشب**
لا خير في هذي الحياة بسرمد	**كلاً ولا للشر وعد يضرب**
عش ما استطعت منعما أو بائسا	**فالكُل في هذا العراك يدرب**
جعلت دروس الدهر ما بين الورى	**عبر تمر، وحادثات ترهب**
والنّاس بين منزه في عيشه	**فكه وآخر في الشقاءِ يقلب**
قسم الإله بعدله أرزاقنا	**فعلام في طلبِ المكاسبِ أنصب؟**

فالحجج الموظفة في هذه القصيدة حجج شبه منطقية لا يمكن للمتلقي دحضها أو نفيها كونها مبنية على حجة الاشتمال فما يصدق على الكل يصدق على باقي الأجزاء، فالموت يلحق جميع الناس دون أن يغفل أحد؛ لذلك على الناس أن يأخذوا العبر والدروس ويصبروا على النوائب والمصائب.

[1] شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص241.

4-2-1 الحجج القائمة على الاحتمال L'argumentation par le probable

والاحتمالات هي حجج شبه منطقية، وهي أفكار متضمنة في حساب المحتمل النسبي فليس هناك أمر مطلق؛ بل في أغلب الحالات محتملا، يقول الشاعر **محمد بلقاسم خمار** في قصيدة "**واقعنا المؤلم**":[1]

ولو أن الرسولَ يعود يوما لحاربنا على هذي الخصال
ولو نزلَ المَسِيح بِفلسطين لكّفر كُل نصرانِي موالي

الخصال التي يقصدها الشاعر -في سياق القصيدة- هي التفرق والتقاسم والانفصال يستعمل حجة الاحتمال في البيتين ف"لو" تدل على الشرط والاحتمال كما تدل على كذب جملتي الشرط (لو عاد الرسول يوما /ولو نزل المسيح بفلسطين) وكذب جملتي الجزاء(حاربنا على هذه الخصال/ لكفر كل نصراني) معا لانتفاء النتيجة على انتفاء السبب.

يقول الشاعر **ابن رحمون:**[2]

ولو أمكَن السيف أنْ يسعى لمعذرة يوما لجَاءَ لسيف العزمِ معتذرا

يعتمد الشاعر في حجته على الاحتمال ويرى أنّ السيف القطع الحاسم لو أمكنه في يوم ما الاعتذار فإنه سيعتذر لقوة العزيمة. وهذا الأمر محتمل نسبي غير مطلق.

2- الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

تقوم هذه الحجج على علاقات تربط بين الأشياء والعالم، وهذه العلاقات ليست منطقية؛ بل هي علاقة تفسير وتوضيح للوقائع والأحداث، وتندرج ضمن هذه الفئة من الحجج العلاقات الكنائية وا ازية المرسلة[3] ؛ فعندما يقوم المتكلم بتفسير أحداث الواقع

---

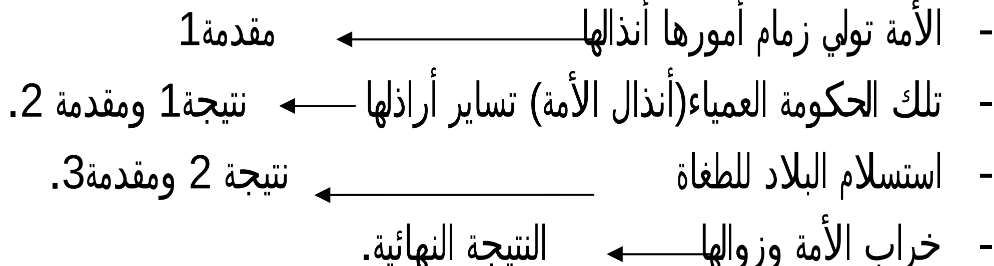
[1] إرهاصات سرابية من زمن الاحتراق، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ص49-50 (سنتطرق لهذه القصيدة كذلك في حجة المثال).
[2] ديوان ابن رحمون، ص20.
[3] ينظر، محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، ص385.

وتوضيحها تبدو أكثر إقناعا ويكون خطابه أقدر على التأثير في المتلقي، تربط الحجج المؤسسة على بنية الواقع بين «أحكام مسلمٍ ا وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مسلما ا ، وذلك بجعل الأحكام المسلم ا والأحكام غير المسلم ا عناصر تنتمي إلى كل واحد يجمع بينها، بحيث لا يمكن أن يسلم بأحدهما دون أن يسلم بالآخر»[1]، ومن الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

2-1-**التتابع:الحجة السببية والحجة التداولية:** وهي مجموعة من النتائج التي تحيل إلى علاقة سببية من خلال أحداث متتابعة، ويمكننا التمثيل على الحجة السببية بقول الشاعر **مفدي زكريا:**[2]

لاَ خير يرجى من عواقبِ أمة	**أولَت زمام أمورها أنذَالُها**
كلّا ولَا كَتب البقَا لحكُومة	**عميا تساير في العمى أرذَالُها**
وإذَا البِلَاد استسلَمت لطُغاتها	**فَترقبن خرابها وزوالَها**

فالحجج المتتابعة التي يوردها الشاعر تخدم الحجة السببية كالآتي:



من هنا تصبح النتيجة الأولى مقدمة ثانية لنتيجة أخرى، التي تتحول بدورها إلى مقدمة ثالثة، مؤدية ذا التتابع السببي إلى نتيجة كلية للحجة السببية. والحجة السببية هنا قامت على التكهن بما سينجر عن الحدث من نتائج.

---

[1] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ص49.

[2] اللهب المقدس : ص136-137.

أما **الحجة التداولية** فهي «الحجة التي يحصل ا تقويم عمل ما أو حدث ما باعتبار نتائجه الإيجابية أو السلبية ومن هنا كان الحجة البراغماتية تأثير مباشر في توجيه السلوك»[1]، فإنا تظهر عند التشكيك في صحة أمر ما، وليس الهدف من الحجة التداولية تثمين حدث بالنظر إلى نتائجه بل وتوجيه السلوك أو الدفع للعمل كذلك ، يمكننا التمثيل لها من قول **مفدي زكريا**:[2]

وكيف يسوس البلاد غبي	**بليد أضاع الضمير فَضاعا!!؟**
ومن يطْمئن لأقْدار شعبٍ	**إذَا استخلَف الشعب فيه الضباعا؟**
وكيف يقُوم بنيانه	**وتقْويم أخلاقه ما استطاعا؟**
وكيف يصونُ الأصالةَ نشءٌ	**وقَد ساوموه عليه فَباعا؟**
وكيف ينير الطريق شباب	**وقَد طَمس الرجس فيه الشعاعا؟**
وكيف يصارع المَريض صحيحا	**وفي قَلْبِه مرض السلّ شاعا؟**
وكيف يصارع موج الحَياةُ	**وما استطَاع في أصغريه الصراعا؟**
هو الخَطَر الجَارف المُستطير	**فَإنْ تهملُوه...الوداعا ...الوداعا**

يشكك الشاعر في قدرة الغبي الذي لا ضمير له، أو الضبع الماكر في القيام بشؤون البلاد بفعل إنجازي غير مباشر باستفهامات إنكارية تقود المتلقي إلى الإجابة التي يريدها الشاعر، بحجة تداولية تقوم على التشكيك في الأمر والعدول عنه وتغييره، كما يشكك في قدرة الشعب على تقويم أخلاق النشء وصون أصالته بعد أن تفسخت أخلاق الشباب وتدنست وتسببت في طمس طريق الهداية، يرى الشاعر أنّ الحكمة في معالجة المرض قبل استفحاله والخطر قبل انتشاره، فصاغ هذه الحجج التداولية التي تشكك في الأمر؛ بل وتدحضه مستعملا أفعالا كلامية غير مباشرة معتمدا على حجية التكرار (بتكرير اسم الاستفهام كيف).

---

[1] عبد الله صولة في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص50.

[2] إلياذة الجزائر ص97.



2-2-الغائية: حجة التبذير، حجة الاتجاه، حجة التجاوز:

يقال بأن الغاية تبرر الوسيلة، ومن هنا تكون قيمة الشيء في الغاية التي يرمي إليها، وكل وسيلة أو سلوك ينهجه الإنسان تعتبر غايته حجة لتصرفاته، يقول "**أوليفي روبول Reboul**":«تضطلع "الغائية" التي يستبعدها العلم بدور أساسي في الأحداث الإنسانية منها نستطيع أن تشتق حججا كثيرة تؤسس كلها على الفكرة القائلة بأن قيمة الشيء تتصل بالغاية التي يكون لها وسيلة، حججا لم تعد تعبيرا عن قولنا بسبب كذا وإنما من أجل كذا»[1].

يقول **مفدي زكريا**:[2]

والذكْريات وإنْ تقَادم عهدها في **أمة أشباهها تتكَرر**

لغةُ التمدن للقّوِيِ ذَريعةٌ **كاللص –تحت ظَلَامها- يتستر**

وحجة الغاية في البيت الثاني تظهر أنّ غاية الأقوياء وهدفهم هو استعباد الضعفاء (استعباد الناس وسرقة أراضيهم)، والدليل على ذلك في البيت الأول أنّ التاريخ يعيد نفسه حتى وإن تقادم عهده، فكانت الوسيلة التي تساعد الأقوياء هي لغة التمدن التي يحتمون وراءها كاللص المتستر، فالغاية تبرر الوسيلة. وقد ذكر الشاعر الوسيلة والذريعة وصرح ا وترك مهمة استنتاج الغاية للمتلقي، من خلال سياق القصيدة ككل ولأنّ هذه الغاية متسترة مختفية.

وقد ذكر الشاعر هذه الغاية في قصيدة أخرى (وتعطلت لغة الكلام) فيقول:[3]

يا لُغنةَ الأجيال! أنت شهادةٌ **أن التمدنَ للشرورِ لثَام**

والعدلُ زور والسلَام خراقةٌ **لُغةٌ تحللُ بِاسمها الآثَام**

---

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص221.

[2] اللهب المقدس: ص116-117.

[3] اللهب المقدس، ص143-144.

فغاية المستعمر غير المشروعة المتسمة بالشرور والآثام تتلثم وتختبئ تحت لغة التمدن والعدل والسلام... فالشاعر يكشف هذه الوسائل التي يبتغي ا القوي تحقيق غاياته وأهدافه هي وسائل خداع ومكر يستغفل ا الضعفاء من الشعوب.

أما **حجة التبذير** Argument de gaspillage فتتمثل حسب **بيرلمان** Perelman أنه:«بما أننا شرعنا في إنجاز هذا العمل وضحينا في سبيله بما لو أعرضنا عن تمامه لكان مضيعة للمال وللجهد فإنه علينا أن نواصل إنجازه»[1]، حيث تأتي حجة التبذير لإقناع شخص ما«بالعدول عن قرار التخلي عن عمل قطع فيه أشواطا مهمة لأنّ ذلك يعد هدرا للوقت والمال في الآن نفسه»[2]، ومن أمثلة حجة التبذير قول **مفدي زكريا**:[3]

ومن طَلَب الكَرامةَ وابتغاها يقدّم مهرها المُهج الدرارا

وهذه الحجة التي وضعها الشاعر ليبرز أنه يجب على الإنسان الذي يسعى إلى تحقيق كرامته أن يسخر كل تضحياته أن يضحي بالنفس والنفيس في سبيل ما يصبو إليه.

وتظهر أهمية **حجة الاتجاه** Argument de direction في محاولة المتكلم أن يتحاشى حدوث أمر ليس لذاته، وإنما للنتيجة التي سيترتب عنها، يقول "**أوليفي روبول** Reboul Olévier " «إنّ رفض أمر ما حتى وإن اعترفنا بأنه في ذاته أمر مقبول أو جيد؛ لأنه سيكون الوسيلة التي تقودنا إلى غاية لا نريدها»[4]. إن هذه الحجة تتمثل أساسا في التحذير من «مغبة سياسة المراحل التنازلية كقولنا أذا تنازلت هذه المرة وجب عليك أن تتنازل أكثر في المرة القادمة والله أعلم أين ستقف بك سياسة التنازل هذه؟ أو التحذير من مغبة انتشار ظاهرة ما

[1] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص50.

[2] عبد العزيز لحويدق: الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته الجزء الثالث ص358.

[3] اللهب المقدس ص131.

[4] سامية الدريدي:الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 221.

مما يسمى حجة الانتشار l'argument de la propagation أو حجة العدوى «l'argument de contagion»[1].

ومن أمثلة حجة الاتجاه قول **مفدي زكريا** مخاطبا ملك المغرب محمد الخامس، أنشدها الشاعر أمامه باسم الجزائر يوم استقلال المغرب 17نوفمبر 1955:[2]

لُغةُ التمدن للقَوي ذَريعةٌ كَاللص تحت ظلامها يتستر
والسلْم ستر للنذَالة بإسمها تؤتى الشرور، ويستباح المُنكَر
والناس في **الأطْماع يأكُلُ بعضهم بعضا ويبتلع الضعيف الأكْبر**
والجُرح لا يطْوى علَى علاته والدهر يقْبِلُ كالحُظُوظ ويدبِر
ويح القَوي من الضعيف إذَا هم يوم القصاص علَى الطغاة تنمروا

ثم يقول:**[3]**

إذَا كَانَ في طَي السلامِ مذَلَةً فالمَوت أشرف للكرامِ وأسلَم
يجِد القَوي من القَوي مناصرا وتخيب آمالُ الضعيف ويحرم

فالحجة في الابتعاد عن السلام هي حجة اتجاه؛ ذلك أنهذه الصفة لا اعتراض عليها في ذا ا؛ ولكنها إن صاحبها الاحتقار والإذلال، فالموت –في الحرب- أسلم وأشرف لكرام النفوس، والشاعر يوضح وجهة نظره هذه عن طريق نتائج السلم وهي استباح المنكرات وإتيان الشرور، وابتلاع القوي للضعيف، لذلك إذا كان في كنف السلام مذلة فالموت أشرف وأنبل، من هنا كانت حجة الاتجاه هذه تبرر رأي الشاعر بأنه ليس ضد السلم ذاته ؛ لأنه أمر جيد لكن تحاشيه واجب بالنظر لنتائجه الوخيمة(الذل والهوان) .

[1] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص50-51.
[2] اللهب المقدس ص117-118.
[3] نفسه، ص126.

يقول الشاعر **ابن رحمون:**[1]

كيف يرجو الخُلُود والمَجد من راح بِأغْلَالِ جبنِه مشغولاَ
رب عيشٍ أمر من علْقَمِ المَو ت وموت أحلى من العيشِ جِيلَا

فالشاعر لا يرفض العيش في حد ذاته إنما يرى أن الموت أحلى من عيش الجبان لأنّ هذا العيش أمرّ من سم الموت. لذلك أدرج حجة الاتجاه.

ويقول الشاعر **ابن رحمون** في قصيدة أخرى[2]:

هو المَوت أنْ أرضى الحَياةَ ذَليلةً مذَاقَتها سم وملْمسها جمر...
وما العمر في صولِ الحَياة وإنما سويعات أعمالِ الرجالِ هي العمر

يرى الشاعر أنّ العمل الذي يخلد ذكر الإنسان حتى بعد مماته، أما الحياة الذليلة فالموت أهون منها ويقول الشاعر **ابن رحمون:**[3]

عمر الفَتى بِجِهاده لَا أنْ يعيش معمرا
والمَوت عمر ضائع لا أنْ يموت فَيقْبرا
والناس عند اللهِ لَيسوا بِالجُدود ولَا الثرى
من نام في بسطِ الحرير كَمن ينام علَى العرا
والخُلْد لَيس ينالُه رجلٌ يكُونُ مقَصرا
تمضي سدى أيامه بين المَجانة والسهرا
وأجل أعمالِ الفَتى عملٌ أفَاد وأثْمرا

---

[1] ديوان ابن رحمون: شعراء الجزائر ص14.
[2] الديوان ص121-122.
[3] نفسه، ص69.

فالشاعر ليس ضد العيش الطويل المعمر في حد ذاته، وإنما يراه موتا إن كان ضائعا دون فائدة ولا طائل، بل إن الفتى ا اهد الخالدة أعماله ليس ميتا حتى بعد موته فأعماله الخالدة تحييه بين الناس. والشاعر بذلك يستعمل حجة الاتجاه يفند ا فكرة أنّ الموت هو من يلج القبر وأعماله خالدة؛ بل الموت هو العمر الضائع الذي تمضي أيامه سدى.

وفي المعنى نفسه يقول الشاعر **محمد الأخضر السائحي:**[1]

فَاعملُوا للْخلُود فَالَمرءُ يحيا وإنْ اغْتالَه الردى من جديد

ومن أنواع الحجج باعتبار الغاية **حجة التجاوز** Argument de dépassement وتتجه هذه الحجة نحو المستقبل فهي «تؤكد إمكانية السير دائما نحو نقطة أبعد في اتجاه ما دون أن نلمح للسير في ذاك الاتجاه حدا وذلك بفضل تزايد مطرد في قيمة ما»[2]، ومعنى هذا أنه من أجل بلوغ غاية معينة لا يهتم صاحبها بالعوائق والعوارض التي تواجهه، بل يتجاوزها ليحقق ما يريد، يقول **مفدي زكريا:**[3]

ولَن يبلُغَ العز إلا الذي على رشف كَأسٍ العذَابِ صبر

ورد هذا البيت في قصيدة وجهها الشاعر إلى الريفيين يحثهم على ركوب الخطر لبلوغ العز وجني ثمرات السعادة ... فمن أجل الوصول إلى الغاية المبتغاة وهي العز فإن الشاعر يرى أنه ينبغي تجاوز عائق العذاب عن طريق الصبر.

يقول الشاعر **إبراهيم ابن الحاج عيسى** (**أبو اليقضان**)[4]:

---

1 همسات وصرخات، ص98.

2 سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم، ص226.

3 محمد صالح الجابري: الأدب الجزائري المعاصر ص276.

4 نفسه ص258-259.

إن الحَياةَ خطيبةٌ فتانةٌ وصداقُها في النفْسِ والأموالِ
كأس العذَابِ لأجلها مستعذَب والمَوت عيش فيه كُلُ كَمالِ
والذُل عز والعناءُ لهَا هنا والفَقْر فيها ثَروةٌ في الحَالِ
والحُزنُ أنس والبكَا ضحك لها والعسر يسر فيه كُلُ نوالِ
والسقْم من أجلِ الولُوعِ بِها شفَا بلْ راحةٌ من سائرِ الأهوالِ
والأسر دونَ نوالها حريةً والقَيد إطْلاق من الأغْلالِ
والسجن من أجلِ الغرامِ بِها فَضا بِفَنائه لأرائك الإجلالِ
ما قَام للأحرارِ مجد باذخٍ إلا وكَانَ من الأساسِ العالِ

يظهر في بادئ الأمر أنّ الشاعر يجمع بين المتناقضات (العذاب/العذب، الموت/عيش، الذل/عز،العناء/الهناء، الفقر/الثروة، الحزن/الأنس، البكاء/الضحك، العسر/اليسر، السقم/الشفاء، الأسر/الحرية) فهي حجج شبه منطقية؛ لكونها مبنية على التناقض وعدم التناسب وهي الوقت ذاته حجج تجاوز؛ ذلك لأن الشاعر يرى أنّ على الإنسان تجاوز كل العوائق التي تواجهه (العذاب والذل والفقر والحزن والبكاء والسقم والأسر وحتى الموت...) من أجل العيش حياة كريمة حياة الأحرار والأمجاد.

يقول الشاعر **الزركشي**:[1]

فَفي ذمتي للقُطْرِ مذْ كُنت في الصبا حقُوق ولا تقْضى علَي بأموالِ
سأسعى لَها رغْم الزمان الذي سطَا وأنقَذُ أهلَ القُطْرِ من كُلِ دجالِ
وإن دهري اليوم أمسى محاربي وأقْسِم لا ينفَك يعكس آمالي

فالشاعر منذ صباه يدعوه ضميره إلى إنقاذ وطنه دعوة لا توازنا أموال الدنيا، ولتحقيق هذا الهدف الذي يسعى إليه يستعمل حجة التجاوز إنه يتجاوز كل العوائق لتحقيق المبتغى رغم سطوة الزمان ومحاربة الدهر ومعاكسة الآمال.

[1] محمد صالح الجابري: الأدب الجزائري المعاصر ، ص35.

يقول الشاعر محمد **السعيد الزاهري:**[1]

قضيت حياتي مدلجا مؤوبا	**ولكن كأني رمت عنقاءَ مغربا**
تود الليالي لو تَنتني عن المُنى	**وعزمي يأبى حتى أدرك مطلبا**
ومن يتبع الأمر الجَليلَ فإنه	**يكابد فيه متعبا ثم متعبا**
بلوت مراس الحَادثَات فلم أجِد	**خبيرا بعقبى الدهرِ إلا مجربا**
إذا جرّ صرف الحَادثَات إلى العلا	**فأهلا بصرف الحَادثَات ومرحبا**

يبدو الشاعر في صورة الخبير الحكيم المجرب الذي يبتغي أمرا جليلا "طلب العلم" ويحس بكبر المسؤولية فلا يهمه حله وترحاله - بين تونس والجزائر- لنيل مبتغاه ومطلبه ويتجاوز المتاعب والمصاعب، فهو يتجاوز كل العوائق لتحقيق مبتغاه فيستعمل حجة التجاوز.

2-3-التعايش: حجة السلطة، حجة الشخص وأعماله:

تتعلق حجة التعايش بحجة الذات Argument de L'essence وتتمثل في« تفسير حدث أو موقف ما أو التنبؤ به انطلاقا من الذات التي يعبر عنها أو يجليها ويوضحها»[2]. فهي علاقة الذات بصفاتها أو الشخص بأفعاله.

يقول **رمضان** حمود :[3]

أعانِق الحَق في قولٍ وفي عملٍ	**وأنهض القَوم إنْ مالُوا إلى كَسلِ**
فلَا أداهن قومي إن هم اقْترفُوا	**ذَنبا يلابِس وجه الحَق بالخَجلِ**
ولا أعيش بأرضِ الذل مكْتئبا	**فالذل من شيمة الأنذَالِ والسفَلِ**
وأبذُلُ النفْس في سبل الحياة فدى	**ولا أعول في الدنيا على رجلِ**

---

1 محمد صالح الجابري: الأدب الجزائري المعاصر ، ص37.

2 سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم ص228.

3 محمد ناصر: حمود رمضان حياته وآثاره ص167.

فهذه غَايتي بالجد أبلُغها   وأبتني منزلا في دارة الحَمل

يحتج الشاعر بأخلاقه الفاضلة وخصاله النبيلة وسمو الخصال من سمو الذات، فقد بنى الشاعر حجته انطلاقا من حجة الذات، حيث يقدم أدلة على ذلك فهو من طبيعته معانقة الحق قولا وعملا، لا يخشى لومة لائم في ذلك وليس شخصا إمعة ولا مداهنا لقومه ليرضيهم بل يواجههم ويستنهضهم للابتعاد عن الكسل وعدم اقتراف الذنوب، وهذه حجة الشخص وأعماله؛ لأنّ الشاعر لا يحتمل اتصاف ذاته بالذل؛ لأنّ الذلّ من شيم الأنذال والسفل، ولا يعتمد على الآخرين لبلوغ ا د؛ بل يفتدي بنفسه في سبل الحياة بالجد والكد.

وتقوم حجة الشخص وأعماله على «مبدأ ثبات الشخصية بحيث إن قامت بفعل معين أو اتخذ موقفا محددا، فلأنا عرفت بخصال معلومة منذ زمن بعيد»[1]، وبذلك يمكن لنا الاحتجاج لأمر ما اعتمادا على أنّ الشخص مسؤول عن أعماله وأن أفعاله ثابتة.

يقول الشاعر **محمد السعيد الزاهري**:[2]

هي العزائم يأتي حسبها العملُ   وليس إلا بِهن يدرك الأملُ
طَاشت سهامي وما بعزمتي فَللُ   والسيف ينبو وقَد يستنوق الجَملُ
ولَست أكْسلُ إما فَاتنِي عرضي   إنّ الخَلَائق عني شرها الكسلُ
أبغي العلا لم أكُن أنفَك أطلبُها   والحر يبغي المَعنى أو يأتي الأجل
والدهر يعكسنِي يوما ويسعفُني   يوما فَيصبح لي فوق السهى نزلُ
كذلك يجرحنِي يوما فَيؤلمني   وقد يعالج أجراحي فَتندملُ

يؤكد الشاعر أنّ إدراك العلا والآمال حسب العزائم، ويحتج بحجة الشخص وأعماله فالشاعر قوي العزيمة وسيبقى كذلك حتى يأتيه الأجل حتى وإن لم يسعفه الحظ فإنه لا يناله كسل لأن هذه الصفة من شر الأخلاق عنده.

---

[1] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص224.

[2] محمد صالح الجابري: الأدب الجزائري المعاصر: ص265.

وعندما يعتمد الحجاج على السلطة؛ فإنه يعكس في الحقيقة حجاجين، وهذا ما أكده "**موريس ساشو**"Maurice Sachot ففي الحجاج «الأول يتساوى من يحتج، ومن يتلقى الحجاج في المكانة وفي الثاني تقام علاقة تراتبية بين الإثنين، في الأول تربط بين المتكلم والمتلقي علاقة ثقة متبادلة وبالتحديد من يحاول الإقناع، واستقلالية الآخر ويقدر قدرته على اكتشاف الحقيقة، وفي الثاني وعلى العكس من ذلك تربط بين الإثنين علاقة تبعية، فمن يتلقى الحجاج عليه أن يحترم ما يقوله باسم السلطة»[1] ، فالسلطة التي يستعملها المتكلم تعينه على دعم رأيه لتكمل حجاجه وتقوم بإثرائه.

وتتعدد حجة السلطة فقد تكون«"الإجماع" أو الرأي العام" أو العلماء" أو الفلاسفة " أو " الكهنوت" أو الأنبياء" وقد تكون غير شخصية impersonnelle مثل الفيزياء أو العقيدة أو الدين " أو الكتاب المقدس" وقد يعمد في الحجاج بالسلطة إلى ذكر أشخاص معينين بأسمائهم على أن تكون سلطة هؤلاء جميعا معترفا ا من قبل جمهور السامعين، في ا ال الذي ذكرت فيه».[2]

وهناك وجه من وجوه حجة السلطة وهي سلطة الرمز Le symbole؛ والرمز يعبر عن انتماء الفرد إلى مجتمعه؛ فقد يستعمل الشاعر أسماء أسطورية تواتر ذكرها بين الناس لخدمة حجة معينة كأن يقال"أجود من حاتم"[3]... وغيرها ، يقول **مفدي زكريا**:[4]

هو الشعر للإحساس أهدى من القَطَا   وأبصر في بحر العواطف من زرقَا

وهذا يقتضي أنّ الشعر ليس نظما دون إحساس، واستعان الشاعر بالمثل فجعل الشعر أهدى من القطا وهو طائر معروف وفي المثل "لا أدل من القطا لأنا ترد الماء ليلا من

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص235.
[2] عبد الله صولة : في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص53.
[3] أبو الفضل الميداني: مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، ، ص279.
[4] محمد الهادي السنوسي الزاهري : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج1 ص263.

الفلاة البعيدة"[1]، كما جعل الشعر أبصر من زرقاء اليمامة التي يضرب بها المثل في حدة البصر، يقال «أبصر من زرقاء اليمامة... كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام»[2]. فكان هذا البيت أقوى حجاجيا بتوظيف المثل كسلطة رمزية.

3- الحجج المبنينة للواقع:

إذا كانت الحجج المؤسسة على بنية الواقع تكتفي بالربط بين وقائع متعايشة أو متتابعة؛ فإن الحجج المبنينة للواقع تستند إلى الجمع بين أحداث وأشياء مترابطة مكانيا أو زمانيا أو رمزيا، حيث نستدل على شيء بآخر يرتبط به.[3]

3-1- الشاهد illustration: وهو من الحجج المبنينة للواقع؛ ويهدف إلى«تقوية حضور الحجة بجعل القاعدة المجردة ملموسة بواسطة الحالة الخاصة يستشهد بها عليها»[4]، فالاستشهاد صورة تدعم القاعدة وتوضحها، ويكون الشاهد في الربط بين المتفقات في الجنس، أما التشبيه فهو مقارنة بين المتباينات ويمكن للفكرة الخيالية أو الخرافية المجازية أن تضطلع بوظيفة إقناعية «عندما نجردها من سياقها التاريخي والأصلي، إنها في حد ذاتها قابلة لوصمة الكذب ولكنها حينما تسلك في شاهد ما تتغلب على فنائها لكي تكتسب شرعية جديدة بتحولها إلى البرهنة عليه بأية طريقة»[5].ومن هنا فإن الشاهد يدعم الحجة ويقويها.

يعمل الشاهد على تقوية الحجة وتأكيدها، إنه يعمل «على تحريك المخيلة وتجسيد الفكرة باستحضارها في صورة شاخصة لا تكمن الغاية منه فقطفي تعويض المجرد بالملموس... إنما تكمن أساسا في تقوية الفكرة وتأكيده حضورها في الذهن»[6]، فالشاهد يقوي درجة التصديق بفكرة ما أو قاعدة معلومة وتوضيحها.

---

[1] ابن منظور : لسان العرب مادة (ق ط ا).

[2] أبو الفضل الميداني: مجمع الأمثال، ص169.

[3] ينظر محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية ،ص399.

[4] عبد الله صولة في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ص55.

[5] محمد الولي : مفاهيم بلاغية، مجلة علامات، العدد17، ص93.

[6] إبراهيم عبد المنعم إبراهيم، بلاغة الحجاج في الشعر العربي شعر ابن الرومي نموذجا، ص143.

يقول الشاعر **ابن رحمون**:[1]

إنما الأرض مسرح تجِد الأب رار من أتقَنوا التمثيلا

فالشاهد الذي اعتمده الشاعر هنا يربط فيه بين الأرض والمسرح، والناس على وجه الأرض، والناس على خشبة المسرح، ويبدو أن الشاعر قد ربط بين متفقات في الجنس، والشاعر يحاول إحداث القبول على الفكرة بالاستناد إلى حدث واقعي.

ويكمن دور الشاهد في «إضفاء القبول على فكرة ما باللجوء إلى حدث قديم واقعي أو خرافي أو أسطوري أو منتم إلى التراث الأدبي أو حدث صناعي احتمالي أو خيالي».[2]

وعند استعمال الشاهد يجب على المتكلم والمستمع «أن يكون له معرفة سابقة بالشاهد المقصود، وقدرة على تصوره بيسر ودراية بوجود أثره في مجال التداول».[3]

2-3 المثال l'exemple : يكمن دور المثال في تأسيس القاعدة، خلافا للشاهد الذي يوضح الفكرة ويقويها، ويؤتى بالمثال في الحالات التي «لا توجد فيها عادة مقدماتDes prémisses ، إنّ المحاجة بواسطة المثل تقتضي وجود بعض الخلافات في شأن القاعدة الخاصة التي جيء بالمثل لتكريسها»[4].

ويمكن أن نمثل لهذا النوع من الحجج بقول الشاعر **محمد بلقاسم خمار** في قصيدة **"واقعنا المؤلم"**:[5]

تفَرقُنا الرياح ولَست أدري لماذَا لا تعلمنا الليالي؟
جيلُنا في الحَياة كَما نشأنا على بغض التكَتل والوصال

---

[1] ديوان ابن رحمون ص13-14.

[2] محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، ص401.

[3] طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص111.

[4] عبد الله صولة : في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ص540

[5] إرهاصات سرابية من زمن الاحتراق، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ص49-50

وما أعمالُنا إلاّ بقايا	**تذكرنا بِبائدة الرمالِ**
وَرِثْناها لعاد أو ثَمود	**وللأحفَاد قسطٌ في المِثَالِ**
فَليس من الغرابة إذْ ترانا	**ويا أسفي نعود إلى الزوالِ**

يستعمل الشاعر حجة المثال المستقاة من التاريخ المشترك للعرب؛ ليثبت أن التفرق والشتات سمة جبِل عليها العربي منذ غابر الأزمان ، ورثها لعاد أو ثمود، وحينما قال الشاعر: وللأحفاد قسط في المثال، يؤكد حقيقة علمية بيولوجية وهي الوراثة فللحفيد نسبة وراثية معينة من آبائه وأجداده، وإذا كانت نهاية عاد وثمود الزوال فلا غرابة أن تكون نهاية العرب مشابهة لها، نتيجةً للصفات والخصال المشتركة.

ويضيف الشاعر في القصيدة نفسها حجج المثال قائلا:[1]

خضوع للمصائبِ والرزايا	**وكبر في غُرورٍ في هزالِ**
نقَدس بعضنا ونخونُ بعضا	**ونحيا بِالتذَللِ والسؤالِ**
ونصطَنِع التضامن والتآخي	**بِأوهامٍ تسطر في مقَالِ**
بِدايتنا الضلَال وقَد رأينا	**نِهايتنا تعود إلى الضلاَلِ**
ألَم نك في الجَزيرة كَالرعايا	**بِلَا راعٍ نتيه مع الجَمالِ**
تضيق بِنا المَنابِت في الصحاري	**فَتوقد بيننا نار القتالِ**
ألَم يك دارنا شعرا وصوتًا	**ونحن نهيم في دنيا الخَيالِ؟**
ألَم يك جمعنا شيعا تنادي	**لبكْرٍ أو لتغلب أو هلاَلِ؟**
وداحس والبسوس لَنا دليلٌ	**وهيجاءُ الفُجار علَى التوالي**

يؤكد الشاعر فكرة أنّ بداية العرب كانت ضلالا لذلك نهايتهم ضلال موظفا حجج المثال، فالعرب يشبهون أجدادهم في الصفات والخصال وهي:خضوع للمصائب، وغرور ، وكبر وخيانة وتذلل.

[1] إرهاصات سرابية من زمن الاحتراق، ، ص49-50.

ويضيف الشاعر حجج المثال على التفرق والشتات والطوائف والقبائل المتناحرة، وواقعهم المعاش فالتاريخ يعيد نفسه، باستعمال أفعال كلامية غير مباشرة الاستفهام التقريري الذي يفيد تأكيد الأمر بأفعال تأكيدية حسب تعبير "**سيرل**"، الذي يوجه المتلقي وجهة واحدة هي الاعتراف بحقيقة ما يقوله الشاعر فلا يخالفه فيها؛ لأنها مأخوذة من التاريخ المشترك بين الشاعر والمتلقي فالعصر الجاهلي حيث جزيرة العرب والصحاري، والخيام والجمال والشيع والطوائف"بكر وتغلب وهلال" والحروب التي يسجلها التاريخ "داحس والغبراء" التي دامت أربعين سنة، وهذه كلها أمثلة تشبه الوطن العربي المشتت المفرق الخاضع تحت نير الاستعمار في زمن الشاعر، كما تمتزج الأفعال الإنجازية التوجيهية بالأفعال السلوكية بتعبير **أوستين**Austin والتعبيريات بتعبير **سيرل**Searle، فهي أفعال تفيد الانتقاد لكونها تمثل رد فعل الشاعر على سلوكات العرب منذ القديم، فالشاعر يرفضها ويعترض عليها. وقصده في ذلك اغتنام العبر والتئام الشمل والنضال من أجل الحرية لإحراز النصر، خاصة عندما حينما يضيف الشاعر قائلا:[1]

دويلات العروبة هلْ أبالي	**إذَا قَدمت شؤمي قَبلَ فَألي**
فَكَم أغْراك قَبلي أجنبِي	**وحرك فيك مكْمونَ الدلالِ**
وكَم أشقاك مدح كَالخَطَايا	**وكَم أرداك صوت: يا لَيالي**
وكَم من مخلصٍ مثْلي بكَاك	**وأبصرك الحَقيقَةَ كَالزلَالِ**
فَقَابلَه صدود منك يزري	**بِه ويرأيه تحت النعالِ**

والملاحظ في هذه الأبيات أنّ الشاعر مزج بين أنواع الحجج؛ فحجة القدوة المتمثلة في الإخلاص وحجة الشخص وأعماله؛ لأنه يجعل من أفعاله حججا، كما مزج الشاعر بين حجة عدم التناسب أو التناقض وحجة المثال؛ لأنه جعل من نتيجة الإخلاص وإبصار الحقيقة هي الصدود والازدراء، فكان هذا الامتزاج بين الحجج امتزاجا عجيبا، كما تمتزج العلاقة

[1] إرهاصات سرابية من زمن الاحتراق، ص49-50.

الحجاجية السببية التي يوضحها الرابط الحجاجي "الفاء السببية "بعلاقة التناقض كما هو موضح.

ويضيف الشاعر قائلا:[1]

أليس من الشهامة أنْ ننادي ونوقض من غَفَا في الانعزالِ؟
أليس من الجَدير بِأنْ نفَادي ونجمع شملنا مثْلَ الجبالِ؟
ونرفَعها على الدنيا يمينا بِأنْ نبنِي الحَياةَ على النضالِ
فَإما أنْ نعيش كما أردنا وإلا فلْنمت موت الرجالِ
سبِيلُ الموت غَايةُ كُلِّ حر ومطْلب كُل من يهوى المَعالي

يختم الشاعر في النهاية قصيدته بحجة شبه منطقية هي حجة الاشتمال (اشتمال الكل على الأجزاء) في آخر بيت، فكل الأحرار طريقهم ووسيلتهم النضال ولو أدى م إلى الموت؛ لأن غايتهم نبيلة؛ فإما الحرية وإما الاستشهاد، فهذا ما يجعل حجة الاشتمال تمتزج مع حجة مؤسسة على بنية الواقع وهي الحجة الغائية التي مفادها الغاية تبرر الوسيلة، فالغاية هنا نبيلة والوسيلة مشروعة؛ بل واجبة فلابد من النضال والجهاد من أجل النصر والحرية.

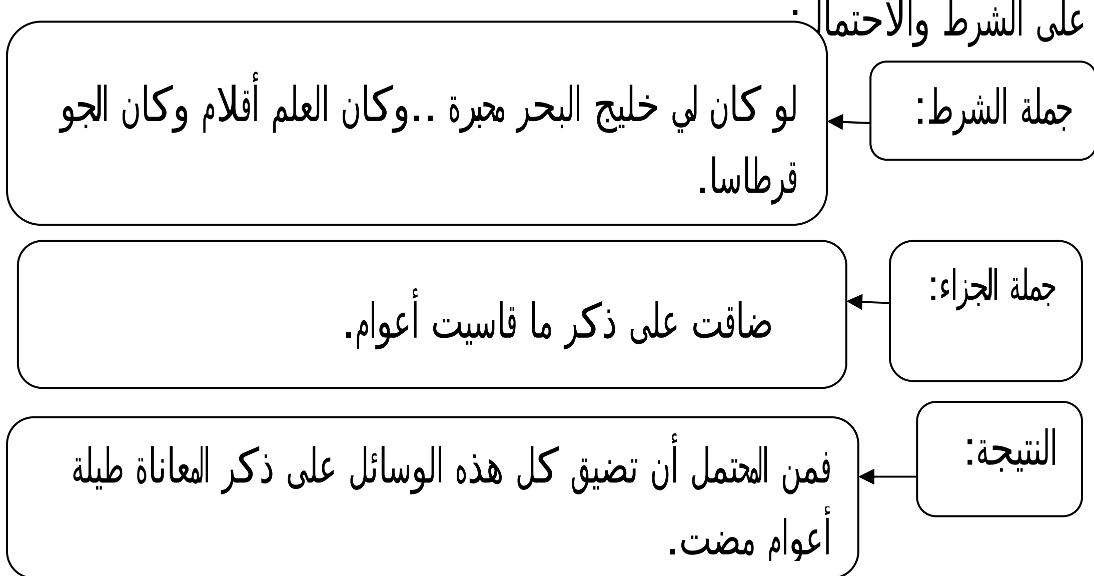
3-3-القدوة: وهي من الحجج التي تبنين الواقع، وتسمى كذلك النموذج «ومداره على كائن نموذج يصلح على صعيد السلوك لا لتأسيس قاعدة عامة أو دعمها فحسب، وإنما يصلح كذلك للحض على عمل ما اقتداءً به ومحاكاةً له ونسجا على منواله، وإن بطريقة غير موفقة تمام التوفيق. إن على الشخص القدوة أو المثال أن يسهر على تلميع صورته، ذلك أن انحرافا واحدا قد يستخدم تبريرا لعشرات الانحرافات»[2]. فأن تحث شخصا على الاقتداء بنموذج معين يحتم عليك أن تقتدي به أولا حتى لا تصبح محل سخرية.

[1] إرهاصات سرابية من زمن الاحتراق، ص49-50.
[2] عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص،55-56.

وقد يجعل الشاعر من نفسه نموذجا أو قدوة حسنة على المتلقي أن يقتدي ا، ومثال ذلك يقول **الأمين العمودي:**[1].

إني وإنْ حط سوءُ الحَظ م ِلتي	**وقَدر علَى شر في الظلْم أقْوام**
في خلُقي رجلٌ برّ وفي أدبِي	**فَحلٌ لأثْمن در الشعر نظاُم**
لَو اتخذْت خليج البحرِ محبرةً	**وصيغَ لي من يراعِ العلْم أقْلام**
وكاَنَ لي الجَو قرطَاسا أمهده	**ضاقَت علَى ذكْرِ ما قَاسيت أعوام**
لي أسوةٌ بِالأولَى غَارت كَواكبهم	**ولَم تهب لَهم الأقْدار ما راموا**

فسوء الحظ سبب بلاء الشاعر الذي يصده عن الوصول إلى ما يصبو إليه، لكنه رغم ذلك شاعر وأديب وفي خلقه رجل خير يصبر على الأذى، فهو يقصد أنه رغم سوء الحظ الذي حطّ من م لته، ورغم الظلم والشر الذي أصابه إلا أنه ملتزم بحسن الخُلق، ويدعو المتلقي إلى الاقتداء به، إنه يحتج لفكرته باستعمال القدوة الحسنة لغيره مستعملا الأفعال الإنجازية التوجيهية غير المباشرة، كما يستعمل حجة الاحتمال في البيت الثالث، فلو تدل على الشرط والاحتمال:



[1] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري ص343-344.

- وهذا الاحتمال توضحه جملة الجزاء، فامتنع الجزاء لامتناع الشرط معا؛ أي انتفاء النتيجة على انتفاء السبب.

4-3 المقارنة: وهي تقنية حجاجية إنها«عملية تجريبية منشدة إلى عملية بناء الواقع خاصة، وأن المقارنة حين تعقد بين طرفين لا تكون بالضرورة واقعية؛ بل قد تكون مبتدعة لا أساس لها إلا سياق النص وخيال المحتج»[1]، وأغلب حجج المقارنة الواردة في شعر الحكمة الجزائري الحديث هي حجج واقعية ترتبط بواقع ا تمع مستقاة من الوضع الراهن وتسعى إلى التغيير والتأثير في المتلقي.

والواقع أنّ العثور على حجج نقية أمر نادر؛ حيث كثيرا ما تختلط حجة المقارنة بحجة المثال فتتضمن حجة المثال دائما نوعا من المقارنة وهي في حد ذا ا سلطة واقعية ونموذجية وهذا ما يتضح لنا في تحليلنا للحجج المقارنة في الأبيات الشعرية.

يقول محمد **اللقاني بن السائح** في قصيدة وجهها للشعب الجزائري يحثه على العلم:[2]

الناس بِالعلْم شقوا الأرض واخترعوا — وشيدوا وبنوا عزا وتمكيناً
الناس في الجَو طَاروا وحلقُوا وعلَوا — ونحن نحسِبهم جهلاً شياطينا
الناس بِالعلْمِ نالُوا كُل مكْرمة — ونحن بِالجَهلِ لاَ يرجى تلَاقينا

يعقد الشاعر مقارنة حجاجية واقعية بين الغرب والعرب(يخص الجزائر) بين العلم والجهل ورتب الشاعر طرفي المقارنة ودلالة تقديم طرف وتأخير آخر، تنم عن غاية الشاعر، وهي رفعة العلم والدعوة إليه معتمدا تقنية التكرار، ثم يقول في القصيدة نفسها:[3]

كل المَسائلِ أوهام مخيمةٌ — فالحُلْم يشبِعنا، والوهم يردينا
أَلم نكُن أمةً أعلى الورى حسبا — ألم نكُن أمةً أزكى الورى دينا

---

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص248.

[2] محمد الهادي السنوسي الزاهري : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج1،ص109.

[3] نفسه ج1، ص110.

ألم نكُن أمةً جاءَ "الكتاب" لَها   نورا وتبصرةً يهدي المُضلينا
ألم نكُن أمة العربِ التي فَتحت   وسيرت أسد الهَيجا مواليا
ألسنا من معشرٍ دانَ الزمانُ لَهم   ودوخوا الأرض تنظيما وتمدينا
آباؤنا قد بنوا فيما مضى شرفا   بالحزم صرحا على رغْم المُناوينا
لكن عيِثَت كَف الغباوة من   حثَالة لا نرى في طَبعها لينا
يا أمة ضيعت مجدا لَها سلفًا   طَالَ النداءُ بِنا لو كَانَ يجدينا

ينتقل الشاعر من المقارنة بين الشرق والغرب إلى المقارنة بين الآباء والأجداد وأمجادهم وفتوحا م ، وبين حالة الأمة الراهنة (زمن الاستعمار) التي ضيعت ا د بسبب الجهل والغباوة، والأفعال الكلامية التي اعتمدها الشاعر تأكيديات بتعبير **سيرل،** وهي أفعال كلامية غير مباشرة (استفهام تقريري) وغرضه التأكيد والتأثير وتقديم الحجج للإقناع، وفعله التأثيري يهدف إلى جعل المتلقي يقر ويعترف ويوافق على الحقائق التي يقدمها الشاعر بحكم المشترك التاريخي الذي يربط الشاعر مع المتلقي ثم دفعه وتوجيهه إلى العلم والمعرفة والتغيير والإصلاح.

يقول الشاعر **عمر بن قدور:**[1]

انزع غشاوات الضميرِ تفيق   واصدع بِما يملي الضمير تفُوق
واعرف مجالَ العلْمِ عند حلُوله   بِضميرٍ شهمٍ للصلاح رقيق
واعلَم بأنّ ضمير أبي الوجدان   ينقذُه إذَا كَانَ البلاء يحيق
من كَانَ عارٍ عن ضميرٍ فَإنه   ولَو حاز علْم العالَمين غَريق

يوجه الشاعر الهمم ويستنهضها لكسب العلم، فلابد للضمائر أن تستيقظ من غشيتها فيصدع الناس للحق ويلتزمون به، فالعلم يكتمل مع صحوة الضمير، والشاعر يقارن ضمنيا بين العلم صاحب الضمير الصالح فهو المتفوق الشهم، أما الإنسان منعدم الضمير فهو غارق

[1] محمد صالح الجابري: الأدب الجزائري المعاصر، ص254

في بلائه حتى ولو حاز علم العالمين ؛ لأنّ عمله هذا لا يستثمره إلا من أجل تسلق أعلى المناصب والحصول على المال.

كما يقارن الشاعر **عمر بن قدور** بين السلف الصالح من العرب المسلمين وبين أبنائهم، فيقول:[1]

يا طالما بسطُوا العدالةَ والنهى إذًا لم ير بين الأنامِ شفيق
فَرفيقُهم عند الجلاد غَليظُهم وغليظُهم عند الوئامِ رفيق
أما قراهم بالنزيلِ فَرحبةٌ وقرى سواهم بالنزيلِ تضيق
وهواهم للمكْرمات يسوقُهم وهوى سواهم للفَساد يسوق
وأولئك الآباءُ قَدر قَدرهم ثُم انظُر الأبناءَ ثَم فُروق

فالشاعر يحث الناس على الالتفات إلى الماضي ا يد والاقتداء بالآباء والاهتداء داهم فهي حجة القدوة كما تتجلى حجة المقارنة حينما يقارن بين الآباء (العرب المسلمين) وقيمهم الخالدة وعلمهم وعدالتهم .. وبين الأبناء وهنا يترك وصفهم للقارئ بقوله: ثُم انظر الأبناء ثم فروق، فهؤلاء الأبناء تركوا دينهم وإسلامهم فالتصقت م ألوان الفساد، ويميل الشاعر **عمر بن قدور** إلى الحكمة وضرب الأمثال التاريخية ليعزز حجته ويقويها فيقول:[2]

ارجع إلى التاريخ تفْهم حكْمةً تهدي إليه فُصولُه وتسوق

3-5- التناسب: تظهر تقنية التناسب الحجاجية في كونه يتألف في بنيته العميقة من أربعة أطراف، يقول **محمد العيد**:[3]

---

[1] نفسه، ص255.
[2] محمد صالح الجابري: الأدب الجزائري المعاصر ،ص259.
[3] الديوان ص263.

ومالي أرى مجهودكُم متفَككًا كأجزاءِ بيت الشعر حين يقَطع

نجد في هذا البيت أربعة أطراف وهي الناس والشعر من جهة، والتفكك أو الفرقة وتقطيع البيت الشعري من جهة أخرى، فيظهر التناسب في أنه إذا كان تفكّك الناس وفرقتهم لا معنى له؛ فكذلك البيت الشعري حين يقطع لا معنى له، وشرط التناسب هو«التأليف بين علاقتين وتتحقق كل علاقة بين شيئين منتميين إلى جنس غير جنس الطرف المقابل؛ أي أن الموضوع والشبيه ينتميان إلى جنسين مختلفين»[1]. فتفكك الناس وفرقتهم ،وتشبيههم بتقطيع أبيات الشعر ينتميان إلى جنسين مختلفين.

وفي قصيدة واقعنا المؤلم لمحمد **بلقاسم خمار** نجده يوظف حجة التناسب حين يقول:[2]

فَلَا عجب وماضينا قَريب إذَا عدنا إلى نفْسِ المَآلِ
فَماءُ البحر يرجع بعد غَيث إلى ما كانَ عن طُرقِ التلَالِ

تظهر حجة التناسب في البيتين مبنينة للواقع مبنية في بنيتها من أربعة أطراف العرب وعودتهم إلى الشقاق والخلاف، والبحر وعودته بعد الغيث بواسطة التلال، فالموضوع والشبيه ينتميان إلى جنسين مختلفين لكنهما يتشابهان في العودة إلى نفس المآل أو إلى الوضعية السابقة نفسها.

يقول الشاعر **ابن رحمون**:[3]

قَاوِمِ الظلْم يا أخي واطْرحِ للعسف والذلِ عنك عبئًا ثَقيلا
مت عَزالا ولا تمت يا أخي شاةً على الخَسف موثقًا مكْبولا
واحي نسرا ولا تعش يا أخي ديكًا ولا ترض أنْ تكُونَ ذَليلا

---

[1] محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، 432.
[2] إرهاصات سرابية من زمن الاحتراق ص45.
[3] ديوان ابن رحمون ص13-14.

بالحَياة اشترِ العلا إنما الحي الذي مات في **هواها قَتيلا**

شبه الشاعر موت الذليل بموت الشاة المكبلة بالقيود وعيش الذليل بعيش الديك، أما موت الشجاع المقاوم للظلم فشبهه بموت الغزال وحياته تشبه حياة النسر الشامخ، والواقع أن هذه التشبيهات أدرجها الشاعر بين أجناس مختلفة لذلك تعد من قبيل التناسب.

يقول **مفدي زكريا** في إلياذة الجزائر:[1]

ومستهترونَ أضاعوا الثنايا وشاع تنكرهم للسجايا
وقَالُوا: التقَدم خلْع العذَار وهتك العفَاف ونشر الخَطَايا
وجدلُ الشعور ولبس الحُلي وحملُ القَلائد مثْلَ الصبايا
ويفْتخرونَ بِشربِ الخُمور وفي **الكَأس ترسب كُلُ البلايا**
فَهم يرقُصونَ كَطَير ذَبِيحٍ ولا يحفَلُونَ بِركْبِ المَنايا
وقَالُوا: التقُدم شعر لَقيطٌ تطير الأَصالَةُ فيه شظَايا
تقَاعيلُه كَضميرِ اليهود يصوغُ مبانِيه خبثُ النوايا
وقد أصبح الشعر كَالجيلِ خنثَى تذيب المُيوعةُ فيه الخَلاَيا
وصهين صهيونُ أخلاقَنا فَكَيف أنْ نكُونَ رعايا...
وهلْ يحزنُ العتق مستعمرا وأخلاَقُنا في **يديه سبايا؟؟**

يصرح الشاعر في هذه القصيدة بواقع الشباب المؤلم الذي يتخذ من التقدم ذريعة لهتك السجايا والابتعاد عن فضائل الأخلاق ووسيلته في ذلك التحرر من كل ما هو أصيل فيتمثلون بالإناث ويتشبهون ن بلبس الحلي وجدل الشعور وحمل القلائد، ويشربون الخمر وينشرون الفساد والخطايا وهذه الوسائل غير مشروعة... وحجتهم "الغاية تبرر الوسيلة" دون خوف من الموت، والغاية بدورها هنا غير مشروعة؛ لأنّ هذا التقدم فاسد يفسد الأخلاق.. هذه الحجة هي حجة الغاية.

[1] إلياذة الجزائر ص98.

أما **حجة التناسب** فتظهر من خلال التمثيل التخييلي التلميحي الذي جعله الشاعر بين هذا التقدم الفاسد الذي يدعو لكل تحرر وانفلات من يد الأصالة والتراث، وبين الشعر الذي يتحرر من أصالته كذلك، يتحرر من قيود(الوزن والقافية)، فالشعر الحر –حسب الشاعر- يدعو إلى التحرر من كل ما هو أصيل شأنه في ذلك شأن التقدم الفاسد، ويسمي الشاعر هذا الشعر شعرا لقيطا، ويجعل من تفاعيله خبثا ولؤما، ويماثل الشعر كذلك بالشباب في الميوعة والتشبه بالنساء (قد أصبح الشعر كالجيل خنثى) فقد ماثل الشاعر بين شيئين : الشعر (ويقصد به الشعر الحر) والجيل ويقصد به (الشباب المستهتر) وربط بينهما ربطا عجيبا وهما متباعدان في الجنس، فجعلهما الشاعر متشا ين بحكم دعو ما إلى التحرر.

ثانيا: السلالم الحجاجية في شعر الحكمة الجزائري الحديث:

- 1 تعريف السلم الحجاجي: L'Echelle Argumentative

ليست الحجة معادلة رياضية أو دليلا برهانيا فهي لا تثبت الحجة بصفة قطعية نائية إن ا«ترافع لصالح النتيجة وهذه المرافعة واحدة إلى جانب مرافعات أخرى ممكنة»[1]، ومعنى هذا أنه قد تشترك مجموعة من الحجج في نفس الفئة الحجاجية لتثبت نتيجة واحدة، وقد اكتشف **ديكرو**«الطبيعة السلمية التفاضلية التي تميز العلاقة بين الحجج من حيث قو ا في مساندة النتيجة وقد صاغ هذه الخاصية صياغة عامة على النحو التالي: إذا افترضنا أن متكلما يضع الملفوظين (م1) و(م2) ضمن فئة حجاجية واحدة (فا) تشترك عناصرها في مساندة نفس النتيجة ن، فإننا سنقرر أنه (أي المتكلم) يعتبر (م1) أقوى من(م2) في علاقتهما بالنتيجة (ن)، أي أنّ المتكلم يرى أنّ القبول باستنتاج (ن) من (م1) يستلزم القبول باستنتاج (ن) من (م1) يستلزم القبول باستنتاج(ن) من دون أن يكون العكس صحيحا»[2]؛

---

[1] رشيد الرضي: الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنوية ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة الجزء الثاني : الحجاج مدارس وأعلام عالم الكتب الحديث إربد الأردن ط1، 1431-2010م ص104.

[2] رشيد الرضي: الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنوية ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة الجزء الثاني : الحجاج مدارس وأعلام ، ص105.

أي أنّ هذه الحجج تختلف عن بعضها من حيث القوة والضعف، واختلاف قوة كل حجة في إسناد هذه النتيجة الواحدة هو ما يعطيها السمة التفاضلية.

عرف **"طه عبد الرحمن"** السلم الحجاجي بأنه«عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين:

أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه»[1].

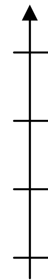
ويرتبط بمفهوم السلم الحجاجي، مفهوم آخر هو مفهوم الوجهة أو الاتجاه الحجاجي؛ ويعني هذا المفهوم:«أنه إذا كان يمكن من إنشاء فعل حجاجي، فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي، وهذا الأخير قد يكون صريحا أو مضمرا»[2] ؛ حيث تقوم الروابط الحجاجية بتحديد الاتجاه الحجاجي للسلم.

قام "ديكرو" Ducrot بشرح فكرته باستعمال لفظة(أشد منplus que) «فلفظة جامد "أشد من" بارد، ولفظة بارد أشد من منعش، والشيء نفسه ينطبق على الماء الساخن والدافئ والحار، أو بين الفعل ألزم وأوصى وسمح، ويمكن المقارنة بينهم من خلال ا موعات الثلاثة؛ حيث سينشأ وصفها حتى لو لم يتم تحديد العلاقة "أشد من"...(وهكذا شبه الساخن هو وسيط بين حار ودافئ، وكلمة شبه النصح وسيطة بين نصح وسمح) وكيفية تحديد العلاقة "أشد من" هو الذي يشكل هذه السلالم»[3] وهذا يعني أن تراتبية الجمل

[1] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص277.
[2] أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة، مجلة المنارة،http://www.almannarah.com ص6.
[3]J.C.Anscombre& Ducrot: l'argumentation dans la langue, philosophie et langage,P.54.

تتحدد بوجود الرابط الحجاجي أو بعدم وجوده، ثم قام **ديكرو**Ducrot بوضع أمثلته هذه ضمن سلالم حجاجية من الأضعف إلى الأقوى ترتيبا عموديا بالشكل الآتي:[1]

هذا العمل هو...



ألزم

نصح

شبه نصح

سمح

الماء...



حار		جامد
ساخن		بارد
شبه ساخن		شبه بارد
دافئ		منعش

يقول الشاعر **الربيع بوشامة**:[2]

أعيا البيانَ وخاب فيك المَنطق **النار أجدى في الكفَاح وأصدق**

قال الشاعر هذا البيت في سياق حديثه عن فلسطين الأبية، وسبيل حريتها ونيل استقلالها، موظفا تناصا شعريا مع بيت أبي **تمام الذي يقول فيه:**[3]

السيف أصدق أنباءً من الكُتبِ في **حده الحَدّ بين الجد واللعبِ**

ليقدم كشاهد تاريخي ومرجعية ثقافية مشتركة بين الشاعر والمتلقي، كما يحدد حجته بتدرج نسبي بين القوة والضعف يحدده اسمي التفضيل "أجدى، أصدق" يمكن أن نوضحه في سلم حجاجي كالآتي:

---

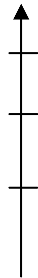
[1] IBID.,P.54.

[2] جمال قنان: ديوان الشهيد الربيع بوشامة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار رويبة ، الجزائر، 1994، ص53

[3] أبو تمام حبيب بن أوس الطائي: الديوان، ضبطه وشرحه، الأديب شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص18.



نيل الحرية



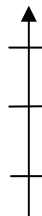
فنار الكفاح أجدى وأصدق من البيان والمنطق، فما يقع أعلى السلم أقوى حجاجيا ودليلا مما يدنوه. لأنّ نار الكفاح وقوة السلاح أقدر على نيل الحرية من براعة البيان والخطاب.

ونمثل لهذه السلالم الحجاجية كذلك من شعر **ابن رحمون؛** حيث يقول في قصيدة المسكين مع شبح البؤس" يتحدث فيها عن متسول يعاني صراعا نفسيا بين قيم أخلاقية تنهاه عن مد يده دون رضى وبين غريزة المحافظة على الذات التي تدفعه إلى ذلك دفعا، إنه الفقر الذي يرغم صاحبه على التسول إنه الجوع الذي يدفعه إلى ذل السؤال، يتعاطف الشاعر مع الضحية ويدعو أفراد مجتمعه إلى الرأفة والرحمة ا وتقديم يد المساعدة وينهاهم عن التكبر والاحتقار... يقول:[1]

1- **لا تعذلُوه فَإن الفَقْر أضواه والحَظ عاكَسه والدهر عاداه**

حيث يبدأ بفعل كلامي توجيهي صريح مباشر (لا تعذلوه) معددا أسباب تسوله بحجج متنامية يمثلها السلم الحجاجي الآتي:

أسباب التسول





[1] ابن رحمون الديوان. ص105.

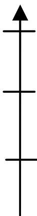


ثم يقول: [1]

2- لا تنهروه إن استجدى أكُفكُم فَالجُوع آلمه والصبر أعياه
3- ما كانَ يبسِطُ للتسآلِ راحته إلا ووجدانه عن ذَاك ينهاه
4- تأملُوا إنْ أردتم ما يكابِده تدلكُم عن أليمِ الوخز عيناه
5- لَولَا غَريزةُ حفْظ الذات تدفَعه ما كانَ يأتي بِالأمرِ الذي لَيس يرضاه
6- لكنما الفَقْر يا قَومي مشقته قَد ترغم النفْس عما النفْس تأباه
7- والجُوع يجزي إلى ذُل السؤالِ ولَو رأى المُضير من الإِيلَامِ أقْساه

حيث أضاف حججا مدعمة لقوله وللأسباب التي دفعته إلى التسول واستجداء الأكفف ليوجه المتلقين إلى عدم نهره مستلهما المعاني الإسلامية في قوله تعالى **فَأما السائلَ فَلا تنهر** [2]، مستعملا الفاء السببية وأداة الحصر (ما إلا) يتضح هذا من خلال السلم الحجاجي الآتي:

معاناة المتسول



غريزة حفظ الذات تدفعه

الصبر أعياه

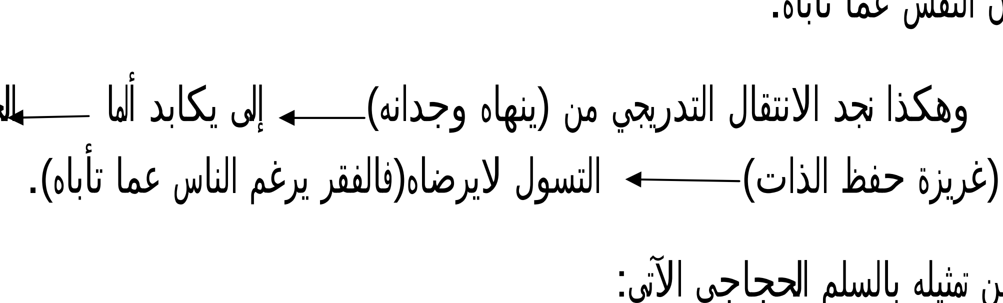
الجوع آلمه

يحاول الشاعر أن يبين شديد آلام المتسول، فهو ليس مرتاحا في ذلك؛ بل يعاني من الجوع الأليم، وهي الحجة الأضعف يتوجب عليه الصبر، لكن حينما يضيف (والصبر أعياه) فهي أقوى من الحجة السابقة لتأتي بعدها الحجة الأشد قوة (غريزة حفظ الذات) إنما هو يعاني ويكابد مرارة السؤال وضميره ينهاه عن ذلك ويواصل حججه: إن أردتم ما يكابده، أي إن أردتم دليلا على معاناته تلك فتأملوا عيناه (تدلكم عن أليم الوخز عيناه)، ثم تأتي أقوى حجة (لولا غريزة حفظ الذات تدفعه ما كان يأتي بالأمر الذي ليس يرضاه) فغريزة

[1] نفسه والصفحة نفسها.

[2] سورة الضحى الآية09.

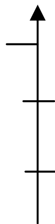
حفظ الذات أقوى سبب يدفعه إلى القيام بما ينهاه وجدانه وضميره؛ لأن الفقر والجوع يرغمان النفس عما تأباه.



وهكذا نجد الانتقال التدريجي من (ينهاه وجدانه)← إلى يكابد ألما ← الجوع يدفعه (غريزة حفظ الذات)← التسول لايرضاه(فالفقر يرغم الناس عما تأباه).

يمكن تمثيله بالسلم الحجاجي الآتي:

صراعه النفسي بين ما تأباه نفسه ووجدانه وما يرغمه فقره وجوعه



مشقة الفقر ترغمه عما يأباه

دليل مكابدته باد في عينيه الوخز الأليم

ضميره ووجدانه يأبى التسول

ثم يقول في القصيدة نفسها :[1]

8- لا تشمخوا إنْ رأيتم منه مسكَنةً ... بما تناجِي حناه الناس يمناه

9- ولا يساوِركُم عجب ولا بطَر ... كُل العباد لَدى الخَلاق أشباه...

10- وإنْ بخلْتم بِأنْ تولوه بِركُم ... لا تجهلُوا إن عين اللهِ ترعاه...

11- عقَارب الجُوع دبت في جوانِحه ... وجذْوةُ الهَم شتت في حناياه

12- في قَلْبه عَادت الآمالُ عابِسةً ... تئن شاكيةً من لَذْع شكْواه

13- أما المَنام فَطَيف لا يساوره ... حتى يضج من الإِعياءِ جنباه

14- وكَيف يألَف طَيف النومِ مقْلَته ... وفي الحَشا ألَم يشوي سويداه

15- ما لَوعةُ الجَمرِ إلا بعض لوعته ... وما دجا القَبرِ إلا بعض دنياه

16- اليأس من رحمة الرازقِ فكْرته ... والدمع من بث ما يشكُو قُصاراه

17- لئن يجع فَقُتات الخُبزِ مأكَلُه ... وإنْ ينم فَرصيف النهجِ مأواه

[1] ابن رحمون، الديوان ص106-107.

18- من الطوى ومن الهَم المُلم بِه تخددت من سيول الدمع خداه...

ففي الأبيات الأول والثاني والثامن والعاشر يوظف الشاعر أفعالا حجاجية توجيهية غرضها"الطلب" مختلف من حيث الدرجة الحجاجية، رغم أنّ قوته الإنجازية واحدة هي "النهي".

دعوة إلى الرأفة بالمسكين

لا تجهلوا (عدم البخل والجهل فعين الله ترعاه) هي أشد قوة
لا تشمخوا (عدم التكبر والاحتقار) أقوى
لا تنهروه (يتضمن عدم زجره؛ بل إطعامه) قوية
لا تعذلوه (عدم لومه) ضعيفة

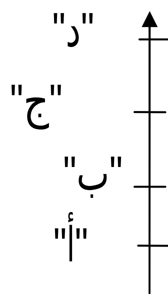
فمعنى الجهل والبخل أقوى من التكبر والشموخ حجة، والتكبر أقوى من النهر والزجر، وهذا الأخير أقوى من اللوم والعتاب.

كما يمكن استنتاج سلالم حجاجية أخرى من هذه الأبيات **الأول** يبين شدة أرق المتسول، و**الثاني** شدة الإملاق والجوع، **والثالث** يبين شدة الألم، مرتبة ترتيبا حجاجيا من الأضعف إلى الضعيف فالقوي فالأقوى كالآتي:

شدة الأرق

وإن ينم فرصيف النهج مأواه "د"
وكيف يألف طيف النوم مقلته (وفي الحشا ألم يشوي) "ج"
يعاني تعبا وإعياءً "ب"
حتى
أما المنام فطيف لا يساوره "أ"

شدة الإملاق والجوع



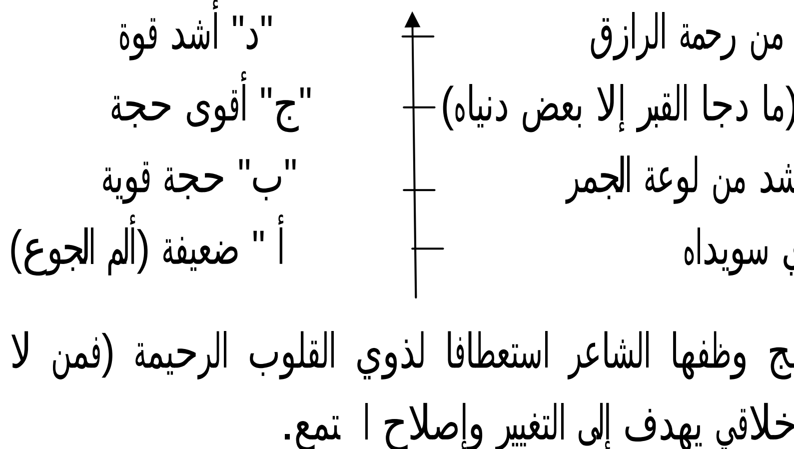
من الطوى ...تخددت من سيول الدمع "د"

عقارب الجوع دبت في جوانحه "ج"

لئن يجع ففتات الخبز مأكله "ب"

الجوع يجزي إلى ذل السؤال "أ"

شدة الألم



اليأس من رحمة الرازق "د" أشد قوة

تمني الموت(ما دجا القبر إلا بعض دنياه) "ج" أقوى حجة

لوعة المتسول أشد من لوعة الجمر "ب" حجة قوية

الحشا ألم يشوي سويداه أ " ضعيفة (ألم الجوع)

كل هذه الحجج وظفها الشاعر استعطافا لذوي القلوب الرحيمة (فمن لا يرحم لا يرحم) ذات بعد أخلاقي يهدف إلى التغيير وإصلاح ا تمع.

يختتم الشاعر قصيدته بحكم توجه المتلقي إلى قيم أخلاقية ودينية كالخير والإحسان:[1]

شتانَ ما بين من دانَ الثراء له   ومات إذْ يطْرقِ الأسماع منعاه

وبين من جعلَ الإحسانَ شيمته   وقدم البر للرحمنِ زلْفَاه

فَشيعت نفَحات الحَمد موكبه   وخلدت صفَحات المَجد ذكْراه...

البِر خير رداءٍ أنت لابِسه   وخير حب جعلْت القَلْب مغناه

حيث يقارن الشاعر بين الإنسان الذي يقترب من الثراء بعد جمعه وك ه للمال، فكيف يكون نعيه بعد موته؟ وبين من اتصف بالإحسان والبر طول عمره فهو الذي سيخلد ا د ذكراه. ثم يخلص الشاعر إلى نتيجة فحواها ضرورة التحلي ذا الخلق الطيب، ولقد انتقل

[1] ابن رحمون: الديوان ص109.

الشاعر في هذه الأبيات من مخاطبة الضمير الغائب (له، ومات، من جعل، وقدم) ليحيل إلى المخاطَب(أنت- جعلت).

يقول **محمد العيد**:[1]

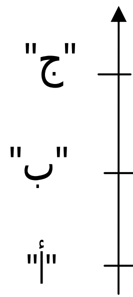
أرى جل أصحابي ازدروا بوظيفتي وقالُوا هموم كُلُها ووجائع
وقد زعموا عمري مع النشءِ ضائعا وتاللهِ ما عمري مع النشءِ ضائع
سيروونَ عني الشعر والعلْم برهةً وتطْلع للإسلامِ منهم طلائع
فمنهم خطيب حاضر الفكْر مصقع ومنهم أديب طائر الصيت ذَائع
ومنهم زعيم للجزائر قائد له في مجالات الجهاد وقائع
فهذَا رجائي قُلْته متفَائلا وللشرعِ رأي في التفَاؤلِ ذَائع

يبدأ الشاعر بوضع رأي أصحابه وهي(**الازدراء بوظيفة التعليم بحجة أ ا هموم ووجائع**) ثم وضع حججا يدحض ا آراءهم ويفندها مستعملا القسم والأسلوب الحواري "قالوا هموم كلها ووجائع" ويبدأ بنفيها نفيا تدريجيا بقوله:" وقد زعموا عمري مع النشء ضائع"، فكلمة زعموا تدل على الشك وعدم تصديق صحة القول، فغالبا ما تستعمل في قصص خيالية "كليلة ودمنة مثلا" ثم ينفيها نفيا قاطعا باستعمال القسم "وتالله ما عمري مع النشء ضائع"، وليزيد من قوة حججه يستعمل فعلا كلاميا هو الوعديات: سيروون عني الشعر والعلم"؛ حيث يعد أنّ نشأه الذي يعلمه سيكون منه الشاعر والعالم والإمام والخطيب والأديب والزعيم والقائد، فالمدارس التي انتشرت كانت أول خطوة نحو تحرير البلاد، وإذا كانت هذه هي رسالة المدرسة، فلا غرو في أن يعلق الشاعر آماله على هذه المدرسة التي تستقبل أشبال المستقبل، هذه الحجج التي قدمها شاعرنا تترتب في سلمية حجاجية من الأضعف فالضعيف إلى القوية فالأقوى يتضح هذا من خلال السلالم الحجاجية الآتية":

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص379.



عرض الرأي الأول" الازدراء بوظيفة التعليم"



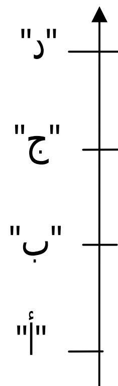
عمر المعلم مع النشء ضائع "ج"

كلها هموم ووجائع "ب"

جل أصحابه ازدروا بوظيفته "أ"

فأضعف حجة هي أن معظم أصحابه ازدروا بوظيفته، ثم يبين في الحجة "ب" سبب هذا الازدراء بكون هذه الوظيفة كلها هموم ووجائع وهي أقوى من الحجة السابقة، أما الحجة الأشد قوة "ج" فهي تثبت ضياع عمر المعلم.

نفي الرأي : بدحض الآراء السابقة وتثبيت نبل الوظيفة ونتائجها المثمرة في ا تمع



ومنهم الزعيم القائد ا اهد "د"

ومنهم الخطيب حاضر الفكر والأديب ذائع الصيت "ج"

سيروون عني الشعر والعلم ...و طلائع الإسلام "ب"

وقد زعموا ... **وتالله ما عمري** مع النشء ضائع "أ"



ففي الحجة أ" تأكيد أن قولهم مجرد زعم مع التشكيك فيه ثم نفيه نفيا قاطعا بالقسم، وهي الحجة الأضعف مقارنة مع الحجج الأخرى والحجة "ب" سينتج عن مهنة التعليم وظائف أخر فمنهم الشاعر والعالم المسلم ...وهي حجة قوية ثم يقول وهنهم الخطيب حاضر الفكر والأديب ذائع الصيت، ثم يقدم أقوى حجة"د" منهم زعيم الوطن القائد.

فكانت انطلاقة الشاعر من حجج الخصم والعمل على نفيها، بل من أقوى حجج الخصم، فإذا تم إبطالها بطلت باقي الحجج، ومن ثم تقديم الحجج بطريقة متنامية والتي تثبت رؤيته الإصلاحية الحجاجية التي تمجد العلم والتعليم ومن يحمل مشعل تربية النشء وتعليمه

وتكوينه؛ بل ودفعه على الجهاد وتحرير وطنه بعد دفع الجهل عنه وتوعية النشء ، فكانت الحجة المضمرة ، في قوله: **له** في م**جالات الجهاد وقائع،** بأنه ولولا المعلم لما وجدت تلك الوظائف الأخرى : وهي الشاعر والأديب والعالم والخطيب والمفكر والزعيم، فالمعلم أساس بناء ا تمع، والفكرة المضمرة لولا المعلم لما تفتحت مواهب النشء ولا وظائف أخر، وكان آخر بيت في القصيدة نتيجة نائية مدعمة بحجة دينية في قوله :"فهذا رجائي قلته متفائلا وللشرع رأي في التفاؤل ذائع، فرجاء الشاعر يستنتجه المتلقي هو تفاؤل بعمله كمعلم ينتظر ثمار عمله، تفاؤل ذا النشء الذي سيحرر وطنه، وفي قوله وللشرع رأي في التفاؤل ذائع، يستحضر القارئ القول: تفاءلوا خيرا تجدوه... فالعناصر الضمنية في الخطاب الشعري تأسر القارئ وتجعله مجبرا على إتمام العناصر الناقصة في متوالية الخطاب.

2- قوانين السلم الحجاجي:

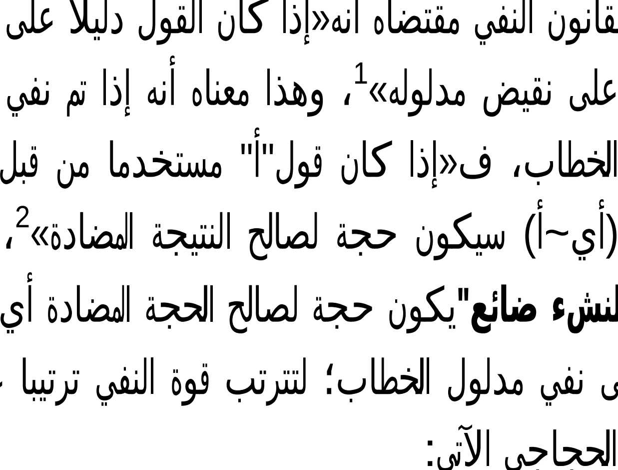
هناك ثلاثة قوانين تحكم السلم الحجاجي وهي:

2-1- قانون الخفض: La Loi d'abaissement:

يفيد هذا القانون أنه «إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها»[1]، وهذا معناه أنّ الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي، ففي قول الشاعر **محمد العيد** على لسان أصحابه في الأبيات السابقة **وقد زعموا عمري مع النشء ضائعا** وهو قول مثبت، فلا يمكن أن يكون القول المنفي"**وما عمري مع النشء ضائع"** في درجة من درجات السلم نفسه؛ حتى لا يدلّ على تناقض القول، كما أنّ نقيض القول يصدق في المراتب التي تحتها؛ بمعنى أنه إذا صدق قول "عمري مع النشء ضائع" فسيصدق القول الذي تحته "وظيفتي ...كلها هموم ووجائع" أي يصدق على الدرجة السلمية التي تحتها.

[1] طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص277.

2-2- قانون تبديل السلم: La Loi de Négation



ويسمى بقانون النفي مقتضاه أنه«إذا كان القول دليلا على مدلول معين؛ فإنّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله»[1]، وهذا معناه أنه إذا تم نفي إحدى الحجج أدى هذا إلى نفي مدلول الخطاب، ف«إذا كان قول"أ" مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإنّ نفيه (أي~أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة»[2]، فمع نفي الشاعر القول **وما عمري مع النشء ضائع"**يكون حجة لصالح الحجة المضادة أي نقض الأطروحة الأولى، فإنّ هذا يدلّ على نفي مدلول الخطاب؛ لتترتب قوة النفي ترتيبا عكسيا ويتضح هذا أكثر من خلال السلم الحجاجي الآتي:

دحض الحجج

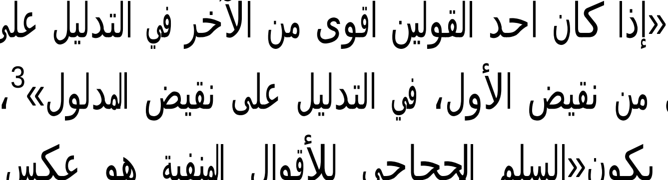
ما عمري مع النشء ضائع

إذن ليست كلها هموما ووجائع

لا يجوز الازدراء بوظيفة المعلم

ويمكن القول بأن حجة النفي هذه هي حجة الرأي المخالف.

3-2 قانون القلب: La Loi d'Inversion



ويفيد هذا القانون أنه«إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول، في التدليل على نقيض المدلول»[3]، ويرتبط هذا القانون بالنفي، حيث يكون«السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس الأقوال

[1] نفسه ، ص278.

[2] أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة، (مقال) مجلة المنارة، http://www.almannarah.com .

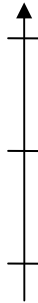
[3] طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي278.

الإثباتية»[1]، ففي المثال السابق الحجة التي كانت أقوى بالنسبة للرأي الأول "**عمري مع النشء ضائع**" تقع في أعلى درجات السلم، فإن نقيضه(**وما عمري مع النشء ضائع**) سيقلب السلم ويقع أدناه فيكون نفيا أقوى لمدلول الخطاب. وهكذا يتم قلب السلم الحجاجي:

لا يجوز الازدراء بوظيفة التعليم

ليست وظيفتي كلها هموما ووجائع

ما عمري مع النشء ضائع



والملاحظ أنّ قانوني النفي والقلب يقومان على علاقة سلمية تقابلية وتقوم هذه العلاقة على إمكانية ورود حجتين كل حجة تساند حجة معارضة للنتيجة التي تساندها الحجة الأخرى، وتقوم على مبدأ التعارض الحجاجي«ومقتضى هذا المبدأ أنه: إذا كانت لدينا حجة"ح" تصلح لمساندة نتيجة "ن" فمن الضروري أن توجد حجة "ح" لمساندة النتيجة المعارضة "لا ن" (بحيث ح ليست بالضرورة هي لا"ح")»[2]، إن هذه العلاقة تقبل بدورها التمثيل السلمي، وذلك على النحو التالي:[3]

ليس ن **ن**





ح **ح**

قانون التقابل الحجاجي

وتظهر هذه العلاقة بخاصة مع استعمال الرابط الحجاجي لكن وغير أنّ، والملاحظ أنّ نفي النتيجة لا يعني أو لا يقود بالضرورة إلى نفي الحجة المساندة مثلا:**(ح)**وظيفة التعليم

[1] أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة ، (مقال)مجلة المنارة http://www.almannarah.com .

[2] رشيد الرضي : الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنوية، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته الجزء الثاني مدارس وأعلام ص110.

[3] نفسه ص110.



هموم ووجائع-(ن)عمري مع النشء ضائعا ..(لان) وتالله ما عمري مع النشء ضائع؛ لأن(ح) سيروون عني الشعر والعلم برهة... وتطلع للإسلام منهم طلائع.



فالنتيجة المعارضة (ما عمري مع النشء ضائع) بسبب الحجج المقابلة المعارضة (سيكون منهم الشاعر والعالم...) .

3- وسائل السلم الحجاجي اللغوية:

يتحقق الحجاج في اللغة عبر مؤشرات لغوية؛ تساعد على تنامي الحجاج من أدنى إلى أعلى السلم أو من أعلاه إلى أسفله، حيث تكون في الأقوال علامات لإسناد الوظيفة الحجاجية للقول، وهذه العلامات هي روابط لغوية ف«إذا كان القول أو الخطاب معلما؛ أي مشتملا على بعض الروابط والعوامل الحجاجية، فإن هذه الأدوات والروابط تكون متضمنة موعة من الإشارات والتعليمات التي تتعلق بالطريقة التي يتم ا توجيه القول أو الخطاب»[1]، وهذه الروابط هي التي تحدد الاتجاه الحجاجي من ألفاظ ومؤشرات لغوية، بالإضافة إلى السياق اللغوي.

وقد ميز **"ديكرو"**Ducrot بين نوعين من المؤشرات: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية.

[1] أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة ، مجلة المنارةhttp://www.almannarah.com .

3 -1 الروابط الحجاجية: les connecteurs

تسهم الأدوات اللغوية في ترتيب الحجج والربط بينها وترسيخها في ذهن المتلقي، كما تسهم في تماسك الخطاب، و لقد أشار ديكرو إلى دورها الحجاجي حين أعطى أهمية خاصة للعلاقات التي تعبر عن نفسها محاجة واستخلاصا، فهي لا تنظم فقط الجمل التي يكون فيها المقطع الثاني معطى بوصفه تبريرا أو بوصفه نتيجة للمقطع الأول، وهذا ما يسمى في الفرنسية الروابط المساوقة " car لأنّ" و "doncإذن"، إنما تتدخل في دلالة "لكن" أو بالأحرى" اللتين تفرضان توجها مضادا للمحاججة[1]؛ حيث تضطلع بعض الأدوات اللغوية بدور حجاجي، يتمثل في« الربط بين قضيتين وترتيب درجا ا بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب»[2]، من بينها (لكن، بل، حتى، إذن، لأن، بما أن، وغيرها)، وتقوم بالربط بين قولين فأكثر، ضمن هدف إقناعي واحد، ولكل رابط سمة حجاجية وتداولية يمكن ضبطها أثناء الاستعمال.

3-1-1 الرابط الحجاجي لكن: هو رابط حجاجي يربط بين قولين متفاوتين في القوة، وهو يفيد الاستدراك، والاستدراك«تعقيب الكلام بإزالة بعض الخواطر والأوهام التي ترد على الذهن بسببه، وهو يقتضي أن يكون ما بعد أداة الاستدراك مخالفا لما قبلها في الحكم المعنوي»[3]، فاستعمال أداة الاستدراك "لكن" يكون من أجل إزالة الوهم وإبعاده ف«كأنك لما أُخبرت عن الأول بخبر، خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك؛ فتداركت بخبره إن سلبا أو إيجابا، ولابد أن يكون خبر الثاني مخالفا لخبر الأول لتحقيق معنى الاستدراك»[4]، فيكون القول بعد لكن مناقضا لما قبلها. مثال :"زيد ذكي لكنه كسول"، وتكون العلاقة الحجاجية بين الحجتين علاقة تناقض.

---

[1] ينظر: أوزوالد ديكرو، جان ماري سشفاير: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياشي، ص505.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص508.

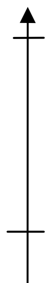
[3] عباس حسن: النحو الوافي، مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة الجزء الثالث، ص616.

[4] موفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش النحوي: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية بمصر، الجزء الثامن، ص80.

ويقع القول الثاني بعد "لكن" أقوى من القول الأول ف«الدليل الذي يرد بعد "لكن" يكون أقوى من الدليل الذي يرد قبله، وتكون له الغلبة بحيث يتمكن من توجيه القول بمجمله، فتكون النتيجة التي يقصد إليها هذا الدليل ويخدمها هي نتيجة القول برمته»[1] ، حيث يقول **محمد العيد** في قصيدة في ظلال الخير:[2]

لا تزرعوا الشر فَالأيام محصدةٌ كُل امرئٍ حاصد فيها الذي زرعا
أنتم من الأرض فَوق الأرض قَاطنةٌ ركَب إلى الأرض يأوي بطْنها تبعا
ما سخر اللهُ ما فيها لكُم عبثًا لَكن ليعلم أيا للصلاح سعى

فكل الخير الذي سخره الله سبحانه وتعالى في الأرض لم يكن عبثا، لكن ليختبر الناس أيهم أصلح عملا، والاستدراك ب**"لكن"** منح الحجة التي جاءت بعده قوة أكبر؛ فجاءت هذه الحجة في الدرجة العليا من السلم. وتم الربط بينهما بالرابط "لكن" فجاءت الجملة الثانية أعلى مرتبة مقارنة بما قبلها، يمكن توضيح ذلك بالسلم الحجاجي الآتي:



ليختبر الناس أيهم أصلح عملا

لكن

الخير الذي سخره الله سبحانه وتعالى على وجه الأرض لم يكن عبثا

فالنتيجة النهائية المضمرة اجتناب الشر وفعله، والنتيجة المصرح ا هي السعي للصلاح والخير لأن أعمال المرء يعلمها الله، ويجازي صاحبها.

ولقد قامت"**ديبورا شيفرن**"Deborah Schiffrin" بالمقارنة بين المؤشر"لكن" وحرف العطف "الواو"؛ إذ تقول:«بالرغم من أنّ "لكن" هي من أدوات تنسيق الخطاب إلا أن لها وظيفة تداولية مختلفة، وهو أنا تجعل للوحدة التي تليها فعلا مضاداً؛ ولأن هذا الدور

[1] أبو بكر العزاوي، الحجاج والشعر: نحو تحليل حجاجي لنص شعري ، مجلة دراسات سيميائية، أدبية، لسانية، ص374.
[2] الديوان ص 255..

مؤسس على معناها المضاد، فإن مدى استعمالها الذهني أضيق من مدى الواو... إذ لا تنسق "لكن" بين الوحدات الوظيفية، إلا إذا كان هناك بعضا من العلاقات المتضادة في محتواها الذهني أو التفاعلي»[1]، فالسلم الحجاجي يقوم إذن ضمن وظيفة المؤشر "لكن" على هذا التضاد الذي يجعل الحجة بعدها أقوى مقارنة بما قبلها. حيث يقول الشاعر في قصيدة قيلت في حفل أقيم ببسكرة لاستكمال مدرستها الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين، داعيا إلى التبرع بالمال من أجل إتمام أشغال البناء يبدأه بحكمة تدعو إلى الوحدة وعدم التفرق والتعاون يقول **محمد العيد**:[2]

ومالي أرى مجهودكُم متفكّكا **كأجزاءِ بيت الشعر حين يقَطع**
أخاف عليكُم أنْ يقَالَ فَشلْتم **فَضيعتم الحَق الذي لاَ يضيع**
وفَرطْتم في جنبِ أم كَريمة **تدر على النشءِ العلُوم فَيكْرع**
ولَكنها ظمأى إلى المَال ترتجِي **من المَال ما يشفي صداها وينقَع**
فَصبوا عليها من مئَات أُلوفكُم **دلاَءً لَها أيدي الأَجاويد منبع**

وتتضح أكثر السلمية الحجاجية للقولين كما يلي:

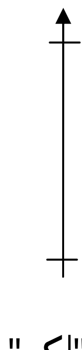
- المدرسة أم كريمة تدر على النشء بمختلف العلوم.
- لكنها تحتاج إلى المال احتياج الظمآن والمريض الذي يحتاج الشفاء.

ولا يكون شفاءها وارتواؤها إلا بدلاء من الأموال من منابع الكرماء

يمكن توضيحها أكثر ذا السلم الحجاجي:

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص512.
[2] الديوان ص263.

الإقناع بضرورة التبرع بالمال لاستكمال بناء المدرسة



ظمأى إلى المال

لكنها

المدرسة أم كريمة تدر علوما

ومن هنا كان القول الذي يرد بعد "لكن" أقوى من الذي قبله في درجات السلم الحجاجي، دون أن ننسى وظيفة الرابط الحجاجي الفاء السببية التي تحمل النتيجة النهائية التي يرجوها الشاعر وهي كرم العطاء وجود التبرع لبناء هذه المدرسة.

3-1-2 الرابط الحجاجي"بل": وهي أداة ربط بين قولين، ومعناها«الإضراب عن الأول والإثبات للثاني»[1]، ويتحدد دورها في الربط نفيا أو إيجابا، حسب السياق الذي ترد فيه، فهي تأتي «لتدارك كلام غلط فيه...وتكون لترك شيء من الكلام وأخذ غيره»[2]. ويمكن التمثيل لهذا الرابط الحجاجي من شعر **محمد العيد** في قصيدته "العروبة أمتنا الكبرى"؛ حيث قال يخاطب البعثة الأزهرية:[3]

لم يرض فيها أنْ يطأطئَ رأسه	**شعب لغير إلاهه لا يسجد**
مهما اصطلى بلْوى بدا ياقُوته	**فهو المبِيد لنارها والمُخمد**
حتى جنى استقْلالَها متكاملًا	**نضجا كما يهوى النضالُ وينشد**
ونجا بِقُوة صبره مستنجِدا	**والصبر في البأساءِ منجٍ منجِد**
وإذَا نما الإيمانُ ذُل لبأسه	**بأس الحَديد وذَاب منه الجُلْمد**
لستم هنا غُرباءُ بلْ في أرضكُم	**وديارِكُم إن الغريب المُبعد**

---

[1] أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: المقتضب ، تحقيق حسن حمد، مراجعة إميل يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1420ه-1999م، ج1، ص57.

[2] أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي: معاني الحروف، مكتبة مشكاة الإسلامية، ميلود بن عبد الرحمن ،14 جمادى الثانية1426-2005/07/20 ص6.

[3] الديوان ص229.

ما نحن إلا إخوةٌ من أسرة كَرمت أرومتها وطَاب المُحتد
إنّ العروبةَ أمنا الكُبرى التي في الأمهات نظيرها لَا يوجد

فالشاعر في ترحيبه بالبعثة الأزهرية لم يغفل الجانب الإصلاحي الهادف إلى التغيير في المتلقي بطريقة غير مباشرة؛ حيث يدعو إلى الاتحاد والاتفاق بين بني الأمة العربية، يمدون يد العون لإخوانم ويحتذون بمنهجهم فجعل من استقلالهم مثالا يحتذى ونصحا يؤخذ به مستعملا في حجاجيته روابط وعوامل حجاجية (بل، حتى) (إنّ، ما إلا).

وظف الشاعر الرابط الحجاجي بل في قوله:[1]

لَستم هنا غُرباءُ بلْ في أرضكُم وديارِكُم إن الغريب المُبعد

يمكن استنتاج السلم الحجاجي الآتي:

ن: بني **العرب إخوة**



في أرضهم وديارهم

بل

لستم هنا غرباء(وجود البعثة الأزهرية بالجزائر ليسوا غرباء)

فكان ما يقع في أعلى السلم أقوى حجة من الأولى، وكان ترتيبها حجاجيا بفضل الأداة "بل". وبالتالي فإن خاصية الرابط "بل" تكمن في الانتقال من درجة دنيا في الحجاج إلى درجة عليا.

وهذا النوع من الإضراب يطلق عليه النحاة اسم "الإضراب الإبطالي" وهو«يقتضي نفي الحكم السابق، في الكلام قبل"بل"، والقطع بأنه غير واقع، ومدعيه كاذب، والانصراف عنه

---

[1] محمد العيد: الديوان، ص229.



واجب إلى حكم آخر يجيء بعده»[1]، حيث أبطل الشاعر غربة المصريين، وانصرف إلى حكم آخر وقع بعد "بل" ، وهو وجودهم في أرضهم وبلادهم وديارهم بفضل رابطة الأمومة فالعروبة أمنا الكبرى.

3-1-3 الرابط الحجاجي "حتى: ومن أدوات السلم الحجاجي "حتى" حيث يكمن دورها في ترتيب عناصر القول، ويفهم معناها الوظيفي من السياق الذي ترد فيه، ففي الأبيات السابقة وضع الشاعر **محمد العيد** أنموذج استقلال شعب مصر بفضل صبرهم على البأساء والابتلاء وعدم الخضوع للمستعمر الجائر فكانت نتيجة صبرهم جني ثمار الاستقلال الكامل كما كان ينشدونه من نضالهم المستيمت وهو توجيه غير مباشر لبني جلدته بالتحلي بالصبر والنضال لنيل الحرية: [2]

لم يرض فيها أنْ يطأطئَ رأسه شعب لغير إلاهه لا يسجد
مهما اصطلى بلْوى بدا ياقُوته فهو المُبيد لنارها والمُخمد
حتى جنى استقْلالها متكاملًا نضجا كما يهوى النضالُ وينشد

وبالتالي يظهر دور الرابط "حتى" الذي أدى إلى نتيجة صريحة (استقلال مصر) وأخرى مضمرة(دعوة إصلاحية تنشد استقلال الجزائر)، يوضحها السلم الحجاجي كالآتي :

سبيل نيل الحرية



يجني الاستقلال الكامل

حتى

فالشعب هو من يبيد نار الحرب ويخمدها

[1] عباس حسن: النحو الوافي،ج3، ص623.
[2] الديوان: ص229.

لم يرض شعب مصر بالخضوع أو السجود لغير الله مهما أصابه من ابتلاء فاستعمل الشاعر "حتى" ليربط بين الحجج وتكون الحجة الأخيرة التي بعد "حتى" أقوى من الحجة التي قبلها، والنتيجة النهائية حصولها على الاستقلال وغاية الشاعر التي يبغي الوصول إليها هي اتباع منهجها والصبر على الشدائد في سبيل نيل الحرية.

وفي قصيدة أخرى يقول **محمد العيد**:[1]

أنِست بالخَلْق حينا	**والأنس بالخَلْق جِبت**
حتى بلَوت خبايا	**طباعهم فَاجتنبت**

يعبر الشاعر عن تجربته التي تحمل ندما وخيبة أمل في أناس وثق م وظن م خيرا مبالغا في ذلك إلى حد العبادة (فالجبت هو عبادة ما دون الله) لكنه اجتنبهم حين اختبر طباعهم اللئيمة؛ لأن الطيبة مع الأشرار ضرب من الغباوة، فهو يدعو إلى عدم الوثوق بأي كان حتى اختبار طباعهم وأهوائهم وأفكارهم فإن وجد فيهم شرا أو سوء رأي فاجتنا م أولى.

فالحكمة التي يحملها هي (لا تأنس بأي إنسان حتى تختبر طبعه) فالحجة الثانية التي بعد "حتى" أقوى من حيث الدرجة الحجاجية وهي التي تحدد الأنس بالخلق أو اجتنا م.

نلاحظ أنّ الروابط "لكن"، و "بل" و"حتى" تؤدي علاقة التناقض أو عدم الاتفاق، حيث يقوم الشاعر بذكر أمر مناقض لنتيجة الخطاب، ومما يجعل الخطاب منسجما ومتناغما؛ حيث يبنى هذا الترابط والاتصال على الانفصال، لكنها تؤدي دورا حجاجيا قويا؛ ذلك لأنّ الحجة الثانية التي ترد بعد الرابط الحجاجي تكون أقوى من الحجة التي تسبقها، فيوجه الشاعر الخطاب نحو النتيجة التي يقصدها، فيقتضي الأمر إقناعا وتأثيرا مخصوصا في المتلقي.

[1] الديوان ص365.



3-2- العوامل الحجاجية : les opérateurs

والعامل الحجاجي هو «هو صرفة تحول الاحتمالات الحجاجية للمضمون المطبقة عليه، وتمد العبارات المتغيرة بإمكانية استعمالها لغايات حجاجية» [1]، فالعامل الحجاجي لا يربط بين الحجة والنتيجة،بل تتقيد الجملة بعده، بإمكانات حجاجية ويتم الإسناد فيها في بعض الأساليب كالحصر والتأكيد والاستثناء والنفي والشرط وبعض الأدوات مثل: ربما تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا،وغيرها.

ومن هذه العوامل الحجاجية:

3-2-1 الحصر ب(ما وإلا)-(لا و إلا) :

وهي من التراكيب التي تترتب فيها الحجج حسب درجة قو ا الحجاجية وهو «عامل يوجه القول نحو وجهة واحدة نحو الانخفاض»[2]. ففي قصيدة رعد البشائر التي اقتطفنا منها أبياتا اعتمد فيها الشاعر **محمد العيد** الحصر بكثرة حيث يقول:[3]

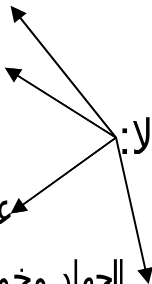
وما نالَ مجدا غَير من كانَ دونه تجرّع مرا راضيا ما تجرعا
ولَا يلْحق الْأحرار من لَم يكُن إلَى منازلهم بالصالحات تذرّعا
وما الحُر إلا من تيمّم معهدا ليقْتبِس العلْم الصحيح فَينفَعا
وإلا من اعلَولَى عنِ النفْسِ همةً وأعرض عن أغْراضها وتورعا
وإلَا من اختاض الوغَى في كَتيبة ليفْتح مصرا أو يلَاقي مصرعا

استعمل الشاعر الحصر من أجل الإقناع بتعظيم الشيء بإدخال عوامل حجاجية مثل (ما وغير)(ما وإلا) أو (لا وإلا) .

---

[1] محمد طروس : النظرية الحجاجية ص 112 .
[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري : إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ص 520
[3] محمد العيد آل خليفة: الديوان ص187.

فما وسيلة القوة وا د وسبيل الحرية والرقي إلا:



تجرع المر والرضى به

إنشاء المعاهد واقتباس العلم النافع

علو النفس وورعها

الجهاد وخوض الحرب فأما النصر وإما الاستشهاد

فالحجج كلها تخدم القضية نفسها؛ هي ا د والحرية وسبيل تحقيقهما، ومن هنا يكون للحصر دلالة واضحة على التوكيد وعامل حجاجي قوي.

يقول الشاعر **الربيع بوشامة:**[1]

وما النصر إلا بِالنضالِ وإنْ قَسا   ولا الطهر إلا همةٌ وتكرّم

وجه الشاعر قوله وجهة واحدة ، فحصر الشاعر النصر في النضال، كما حصر الطهر في الكرم والهمة، مستعملا العامل الحجاجي(م/إلا)(لا/إلا).

يقول **محمد السعيد الزاهري:**[2]

وما المَرءُ إلا من يسود بِنفْسِه   فَيبقَى مع الأيام ذكْرى لأجيال

فحصر الشاعر صفة المروءة في سيادته لنفسه.

3-2-2 الاستثناء ب"إنما" :

"إنما" أداة استثناء، و هي مركبة من "إنّ" و"ما" وبعد دخول "ما" على إنّ التوكيدية تغيرت وظيفتها، وأصبح لها معنى جديد، و« قد تغيرت دلالتها على التوكيد من كونه توكيدا عاديا، إلى كونه توكيدا قاصرا أو حاصرا»[3]، تأتي "إنما" لتصحيح معتقد أو ظن

---

[1] ديوان الشهيد الربيع بوشامة، ص122.

[2] محمد الهادي السنوسي الزاهري شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج1 ص150.

[3] مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي بيروت لبنان،ط2-1424-2003 ص238.

يذهب إلى نقيض المفهوم، واستعمال الاستثناء ب"إنما"«لا تقوله لمن يجهل ذلك ، ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقر به إلا أنه يريد أن تنبهه»[1]، مثل قول الشاعر في قصيدة "هذه قمة الفتوة التي أكثر فيها من استعمال أداة الاستثناء"إنما".

فهو حين يقول **محمد العيد:**[2]

إنما هذه المَعاهد سد   بعد سد تفيض بِالعرفَان
إنما هذه المَعاهد برها   نٌ على علْمكُم إلى برهان
ودليلٌ أن الجَزائر قَد سادت   وعادت إلى عهدها العدنان

وقد يأتي الاستثناء ب" إنما" من أجل التنبيه والتذكير بأمر معلوم لا ينكره المخاطب،ومن أمثلتها قول الشاعر **محمد العيد** في قصيدة "هذه قمة الفتوة":[3]

أخلصِ القَصد جاعلًا نِيةَ الأَع   مالِ أصلًا كَما روى الشيخان
إنما المَرءُ بِالقُصود رهين   ومدين بِما جنته اليدان

فالشاعر ينصح الفتيان الذين ركبوا العزم لطلب العلم بالإخلاص في مقاصدهم ونواياهم يذكرهم بقول النبي الكريم "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" فكان توظيف العامل الحجاجي وهو الاستثناء ب "إنما" على سبيل التنبيه وليس على الإخبار أو الإنكار، وهذا العامل الحجاجي -أسلوب الحصر بإنما- لا يجعل من هدف الخطاب الإبلاغ؛ بل يكون قاعدةً للمرور من المقدمة والنتيجة.

والشاعر حين يدعو الشباب إلى الالتزام بالحفاظ على أعراضهم فتيانا وفتيات ويدعو إلى تعليم البنات يستعمل كذلك أسلوب القصر بإنما، حتى يمنح خطابه الشعري قوة حجاجية بالغة الأهمية . فيقول **محمد العيد:**[1]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص330.
[2] الديوان ص272.
[3] نفسه، ص266.

علم البنت فهي أس وقوام لهيكل البنيان
إنما الشعب عنصر بشري من نساءٍ نما ومن ذُكْران
فَإذَا عمت الثقافة جنسي ه استقلت بجسمه الرجلان
وإذَا خصت الرجالَ فعرجى في خطاها تدب بالعرجان...
وجه النشءِ للصلاحِ وحبب للبنات العفاف والشبان
إنما يسعد البلاد شباب ذُو حفاظ لعرضه وصيانُ

فالشاعر يدعو إلى عدم التمييز بين الجنسين والعدل بينهما كما يوجههما إلى الصلاح والعفة وصون الأعراض فيقصر سعادة ا تمع واستقامته ذه الصفات.

يقول الشاعر **مبارك جلواح**:[2]

إنما الحب في البرية حرب تمحي دونها جحافلُ سلْمِ
إنما الحُب في الخَلائقِ بان إذَا جار صار معولَ هدمِ

فالشاعر هنا يحصر الحب مرة في الحرب، ومرة أخرى في البناء.

يقول **أحمد سحنون** يخاطب رجال الضاد وذخر البلاد:[3]

لك في كُل حشى نبع وداد يا رجاءَ الضاد وذُخر البلاد
شعبك الموثُوق لم يبق له من عتاد فَلْتكُن خير عتاد
لُغةُ الضاد التي ما برحت لُغةُ الإعجازِ سميت بكَساد
اجعل العلْم دليلًا وهدى إنما الجَهلُ دجى والعلْم هاد
ولْيكُن حاديك تحرير الحمى إنّ تحرير الحمى للحر حاد

[1] الديوان، ص268-269.
[2] عبد الله ركيبي: الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار ص379.
[3] أحمد سحنون جريدة البصائر/ 2 ع105، 1950/01/03 ص05. نقلا عن زحاف الجيلالي أشكال التعبير الأدبي في جريدة البصائر الثانية دراسة موضوعاتية جمالية ، رسالة ماجستير، إشراف د: عبد الملك مرتاض جامعة وهران ص63.

هذه غَايتك المُثْلى التي إنْ تحصلْها تنلْ كُل مراد

وهذا المراد هو النتيجة النهائية المرتبطة بعلاقة اقتضائية، فالمراد الذي يرجوه الشاعر ويأمله هو الرقي والتحضر، بالعلم والتعلم فهو خير هادي؛ لأنّ الشعب قد عاش طويلا في جمود وسبات، وقد آن الأوان لي ع ثوب الذل والمهانة. وقد حصر الشاعر العلم في الهداية والجهل في الدجى رابطا الحجج بالنتائج .

3-2-3 أسلوب التوكيد:

هناك أدوات لتأكيد القول ودفع الإنكار مثل (إن – لام التوكيد) حيث تنهض بوظيفة حجاجية تتمثل في تقديم المسائل للمتلقي وفرضها عليه، ويكون أسلوب التوكيد بقصد رد إنكار المخاطب ودفع الشك، وأغراض هذا الأسلوب ثلاثة«أحدهما: أن يدفع المتكلم ضرر غفلة السامع عنده. وثانيهما: أن يدفع ظنه بالمتكلم الغلط، فإذا قصد المتكلم أحد هذين الأمرين فلا بد أن يكرر اللفظ الذي ظنه غفلة السامع عنه...والغرض الثالث: أن يدفع المتكلم عن نفسه ظن السامع به تجوزا»[1] ، ويكون باستعمال العامل الحجاجي"إنّ" ولام التوكيد، وقد وردت في قول **محمد العيد آل خليفة:**[2]

بنِي الإِسلَامِ خلو الخُلْف إنا إلى الإِسلَامِ نعزى دونَ فَرقِ
عدمنا الرّشد في الدنيا كأنّا فُلُول معارك وغُواة طُرقِ
ولَو أنا على الحَق اتفَقْنا لَكنا قَادةُ الدنيا بِحق

فدرجة الحجاج ازدادت قوة من مجرد الإخبار إلى تأكيد الخبر، وقد تحققت بفضل "إنّ" ولام التوكيد.

وباستعماله لأسلوب التوكيد ب"إنّ" ولام المزحلقة قدم الشاعر مسائل محددة تتمثل في مواجهته الاختلاف والفرقة ، وتأكيده على ضرورة نبذ الخلاف والاتفاق على الحق،

[1] مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص335-336.
[2] الديوان ص84.

الذي به فقط يصبح بنو الإسلام قادة للعالم حقا، ولقد جاء القول مؤكدا ب"إنّ" واللام التي سماها النحاة "لام المزحلقة"عند اتصالها ب"إنّ"، وحين لا تتصل ا يسمونا "لام الابتداء"، وهي في كلتا الحالتين أداة توكيد، وقد وظف الشاعر أسلوب التوكيد «لينهض بوظيفة حجاجية تتمثل في تقديم هذه المسائل، وفرض حقيقتها عليه باعتبارها مسلمات ومقتضيات لا تقبل مبدئيا النقاش»[1]، وأسلوب التوكيد قد يكون باستعمال أكثر من مؤكد، وهذا ما يعرف في البلاغة العربية "بالخبر الإنكاري" وهو من أضرب الخبر؛ حيث يوظفه المتكلم عندما يشك المخاطب في كلامه، وذلك بقصد دفع الإنكار، وإزالة الشكوك وتقوية القول.

يقول الشاعر**محمد جريدي**:[2]

إن عصر الحَديد والنار يأبى	**أنْ يرى من يروعه الاضطرام**
من أراد الحَياةَ كانَ لهيبا	**أو أبى فَهو للهيبِ حطَام**
هذه هي الحَياةُ فَماذَا	**رأيكُم فيها أيها الأقْوام؟**
اجعلُوا العقْلَ رائدا إنْ بحثْتم	**ينكَشف عن سنا الصوابِ الغمام**

يستعمل الشاعر حرف التوكيد (إنّ) ليؤكد أنّ عصره عصر الحديد والنار، عصر القوة والحروب، ولا مجال للضعيف فيه، فعلى الإنسان أن يكون قويا يريد الحياة ولا يهاب الحروب، ويدعوه الشاعر إلى استعمال العقل الذي يخترع به ويصنع ما يفيده في الحياة.

ثالثا: العلاقات الحجاجية في شعر الحكمة الجزائري الحديث:

مفهوم العلاقة الحجاجية:

يشمل مفهوم العلاقة الحجاجية «عددا كبيرا من العلاقات الدلالية مثل العلية[السببية] والشرط والاستنتاج على أنّ الرباط بين هذه العلاقات جميعا قيامها على طرفين حجة أو

---

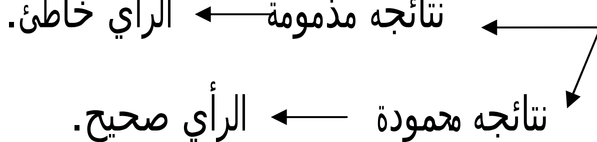
[1] عبد الله صوله: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص299.

[2] محمد جريدي: البصائر 2/ع1950/01/105،03، ص5، نقلا عن زحاف الجيلالي ، أشكال التعبير الأدبي في جريدة البصائر الثانية دراسة موضوعاتية جمالية رسالة ماجستير ، إشراف عبد الملك مرتاض ص63.



دليل يخدم نتيجة ما ويقتضيها»[1]، فالعلاقة الحجاجية هي علاقات منطقية تحكم الخطاب لتجعله مترابطَ الحججِ والغايات، حيث تتنوع العلاقات الحجاجية في الخطاب «بحسب تنوع غاياته، وكذا الروابط الحجاجية التي أسهمت في إنتاجه»[2].

يقوم الشاعر باختبار صدق الرأي أو مقبوليته استنادا إلى نتائجه المحمودة أو المذمومة التي تبين إن كان الرأي صحيحا أم خاطئا، ويترك الشاعر للمتلقي مهمة الاختيار.



يستند الشاعر إلى خطة واضحة الهدف، فيدعم رأيه بحجج متينة، تربطها علاقات لها دور هام في إكساب الخطاب سلطته، وهذه العلاقات هي:

1- علاقة التتابع:

إنّ تتابع الأحداث في الخطاب الشعري يؤكد وحد ا، فالشاعر يقوم بذكر الحدث وتوابعه، وهذا ما يمكنه من الاحتجاج لفكرة من خلال التتابع المتتالي في الأحداث؛ أي أنّ هذا التتابع الحجاجي هو في الواقع عملية استدلالية إذ«إنّ الاستدلال في جوهره عملية معقدة تسمح بالربط بين فرضيات كثيرة وقضايا متعددة؛ بل تسمح بالجمع في الوقت ذاته بين الحدث ومستتبعاته بين الفعل ونتائجه بين السابق ولواحقه، فتستجيب بذلك إلى شرطين أو تحقق معادلتين يعسر الجمع بينهما هما التطور المطرد والتناغم البين، لذلك تبدو العلاقة التتابعية انطلاقة حجاجية هامة، إذ يمكن أن نحتج بتقرير متتابع مستمر في الأحداث»"[3].

[1] سامية الدريدي: الحجاج في هاشميات الكميت(مقال) مجلة حوليات الجامعة التونسية العدد40، 1996، كلية الآداب والعلوم الإنسانية منوبة، تونس ص225.

[2] عبد القادر بقشي: البعد الحجاجي في الشعر الحواري، دراسة تطبيقية، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب(مجلة فصلية علمية محكمة)، العدد الأول خريف 2012، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.ص163.

[3] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه ص321.

إذ يستعين الشاعر بهذه الأحداث بحثا عن الوسيلة التي تطلق الاتفاق والقبول تحت لواء الحقيقة«فالحدث لا يمثل شيئا في حد ذاته إذ لا قيمة له إلا من خلال الفكرة التي يتعلق بها والدليل الذي ينتجه وبعبارة أخرى، يمكن للحدث أن يقنع إذا كانت الفكرة التي أوحى بها ملائمة للأفكار الداخلية للشخص»[1].

يقول الشاعر **عمر بن قدور الجزائري** في "قصيدة دمعة على الملة"[2]:

أيام قومٍ ما ذُقْتم حلاوةَ صبها — وما مسكُم يوماً اليم جواها
أيام قومٍ ما تحلُو لقلْبِي حياته — وقد دوخ السمحاء هول قناها
بكائي عليها لا على الخل والحمى — وخوفي عليها، لا أريد سواها
أضيعت فضاع المجد منّا، ولم نكُن — شداداً، وقد حم القضاءُ لقاها
أقام الرسولُ الهاشمي صروحها — وأوصى بِأنْ لا نزدري بِعلاها
مقدسةٌ ضمت حياةً ورِفْعةً — وقد خلصت مما يشين بهاها
أتت للورى بالمكْرمات وخيرها — وحثت على نيلِ العلا هداها
وفاضت علُوم العالمين بِفضلها — على الخَلْقِ واهتموا بِطيبِ شذَاها
وقد نشرت في الأرضِ دون مبشرٍ — ولكن وضوح الحَق كانَ لواها
ولما غدت بين اللئامِ غريبةً — أهينت بِعيث الخائنِين قواها
ألا يا بنِي السمحاء هلا شعرتم — بِذي الذلة الكُبرى، وحر لظَاها
وهلْ ملةُ الإسلامِ ترضى بِذَلكُم — وقد أكْرمت أسلافَكُم بِنهاها
جنيتم فَعوقبتم وخنتم فَبؤتم — بِها ضربةُ كجلاءِ حم قضاها
متى تفْقَهوا سر التقدمِ والنهى — متى تدفعوا شرّ المنون وداها
وفيكُم كتاب اللهِ لازالَ ناطقًا — كما كانَ في عهد الهُدى بِحجاها
يناشدكُم ألا تكُونوا أذلةً — وكُونوا شداداً ضد أبغى عداها

[1] ليونيل بلنجر: عدة الأدوات الحجاجية، ترجمة قوتال فضيلة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، ص134.

[2] صالح خرفي: عمر بن قدور الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث الجزائر ، 1984، ص73-74.

فَيا ليت شعري هلْ يصادف سامعا مطيعا يرى ذُل الحَياة سداها

يحتج الشاعر بتتابع مستمر للأحداث، مركزا على الحدث ونتائجه ومستتبعاته،ذاكرا حدثين: الحدث الأول: يبدأه بذكر ملة الإسلام عند الأسلاف التي بنت لهم مجدا وسؤددا، وذكر تفاصيل هذا الحدث، أنّ الرسول الهاشمي بنى صروح الملة المقدسة، فضمنت للمسلمين حياة رفيعة بتخليصهم مما يشين وحثتهم على بلوغ العلا والهدى، والعلوم التي أفاضت على العالم بأسره، فانتشرت في العالم لكونها حملت لواء الحق الواضح.

أما الحدث الثاني: فيبين الشاعر فيه بكاءه وخوفه على ضياع الملة السمحاء، فكانت النتيجة ضياع ا د، وكان السبب في ذلك اللئام والخائنين والجناة والأذلة، ليختمها بدعوة إلى الإصلاح والتقدم وإتباع الدين والهدى.

والملاحظ أنّ الشاعر مزج بين علاقتي التتابع والسببية، فقد ذكر السبب والنتيجة: فسبب بكاء الشاعر وخوفه هو ضياع الملة، وسبب ضياع الملة لكونها أصبحت غريبة مهانة من طرف اللئام والخائنين والجُناة، فكانت النتيجة عقاب وخيم وذل كبير وضياع ا د.

2- **العلاقة السببية** :

هذه العلاقة من أبرز العلاقات الحجاجية وأقدرها على التأثير في القارئ، وتعد نوعا من العلاقات التتابعية يمكن أن نعدها تتابعا سببيا للأحداث؛ ذلك أنّ المتكلم يحرص كل الحرص«على ربط الأفكار والوصل بين أجزاء الكلام دون اكتفاء بتلاحق عادي بينها، وتتابع طبيعي يجعل الأحداث أسبابا لأحداث أخرى ويسم فعلا ما بأنه نتيجة متوقعة لفعل سابق ويجعل موقفا معينا سببا مباشرا لموقف لاحق»[1]، تدل العلاقة السببية في ربطها بين الأسباب والنتائج على علاقات شبه منطقية تجعل من النص مترابط الأجزاء منسجم الأفكار، ويجعل من الحجة ذات قدرة إقناعية قوية تعتمد وسائل الاستدلال وأدوات المنطق.

[1] سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه ص327.

يقول الشاعرمحمد اللقاني بن السائح:[1]

ألا فَدعِ التغزلَ في غوانٍ	**فتلْك طَريقَةُ المُستهترينا**
وما شأنُ المُدامة في كُؤوسٍ	**بِها تستنزف العقْلَ الثمينا**
فَمن صوت البِلَاد لَنا نِداءٌ	**يكَاد المَرءُ يسمعه أنِينا**

يدعو الشاعر إلى ترك التغزل بالمرأة الغنية بجمالها عن الزينة، وترك الخمر والاستجابة لنداء الوطن، مقدما الأسباب والنتائج:فنتيجة التغزل استهتار، ونتيجة الخمر استنزاف العقل الذي هو أثمن شيء بالنسبة للإنسان؛لذلك ينبغي تركهما معا (الخمرة والتغزل) ثم يضيف الشاعر أنه من كثرة الضغط على ارتفاع صوت البلاد كاد أن يكون أنينا، فكيف والحال كذلك أن يأخذ الاستهتار بالشباب والتغزل والخمور.

وليحقق الشاعر غرضه الحجاجي كانت العلاقة سببية يوضحها الرابط"الفاء السببية" الذي يربط بين الحجة والنتيجة تذكيرا بمكارم الأخلاق وترك المفاسد عن طريق أفعال كلامية توجيهية غرضها الإنجازي طلبي بالأمر، وفعل كلامي غير مباشر السؤال الاستفهامي الذي غرضه التلميحي نهي عن شرب الخمر بعد معرفة النتيجة(وهي استنزاف العقل).

ويمكن «أن نبرز تارة السبب وطورا النتيجة وذلك حسب تصورنا للتتابع السببي إما في شكل علاقة سبب بنتيجة أو وسيلة بغاية فإذا أردنا التقليل من شأن عمل يكفي أن نبرزه كنتيجة وإذا أردنا تضخيم أهميته وجب تقديمه كغاية»[2]، وللروابط الحجاجية دور بارز في إبراز نوع العلاقة الحجاجية والتي تصل بين الأسباب والنتائج أو بين الوسيلة والغاية مثل "لذا ، ذلك أنني، سبب، فإنّ، ..."

يقول الشاعر **محمد بلقاسم خمار** في قصيدة واقعنا المؤلم[3]:

---

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري : شعراء الجزائر في العصر الحاضر،ج1، ص112.

[2] سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه ص327.

[3] إرهاصات سرابية من زمن الاحتراق ص49

إذَا ما المَرءُ عاش بِلا خصالٍ وكان يرى الهَوانَ ولا يبالي
فَإنّ بقَاءَه ظُلم وجرمٍ على سننِ العدالة والكمالِ

فالإنسان الذي يعيش في هوان ولا يبالي به ⟵ مقدمة صغرى،

والنتيجة الأولى: بقاؤه ظلم وجرم⟵ مقدمة كبرى

والنتيجة التي يخلص إليها القارئ قبل أن يكمل قراءة القصيدة هي: أنّ الموت أفضل من عيش الذل والهوان.

يصرح الشاعر بهذه النتيجة في آخر القصيدة مستعملا حجة مبنية للواقع وهي حجة اشتمال الكل على الأجزاء و موظفا الفاء السببية فيقول:[1]

فَإما أنْ نعيش كما أردنا وإلا فلْنمت موت الرجالِ
سبِيلُ المَوت غَايةُ كُلّ حر ومطْلب كُلّ من يهوى المَعالي

يقول الشاعر **محمد العيد آل خليفة**:[2]

إنْ أكُن قَد سكَت قَبلُ مليا فَلأن السكُوت فَصلُ الخطَابِ
إنْ تقُولَا كَيف احتجبت علَينا؟ فَفَم الكَون كَافلٌ بِالجَوابِ

ومقام هذين البيتين في قصيدة إثر تعطيل الحكومة الفرنسية لجريدة المنتقد، فنشرت في جريدة الشهاب، يخاطب بها الشاعر الشباب؛ حيث يفسر الشاعر سبب سكوته (السكوت فصل الخطاب)، ومبررا سبب غيابه (فم الكون كافل بالجواب)، مستعملا الروابط الحجاجية (لأنّ، وفاء السببية) التي تجمع بين الحجة والنتيجة. فصيرها الشاعر أسبابا ونتائج، وصاغها بأسلوب فني دقيق في حسن تعليل وتبرير، وتكثيف للمعاني وإذا بالنتائج تصبح بدورها

[1] إرهاصات سرابية من زمن الاحتراق ، ص50.

[2] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج1، ص93.

أسبابا لنتائج أخرى، تقود إلى أهم نتيجة في الخطاب لتدل على دقة التفسير، كما جعل سببا واحدا يقود إلى جملة من النتائج، ووظف العلاقة السببية للاستدلال على رأيه أو موقفه.

يقول الشاعر المولود بن الموهوب:[1]

قَالُوا نجحت فَقُلْت : قسمةُ خالقي قَالُوا: ارتقَيت فَقُلْت فعلُ الباري
قَالُوا : نصرت، قُلت: عن متجبر قَالُوا: خضعت فَقُلْت للأحرار

استعمل الشاعر عنصر الحوار متحدثا عن جحود أبناء وطنه رابطا بين السبب والنتيجة، فذكر أن سبب نجاحه وارتقائه هو قسمة الخالق، معتمدا الفاء السببية كرابط حجاجي، فمثلت أقوال الناس أسبابا وكانت أقوال الشاعر نتائج.

كما قد تنتظم العلاقة السببية على مستوى المعاني فتنعكس على بنية الخطاب الشعري، ومع غياب الروابط السببية؛ فتتدفق الحجج تدفقا وتنسجم المعاني انسجاما خاضعا لحسن التبرير والتعليل فتربط العلاقة السببية بين أجزاء الكلام، وتوفر طاقة حجاجية إقناعية هامة تثير الانتباه وتلفت الاهتمام وتيسر القبول والإقناع.

3- علاقة عدم الاتفاق:

من بين الروابط الحجاجية التي توضح علاقة عدم الاتفاق "لكن، غير أن، بيد أن، إلا أن، حتى، بل... فمثلا الرابط الحجاجي «لكن متى توسطت بين دليلين باعتبارها رابطا حجاجيا جعلت الدليل الوارد بعدها أقوى من الدليل الذي سبقها فتكون للاحق الغلبة المطلقة بحيث يتمكن من توجيه القول بمجمله فتكون النتيجة التي يقصد إليها هذا الدليل الثاني ويخدمها هي نتيجة القول برمته»[2]. فتكون هذه العلاقة الحجاجية حينما ينعدم التوافق بين الحجة والنتيجة.

---

[1] عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث ، دار الكتاب العربي ، الأعمال الكاملة الجزء الثاني الشعر الديني الإصلاحي ص139.

[2] سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه ص347.

يقول **رمضان حمود** في قصيدته **علام نلوم الدهر:**[1]

ونجزع للمكْروه من كُل حادث وما ذَاك إلا ما جنته الأناملُ
فَلَن يظْلم اللهُ العباد بِحكْمه ولكن كُفْر المَرءِ للمرءِ قَاتلُ...
نسِير وراءَ الناعقين تهالُكًا لنحظَى بِبعض الشيء والشيء سافلُ...
نقَلدهم في فسقهم ومجونِهم ولَكن سدا بيننا والفَضائل

فعلاقة عدم الاتفاق هذه يبينها الرابط الحجاجي "لكن" تبين تناقضا بين أعمال المرء وكفره وفسقه ومجونه وابتعاده عن الفضائل ...ثم لوم للدهر وجزع للمكاره، فهذا أمر متناقض لأن المكاره كانت نتيجة لتلك الأعمال وما جنته الأنامل والله في حكمه عادل.

يقول الشاعر **الربيع بوشامة** مخاطبا نفسه: [2]

عصيتك والعصيانُ للنفْسِ أحزم وصننتك رغْما والجَوانِح تضرم
وعذْت بِروحِ اللهِ والخَلْق راضيا بحظي فَلا أبغي ولا أتندم
جِهادي مدى الأيامِ فيك معزز أدافع من حينٍ لحينٍ وأهجم
وأقْعد للأهواءُ في كَل مرصد أُطَاردها دأبا ولا أتَلَوم
وأوسعها التنكيلَ والذل دائنا كَما دانَ عصٍ مستميت غَشمشم
يحارب للعلْياءِ والمَجد والهُدى ويدفَع بالحُسنى فَيعطَى ويحرم
ترسمت للأهوالِ منك وخضتها داركاً فَما أنْ لان مني معجم
وسقْتك رهن الأسرِ تحت سلاسلَ مضاعفَةً صماءَ فيها جهنم
أجاريك في الآمال حتى إذَا طُغت وحالَت إلى الأهواءِ فالغل محكَم
لَك الله من خصمٍ حبِيبٍ مقَرب أساقيك آلاما وأنت المُعظم
وأجزيك حرمانا –برغمي- وإنني لَعمرك أوفَى الناسِ عهدا وأرحم

---

[1] صالح خرفي : حمود رمضان ص89-90.
[2]جمال قنان: ديوان الشهيد الربيع بوشامة ص119.

حنانيك قَد حملْتِنِي كل قَادحٍ وسؤتك في محياك والكُلُ مؤلمُ
كلانا شريك في همومِ رفيقه فكيف أراك الدهر تؤذي وأسلَم
لَك الحَق أنْ تهوي وتأسي وتشتكي ولي معك الأفْكار واللحم والدم
أمدك في عمري بكُل كَريمة وأسقيك من روحي فَتحيا وتنعم
حليفَان فيما نبتغيه من المُنى وإلْفَان في الأشواق نصبو ونألم
ترى الحُسن معروض المَسرات والجَنى تقَربه العينان والنفْس تحرم

تظهر علاقة التناقض في قوله (فيعطي ويحرم) و(نفسه الخصم الحبيب المقرب) (أجزيك حرمانا) فالشاعر يتحدث عن صراعه بين الضمير والأهواء بين سلطان العفة وسحر الجمال، وصراعه بين نفسه التي يسايرها في المنى والأشواق في الآمال والآلام والعز وا د، أما إن طغت الأهواء واستبدت وأمرته بالسوء، فإنه يحرمها رغما عنه فهي خصم حبيب مقرب ويطارد الأهواء ويأسرها ويجزيها حرمانا.

4- **علاقة الاقتضاء:**

وعلاقة الاقتضاء هي علاقة حجاجية تصل الحجة بالنتيجة مثلها مثل العلاقات الحجاجية الأخرى، ولكنها «تتميز عن كل علاقة بأنا تجعل الحجة تقتضي تلك النتيجة اقتضاءً والعكس صحيح»[1] ، فالحجة والنتيجة متلازمتان هذا التلازم لا توفره سائر العلاقات حتى السببية؛ لأنا تجعل من العلاقة شبه حتمية، وأدوات الشرط أقدر الروابط على توفير هذا النوع من الاستدلال، فالشرط يستوجب الجواب وهو في الآن ذاته مسبب لهذا الجواب، أي أنه سبب لنتيجة هي الجواب، وعلاقة الاقتضاء لها وظيفة حجاجية كون الشرط هو السبب والنتيجة يمثلها جواب الشرط، كما أن توظيف الاقتضاء قد يكون مغايرا أحيانا ذا طاقة حجاجية هامة تأخذ أكثر من اتجاه، فقد يتحقق الشرط وينعدم الجزاء؛ أي يوجد السبب ولا تتحقق النتيجة.

[1] سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه ص335.



يعرف الشرط بأنه«أسلوب لغوي يبنى –بالتحليل- على جزءين الأول م ل بم لة السبب، يتحقق الثاني إذا تحقق الأول، وينعدم الثاني إذا انعدم الأول، وجود الشيء معلق على وجود الأول»[1].

ولقد تحدث "**فان دايك**""Van Dijk"عن هذه الروابط الحجاجية الشرطية، باعتبار العلاقات بين الأحداث، فمهمة الروابط الأساسية هي التعبير عن هذه العلاقات و«قد تكون هذه العلاقات مفككة الربط كالحال في الفصل والوصل، إلا أنه يجوز أن تكون أيضا تلك العلاقات ذات قوة متينة، على معنى أن الأحداث يمكن أن تكون متعينة، أو مشروطة بعضها ببعض، وينبغي أن تسمى هذه الفئة الشاملة لمختلف الروابط، مما يعبر عنه باقتران تبعية العلاقات بالقضايا والأحداث بلفظ القضايا المتشارطة»[2]، وهذه القضايا هي ما يعرف بالتراكيب الشرطية.

والعلاقة الشرطية بينهما توجد بوجوده وتنتفي بانتفائه، و«الأصل في هذا القانون الحجاجي هو قاعدة تخاطبية؛ مقتضاها أنّ المتكلم يخبر المخاطب بأقصى ما يمكن من الفائدة، فيصير هذا الأخير إلى حمل قوله، على إفادة أنّ العلاقة بين المقدم والتالي علاقة شرط، طردا وعكسا لا طردا فحسب»[3]، أي إن انعدم الشرط انعدم الجزاء، وقد يربط بين جملة الشرط وجوابه رابط لغوي وهو:"الفاء" التي تقع «رابطة لجواب الشرط؛ فتؤدي وظيفة الربط بين الجواب وشرطه»[4].

ومن أدوات الشرط كذلك"**إنْ**" وقد تستعمل في المشكوك في وقوعه[5]، ومثال ذلك قول الشاعر**محمد السعيد الزاهري**:[6]

[1] مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص284.
[2] فان دايك: النص والسياق ، ص101.
[3] طه عبد الرحمن : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص397.
[4] فاضل مصطفى الساقي: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي القاهرة 1397ه-1977 ص338.
[5] ينظر مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص290.
[6] محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج1 ص199.

فإنْ كَانَ منهم من يجِيب فَإننا   **سنحظَى بِما ننوِي ونحظَى بِآمال**
وإنْ لَم يكُن من يفْعلُ المَجد منهم   **فَإني على فعلِ العلا غَير مكْسال...**
ولَيس يفيد النصح في **المَرءِ إنْ لَم يكُن**   **لَه وازع من نفْسِه كُل ما حال**

فالشرط سبب والجواب نتيجة وبينهما علاقة اقتضاء، فالشرط في البيت الأول استنهاض واستجابة لنيل ا د وبلوغه فتكون النتيجة بلوغ المأرب والمنى، ويجعل الشاعر من نفسه قدوة للمتلقي الذي لم يمتثل لنصحه بأنه لن يتوانى عن طلب العلا، ثم يجعل الشاعر المتلقي محل اختيار بين الامتثال أو العصيان، وإن كان عصيانا فهذا يقتضي ضعف الوازع أو الزاجر من نفسيته، فلا يفيده نصحا، هذه العلاقة الحجاجية الاقتضائية هي علاقة شبه حتمية.

أما **"إذا"** الشرطية ف«تستعمل مع المتوقع وقوعه، فالأصل في(إذا) أن يكون الشرط مقطوعا بوقوعه»[1]، وهناك خمسة فروق بين إذا الشرطية، وإذا الفجائية «الأول أنّ "إذا"الشرطية لا يليها إلا جملة، و"إذا" الفجائية لا يليها إلا جملة اسمية، والثاني أنّ "إذا" الشرطية تحتاج إلى جواب، و"إذا" الفجائية لا جواب لها، والثالث أنّ "إذا" الشرطية للاستقبال، و"إذا" الفجائية للحال... والرابع أنّ الجملة بعد "إذا" الشرطية في موضع خفض بالإضافة، والجملة بعد "إذا" الفجائية لا موضع لها، والخامس أن "إذا" الشرطية تقع صدر الكلام، و"إذا" الفجائية لا تقع صدرا»[2].

ومن أمثلة **"إذا"**قول الشاعر**"الربيع بوشامة**:[3]

أجاريك في **الآمال** حتى **إذا طُغت**   **وحالَت إلى الأهواءِ فالغل محكَم**

[1] مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص291.
[2]الحسن بن القاسم المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوي، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1413ه-1992م ص373-374.
[3]جمال قنان: ديوان الشهيد الربيع بوشامة ص119.

فالشاعر هنا يوظف علاقة اقتضائية شرطية معتمدا على الرابط الحجاجي "إذا" محاورا نفسه، فهو يجاريها في آمالها وأمانيها أما إذا طغت فإنه يحكمها ولا يجاريها، فيظهر الرابط الحجاجي "إذا" في البيت سابقا للمسبب، ويربطها بالسبب، والنتيجة عدم مجاراته لآمال نفسه وأهوائها، والسبب والنتيجة محتملان في الوقوع حيث يتعلق وجود النتيجة بوجود السبب وتنتفي بانتفائه.

وفي قول الشاعر **محمد العيد**:[1]

علم البنت فَهي أس وقوام لهيكل البنيان
إنما الشعب عنصر بشري من نِساءٍ نما ومن ذُكْران
فَإِذَا عمت الثقَافَةُ جِنسي ه استقَلت بِجِسمه الرجلَان
وإِذَا خصت الرجالَ فعرجى في خطَاها تدب بِالعرجان...

يظهر جليا توضيح النتيجتين المحتملتين باستعمال الرابط الحجاجي إذا في موضعين بوجود السبب وبانتفائه.

ومن الروابط الحجاجية التي تفيد الاحتمال؛ أداة الشرط **"لو"**وهي«تستعمل فيما لا يتوقع حدوثه، وفيما يمتنع تحققه أو فيما هو محال، أو من قبيل المحال»[2] وتقوم "لو"«بوظيفة التعليق في الجملة الشرطية تفيد ما يلي:١-الشرطية، ٢-تفيد الشرطية بالزمن الماضي، ٣-الامتناع»[3]، وإفاد ا للتعليق توجب تعليق جملة على جملة أخرى، ويكون بينهما ترابط واتصال معنوي؛ حيث تكون الجملة الأولى سببية، والجملة الثانية مسببية[4].

يقول الشاعر **عمر بن قدور الجزائري**[5]:

[1] الديوان ص268-269.
[2] مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص291.
[3] فاضل مصطفى الساقي: أقسام الكلام العربي،ص380.
[4] ينظر، عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف بمصر، ا لمد الرابع، 1968، ص459.
[5] صالح خرفي: عمر بن قدور الجزائري، ص75.

يا شرق ما لعقُول قَومك لا تعي نصحا من المَاضي إلى المُستقْبلِ
فَكأنها عميت فَلم تبصر أناسا لا ولا خلُقًا ولَم تتجول
لَو كُنت تعلَم كَيف تعملُ للعلَا لَغدا لمَدرسة بنوك ومعملُ
ما بين لَهو دائِبين وغَفْلَة وتكَاسلٍ وتقَاعد وتعللِ

فأداة الشرط "لو" تدل على«امتناع الثاني لامتناع الأول»[1]، فلم يجعل للمدارس بنوك ومعامل، لعدم معرفة طرق العلا، فامتنع الجزاء لامتناع الشرط. فالنتيجة هنا محتملة لأنّ السبب محتمل كذلك، فكانت العلاقة هنا علاقة سببية،ومن هنا تضاعفت قوة الحجاج في هذا القول.

والوظيفة الحجاجية للجملة الشرطية عموما هي القدرة على «توفير علاقة اقتضاء شكلي بين السبب والنتيجة، سبب يمثله الشرط ونتيجة يمثلها الجواب في مستوى أول، وعلى توفير علاقة اقتضاء أيضا بين حجة يمثلها الشرط والجواب معا ونتيجة يصرح ا المتكلم تارة ويخفيها طورا في مستوى ثان»[2].

يقول الشاعر **أحمد معاشي الباتني** في سياق وصفه لضلالة المستعمر الجائر:[3]

من ضل متعمدا وضللَ غَيره وأحل محضورا من الفجارِ
وعتا يهين من العباد ضعيفَهم وأتى على الحُرمات والآثَارِ
لا الدين يردعه ولا دين له أو خلةً من خلُقه المُنهار

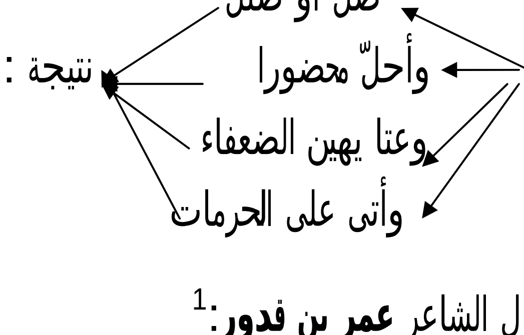
يجمع الشاعر بين أربع أسباب ونتيجة اقتضائية واحدة(لا الدين يردعه ولا دين له أو خلة من خلقه المنهار).

---

1 المرادي : الجنى الداني في حروف المعاني، ص273.
2 سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص336.
3أحمد معاشي الباتني:البصائر 2/ع1950/01/105،03، ص5، نقلا عن زحاف الجيلالي ، أشكال التعبير الأدبي في جريدة البصائر الثانية دراسة موضوعاتية جمالية رسالة ماجستير ، إشراف عبد الملك مرتاض ص81.



من



نتيجة : مقامه منحط منهار ليس له دين ولا خلق

يقول الشاعر **عمر بن قدور**:[1]

للضعف أهواءٌ تثير عجاجه   منها الغرور، وذَا مداه ممات
من يملك الأهواءَ يملك قُوةً   والأرض فيها للشداد حياة
من يفْقَه الأوقَات يفْقَه عبرةً   فيها الفَضيلةُ للعلا مرقَاةُ
أين القَوي ممن توطد بِالثرى   سلْطَانهم لَعبت بِهم أوقَات
إنْ كَانَ قَوم الغربِ أمنع قُوةً   فَلكُل قَومٍ نهضةٌ وسبات
لَتداولَ بين الناسِ كَأس سعادة   ولكَأس شر بعدها ووفَاةٌ

يحتج الشاعر على إمكانية نهوض الضعيف وامتلاكه القوة والسلطة والعلا والفضيلة وذلك بامتلاكه لأهوائه وغروره، فإن هو امتلكها امتلك القوة وإن فقه التاريخ فهم العبرة هي كلها علاقات اقتضائية جمعت بين الحجج والنتائج جمعا شرطيا يتحقق بتحققها وينتفي بانتفائها، ثمّ يختمها بعلاقة استنتاجية مثلت العبرة التي كان يريد من متلقيه فهمها (لكل قوم نهضة وسبات) فقد يصبح القوي السعيد ضعيفا ويمسه الشر والموت، كما قد يصبح الضعيف قويا..

يقول الشاعر **المولود الزريبي**(بن محمد بن عمر)(1898-1925):[2]

وللناسِ أشكَالٌ وألْوانٌ جمةٌ   فَأيهم أحرى بِصدقٍ ولَائيا
ولَيسوا ذَوي طَعمٍ فَأعرف حلْوهم   وشم فَأدري من شذَاهم ذَكَائيا
فَإنْ رمت تعريفًا لأَخلَاق معشرٍ   فَما كُنت إلَا ملْغزا أو محاجِيا

---

[1] صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، ص45-46.

[2] محمد بن رمضان شاوش ، الغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء ،ص211-212.

ولكنها هي التجارب حكْمةً ودرس بليغٌ أو خطيب رائيا
ولكنها الأخلاق نار وجنةٌ وبينهما الإنسانُ يجهد ساعيا
فوا عجبا للدهرِ يرفَع سافلًا ويلْبِس شمس الحَق ثَوبا خاليا

يمزج الشاعر بين علاقتين حجاجيتين هما علاقة الاقتضاء وعلاقة التناقض، وتتجلى علاقة الاقتضاء في ربطه بين القضية والنتيجة، فمعرفة أخلاق الناس تقتضي الألغاز والأحاجي، كما تظهر علاقة التناقض في قوله أن الأخلاق النار والجنة، لذلك يجهد الإنسان بينهما بين الباطل والحق وما ذُكر يمثل حجة سببية، فلأنّ الدهر يرفع السافل من الناس تعددت أخلاقهم.

ويقول **رمضان حمود**: [1]

ومن لم يذُق طَعم الردى بِنضاله سيشكُو الأذَى والدمع من عينِه يجري
أيعيش كَئيبا حائرا طُولَ دهره يرى صروف الدهر عسرا على عسرِ

تظهر علاقة الاقتضاء بين عدم الموت في سبيل الحرية (سبب) ونتيجة الأذى والشكوى والبكاء، فمن لم يذق الموت بنضاله وكفاحه لتحقيق حريته، فإن النتيجة شكوى الأذى والألم.

-5- علاقة الاستنتاج: الاستنتاج هو استخلاص محصلات وملاحظة مبدأ أو فكرة ما، حيث يتم استنتاج فكرة وفق تنظيم وتسلسل من حجة مقدمة، «ونكشف عن الجهد الاستنباطي عند الشخص المحاجج من خلال استعماله الأفعال التالية: ينصح أن، ينتج عن، يمكن أن...إلخ يمثل الاستنباط شكلا للسببية، حيث يكون الحد الأخير خلاصة بمثابة نتيجة إنه حركة فكرية تنقلنا من المبدأ إلى نتائجه أو تطبيقاته إنه الـ ول من العام إلى الخاص إنه في

[1] نفسه، ص218-219.

الواقع، انطلاق من مقدمات القياس، ومن فئات عامة من أجل الوصف، والإبداع والتقرير»[1] .

كما توضحها كذلك روابط حجاجية من مثل : إذن ، بما أنّ، لذا، لهذا ، نتيجة ذلك، نتج عنه، وهذا ما أدى إلى...

يقول الشاعر **عمر بن قدور الجزائري**[2]:

إنْ كَانَ حقك في **الحَقيقَة ضائعا فَكَما تضيع إذَنْ حقُوق الغفل**

يستنهض الشاعر الشرق ليأخذ حقه ويتحرر من سطوة الغرب بطريقة ساخرة تلميحية فلا يضيع الحقوق إلا المغفل، ويجمع الشاعر بين علاقتين حجاجيتين (علاقة الاقتضاء- وعلاقة الاستنتاج) يوضحها الرابطين الحجاجيين (إن) و(إذن)، وعلاقة الاستنتاج هي علاقة شبه منطقية كونا تجعل الحجاج انتقالا من فكرة إلى فكرة أخرى بطريقة منظمة،(حقوقك ضائعة **إذن** أنت مغفل) ومن الحجة الأولى نستنتج الحجة الثانية وفق تسلسل منطقي.

وقد ترد علاقة الاستنتاج بطريقة ضمنية مضمرة دون تصريح، خاصة عندما يعمد الشاعر إلى ترك مهمة الاستنتاج للقارئ؛ أي حين يعرض عليه المقدمات ويترك للمتلقي أمر استنتاج النتائج، حيث ينتقل الشاعر من التعميم إلى التخصيص ومن القاعدة العامة إلى الخاصة.

---

[1] ليونيل بلنجر: عدة الأدوات الحجاجية، ترجمة قوتال فضيلة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي ص143.

[2] صالح خرفي: عمر بن قدور الجزائري، ص75.



خاتـمـة



انطلق البحث من رأي مسبقٍ حول إمكانية التحليل التداولي الحجاجي للخطاب الشعري، واتخذ من شعر الحكمة الجزائري الحديث فضاءً إجرائيا، فكان لزاما عليه أن ينطلق من إثبات هذا الافتراض ليحقق مشروعيته؛ خاصةً وأنّ الخطاب الشعري يختلف في طبيعته عن الخطاب اليومي المتداول.

وكانت الدراسة الحجاجية للخطاب الشعري ثلاثية الأبعاد متعلقة بحجاجية الأساليب البلاغية، وحجاجية الفعل الكلامي، والآليات الحجاجية، فألقى البحث الضوء على خطابات شعرية -من الشعر الجزائري الحديث- طامحا إلى تحديد التقنيات الحجاجية ورصد العلاقات التي تربط الحجج، وكذا تبيان مراتب الحجج الموظفة في الشعر، فوجدنا أن الشاعر في حجاجيته يحاول إقناع مخاطبه بحِكَمه وتوجيهه ابتغاء تعديل رأيه وإصلاحه أو تغيير سلوكه أو استنهاضه ودفعه إلى إنجاز فعل معين؛ فيبني خطابه الحجاجي على جملة من التقنيات التي يوظفها إظهارا وإضمارا، مما يتيح التأويل التقديري للمقاصد الضمنية لخطاب الشاعر.

ومن أهم النتائج التي سجلناها في مضامين هذا البحث ما يلي:

- إن كان **ديكرو** يرى أنّ الحجاج عنصر كامن في اللغة سواء من حيث بنيته أو من حيث وظيفته؛ حيث أثبت أن الحجاج بعد ملازم لكل خطاب وأن اللغة حجاجية في ذا ا، إلا أنّ بعض الأنماط الإبداعية قد تكون غير حجاجية ما لم تتوافر على مقصدية الإقناع، ولما كانت درجة الحجاج وطبيعته تختلف من خطاب إلى آخر جاز القول بمكنة حجاجية الخطاب الشعري متى احتمل الإقناع من وراء القصد.

- خرج الحجاج في الشعر عن محيط المنظور اللغوي المتمثل في الخصام والمغالبة إلى دائرة التوجيه والتنبيه، ليحقق اقتناع المتلقي، كما تنوع الخطاب الحجاجي من أخلاقي إلى إنساني، فكانت الحكمة الشعرية ذات منهج تربوي، حيث التهذيب الأخلاقي للسلوك الإنساني.

- ليس الحجاج في الشعر بالمعنى المنطقي المعتمد على الجدل والبرهان، وليس بالمعنى العاطفي المعتمد على إثارة المشاعر والانفعالات؛ بل هذه كلها الهدف الأساسي لكل خطاب حجاجي وهو الوصول إلى إقناع السامع إقناعا إراديا.

- لم يخلُ الحجاج في شعر الحكمة الجزائري الحديث من وظائف قصدية للشاعر ساقها الموقف والظرف المضطرب اجتماعيا وسياسيا، لتحقيق مآرب إصلاحية واستمد الحجاج في الشعر قوته من القيم الأخلاقية والسلطة الدينية، أو المعرفية، ويكمن في تقديم الحجج التي تسمح للمخاطب بإنجاز فعل التوجيه عبر يئ الأرضية لقبول توجيهاته.

- يؤدي التمثيل دورا حجاجيا بالغ الأهمية كونه يسهم في تقريب الصورة للمتلقي؛ لأنّ الشاعر يستعمله بوصفه تقنية استدلالية حجاجية تدعم الحجة بدرجات متفاوتة من العالم المتخيل إلى الواقعي المحسوس، وعلى هذا الأساس فإنّ انتقاء الشاعر لصورة بلاغية معينة سيكون قائما لا ريب على الدرجة التي ينبغي للإقناع إدراكُها وعلى رتبة المتلقي المراد إقناعه.

- يستحضر الخطاب الحجاجي الشعري ما يوصف في الدراسات النقدية واللغوية بالتناص لترسيخ الحجة في قلب المتلقي؛ ابتغاء الأخذ بمجامع القلب وترسيخ الحجة.

- يتدعم الحجاج بطاقة الإيقاع الإيحائية فالبنية الإيقاعية بموسيقاها الداخلية والخارجية، هي أحد المنابع الإقناعية، والحجة الشعرية فيها تكون مضمرة خفية، هذه الحجج الإيحائية ذات شحنة موسيقية، تظهرها التوازيات الصوتية، كما تبين لنا أنّ الخطاب الشعري حين يحاجج باستعمال الإيقاع فحجاجه ظاهر ومضمر، يمكن أن ننتقل من الإيقاع إلى الحجة كما ننتقل من الحجة إلى الإيقاع.

- يعتمد المتخاطبون على قواعد الخاطب ابتغاء إنجاح عملية التواصل، ويحتاج الخطاب الشعري إلى شروط تضمن نجاحه، وقواعد خطابية تؤطره تبنى على قاعدتي

الاحترام والانتهاك اللتين تفضيان في الغالب إلى إنجاز فعل ما، وحينما يقوم الشعر بانتهاك قواعد الخطاب يكتسي صفة ضبابية تعكس طبيعته المخاتلة فيغدو خطابا مراوغا تتكوثر معانيه.

- الحجاج فعل كلامي تجب دراسته في نطاق اللغة؛ لأنّ نظرية الحجاج في اللغة امتداد وتطوير لنظرية الأفعال الكلامية؛ حيث تنحصر وظيفة الحجاج كفعل كلامي في دلالة الأقوال على التوجيهات الحجاجية الناتجة عنها. وتنبني الحجة في الشعر على الأثر الناتج عن فعل الكلام، فتستمد قو ا وقدر ا على التأثير في المتلقي ليقتنع بالفكرة ويقوم بإنجازها.

- كشف تحليل حجاجية الأفعال الكلامية في الشعر الجزائري الحديث عن جملة من المقتضيات والاستلزامات في الخطاب بين الشاعر والمتلقي. ولنجاح الفعل الحجاجي الشعري كان الشاعر يلجأ إلى المراوغة والاستمالة النفسية باستعمال أسلوب الصديق الحميم، واختيار الإحالة الضميرية (نحن) قصد تغليب الأنا الجمعية، مما يسهم في توليد الشعور بمتانة العلاقة بين الشاعر ومتلقيه. وغالبا ما يلجأ الشاعر في شعر الحكمة إلى رسم صورة مثالية للإنسان وإنسانيته، دون نفي أو استهجان صورة أخرى، وبذلك يترك هذا الفعل للمتلقي بشكل استنتاجي.

- تتميز أبيات الحكمة بقابلية التجرد من سياقها النصي الذي ولدت فيه لتحيى في سياقات أخرى، لكو ا تتعلق بجانب ثابت لا يتغير في كل الحالات، وحقائق ثابتة؛ مثلا (حقيقة الموت والحياة) تشكل فضاءً ذهنيا مشتركا ليس بين المبدع والمتلقي فحسب؛ بل بين جميع البشر، كما أنّ تجريد أبيات الحكمة من سياقها يتبعه تغيير في طبيعة فعلها المنجز.

- بانت لغة معظم الشعراء الجزائريين عن غريب الكلام، لتتخذ لها من المتداول منه أساسا ترتكز عليه وظيفة إفهام المتلقي المعني، وهذا من شأنه خلق جو من الألفة والاطمئنان بين الشاعر ومتلقيه، فكان مراعيا لظروف المتلقي واستعداداته، كونه يخاطب

مجتمعا طغت عليه الأمية بسبب الاستعمار الذي كان يهدف إلى القضاء على اللغة العربية وطمس الشخصية الجزائرية. فكان الشاعر يهدف إلى النصح والإرشاد والإصلاح، وهذا يدلّ على أنّ الشاعر كان حريصا على تحقيق التأثير المطلوب.

- كان الشاعر الجزائري - في معظم الأشعار المستشهد ا في البحث - يركز على نقطة واحدة تترادف فيها الحجج وتتضافر فيها مجموعة من الأفعال الكلامية المستخدمة من أجل أداء الغرض الحجاجي.

- استعمال الشاعر لأفعال الكلام التأكيدية يقوم على الإيضاح والإفهام وتقرير الفكرة والاحتجاج لها وتأكيدها ابتغاء إحراز اقتناع المتلقي بالفكرة المطروحة، وحينما تدل العبارة على غرض السلوكيات أو التعبيريات؛ أي تلك الأفعال التي يكون الغرض الإنجازي منها هو التعبير عن الحالة النفسية، مثل الشكوى، الاعتذار، السرور، أو الألم... فقد يكون لها بعد حجاجي حينما يقصد الشاعر الوعظ محققا بذلك فعلا كلاميا غير مباشر.

- يمكن تحليل حجاجية الفعل الكلامي سواء أ كان مباشرا أم غير مباشر، وتكون الدرجة الحجاجية للأسلوب غير المباشر أشد قوة من الأسلوب المباشر؛ كون الأول يقوم على التلميح وعلى تضمين القول واستدراج المتلقي عن طريق الاستلزامات الحوارية، أو الاستدلالات التي توجه المتلقي الوجهة التي يبتغيها الشاعر، كما قد تظهر حجاجية الفعل الكلامي في الأفعال الكلامية المباشرة (الوعظية)؛ بل وحتى في الأفعال الوصفية (غير الإنجازية بتعبير **أوستين**)؛ لأنّ وصف الوضع الراهن المؤلم من قبل الشاعر قد ينبني على تحقيق غاية حجاجية، فالشاعر قد لا يصف الواقع من أجل الوصف ولكن من أجل التأثير في المتلقي، أو دفعه إلى العمل والإصلاح.

- تقنيات الحجاج وآلياته تكشف لنا عن البعد الحجاجي التداولي المؤشر له في بنية الخطاب، فقد تكون هذه التقنيات حججا شبه منطقية، ومع قلتها في الشعر إلا أنّ معظمها كان حجة تقسيم أو اشتمال، وتمثلت حجج الاشتمال خاصة حينما يمزج

الشاعر بين غرض الحكمة والرثاء، حين يبين الشاعر أن الكل يشمل جميع الأجزاء، والموت مصير كل إنسان، والمرثي جزء من هذا الكل. وقد تكون هذه التقنيات مؤسسة للواقع، كالحجج التتابعية والغائية وحجج التعايش أو الحجج المبنينة للواقع التي تربط بين الأحداث والأشياء؛ كحجة الشاهد والمثال والقدوة والمقارنة والتناسب، وأغلب الحجج في الشعر استندت على الواقع محاولة تأطيره أو بنينته.

- أظهرت هذه الدراسة أن الخطاب الشعري قد يتوافر على مجموعة من التقنيات الحجاجية، وكثيرا ما تختلط هذه التقنيات بعضها مع البعض الآخر؛ مثل حجة المقارنة مع حجة المثال، فتتضمن حجة المثال دائما نوعا من المقارنة وهي في حد ذا ا سلطة واقعية ونموذجية، ويمكن لهذه الحجة المقارنة أن تكون حجة قدوة، فالشاعر الذي يقارن بين حضارة الأجداد وواقع الأبناء، ألا يمكن أن يكون قصده الحث على الاقتداء م، كما تمتزج حجة القدوة مع حجج الشخص وأعماله؛ ثم إنّ حجة الاشتمال تمتزج بحجة التقسيم، لارتباطهما بالكل وأجزائه؛ لذلك يصعب العثور على حجج نقية غير ممتزجة بحجج أخرى.

- يعد السلّم الحجاجي رافدا من الروافد الأساسية في أي خطاب حجاجي؛ كونه يبين تراتبية الحجج وتدرجها من الأضعف إلى الأقوى، موجهةً المتلقي نحو النتيجة التي يبتغيها المتكلم، وتمكن البحث من استخلاص بعض النماذج من السلالم الحجاجية في الشعر الجزائري الحديث مبينا كيفية ترتيبها.

- جاءت الحجة في الشعر ذات دلالات تتراوح بين القوة والضعف في الدرجة الإقناعية، وكانت أحيانا صريحة ظاهرة وأحيانا أخرى إيحائية مضمرة، واتسمت الحجج الأكثر قوة بتجاوز المتلقي التاريخي الراهن إلى متلق كوني، فاحتفظت بجوهرها الخالد وبحكمتها المقنعة عبر فعل الحجاج الذي يجعلها دائما ممكنة وقادرة على الفعل.

- ربط الشاعر بين حججه ونظمها على شكل علاقات تربط بين الحجة والنتيجة، قد تكون هذه العلاقة تتابعية أوسببية أو اقتضائية أو مبنية على التناقض أو

استنتاجية، وتساعد الروابط الحجاجية على معرفة نوع العلاقة الرابطة بين الحجج، كما يمكن للمتلقي أن يستدل على نوع العلاقة الحجاجية حتى مع إضمار النتائج أو الروابط.

ورغم تجشمنا عناء البحث والتقصي لاستجلاء قضايا هذا الموضوع ومسائله، إلا أن هذا لا يعني البتة القول بإدراكنا م لة التأسيس لأنموذج متكامل ينهض على الحجاج بما يعتمل فيه من آليات لتحليل الخطاب الشعري، بقدر ما سعينا إلى هذا التحليل وفق التصور التداولي.

نأمل أن نكون قد وفقنا في مسعانا، وما توفيقنا إلا بالله نحمده سبحانه استكفى الزلل في القول والعمل.



مكتبة البحث



مكتبة البحث:

القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع.

أولا - قائمة المصادر والمراجع العربية والمترجمة:

1. **إبراهيم عبد المنعم إبراهيم** : بلاغة الحجاج في الشعر العربي شعر ابن الرومي نموذجا: مكتبة الآداب القاهرة ط1، 2007.
2. **ابن رحمون مصطفى أبو بكر:** الديوان، شعراء الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مركب مطبعة الرغاية الجزائر 1980.
3. **ابن رشيق الحسن القيرواني:** العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة، مطبعة السعادة 1955، ط2، ج1.
4. **ابن كثير:** تفسير القرآن العظيم، كتب هوامشه وضبطه حسين بن إبراهيم زهران، طبعة جديدة مخرجة الأحاديث ومصححة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان،- 1426ه-1427ه 2006م .
5. **ابن منظور:** لسان العرب، دار صادر بيروت، ا لمد الثاني، ط1، 1410، 1990م
6. **أبو الطيب المتنبي:** الديوان، دار الجيل ، بيروت. دون طبعة، دون سنة.
7. **أبو العباس محمد بن يزيد المبرد:** المقتضب، تحقيق حسن حمد، مراجعة إيميل يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1420ه-1999م.
8. **أبو الفرج قدامة بن جعفر:** نقد الشعر تحقيق عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان. دون سنة ، دون طبعة.
9. **-**:نقد النثر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1422 ه ـ1982.
10. **أبو الفضل الميداني:** مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط2- 1959م.

11. **أبو الوليد الباجي**: المنهاج في ترتيب الحجاج تحقيق عبد ا يد التركي، دار الغرب الإسلامي ط2 ، المغرب 1987.
12. **أبو بكر العزاوي**: الخطاب والحجاج، العمدة في الطبع.الطبعة الأولى.الدار البيضاء .المغرب.
13. : حوار حول الحجاج، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء ، ط1، 2010.
14. **أبو تمام حبيب بن أوس الطائي**: الديوان، ضبطه وشرحه، الأديب شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
15. **أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:** البيان والتبيين وضع حواشيه موفق شهاب الدين منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الأول 1-2-ط1 1419ه-1998 م .
16. **-** :رسائل الجاحظ الفصول المختارة من كتب الجاحظ اختيار الإمام عبيد الله بن حسان، شرح وتعليق محمد باسل عيون السود، ا لمد2، الجزء4، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1420ه،2000م.
17. **أبو هلال العسكري:** - الصناعتين، (الكتابة والشعر) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الطلائع، القاهرة،/2004.
18. **-** : الفروق اللغوية، ضبط وتحقيق حسام الدين القدسي دار الكتب العلمية الطبعة الأولى بيروت 1401-1981.
19. **أبو يعرب المرزوقي:** مفهوم السببية عند الغزالي، دار بوسلامة للطباعة تونس، الطبعة الأولى.
20. **أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي**: مفتاح العلوم حققه وقدم له عبد الحميد الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1420ه-2000م، ط1.

21. **أحمد اتزكنرمت:** الحجاج في المناظرة مقاربة حجاجية لمناظرة أبي سعيد السيرافي لمتى بن يونس، ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي دراسات في البلاغة الجديدة إشراف حافظ إسماعيلي علوي، دار: ورد الأردنية للنشر والتوزيع ط1 ، 2011.

22. **أحمد المتوكل**: الاستلزام التخاطبي بين البلاغة العربية والتداوليات. ضمن كتاب التداوليات:علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن 2011، ط1.

23. **أحمد بن فارس:** الصاحبي: في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، تعليق أحمد حسن بسج، بيروت لبنان، ط1، 1995.

24. **أحمد شرفي الر فاعي:** الشعر الوطني الجزائري من 1925-1954، دار الهدى عين مليلة الجزائر/ط2010.

25. **أحمد شوقي:** الشوقيات راجعه وضبطه، يوسف الشيخ، محمد البقاعي، دار الكتاب العربي، الجزء الأول في السياسة و التاريخ والاجتماع ، بيروت لبنان، 1427ه-2006.

26. **أحمد طالب الإبراهيمي** :آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي الجزء الأول (1929-1940) ط1997/1.

27. **أحمد طايعي:** القراءة بالمماثلة في الشعرية العربية القديمة ، منشورات زاوية مطبعة إليت، ط1، 2007الرباط.

28. **أحمد قادم**: شعرية الإقناع في الخطاب البلاغي والنقدي، المطبعة والوراقة الوطنية الداوديات، مراكش ، ط1، 2009.

29. **أحمد محمود نحلة**: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية 2002.

30. **الأخضر السائحي:** بقايا وأوشال، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1987.

31. : همسات وصرخات، دار الطليعة بيروت للطباعة والنشر ط1 كانون الأول ديسمبر 1965

32. **أرسطو طاليس** : الخطابة، الترجمة العربية القديمة تحقيق عبد الرحمن بدوي وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان 1979.

33. **أرسطو طاليس** : كتاب الشعر، نقل أبي بشر متى بن يوسف القبائي من السرياني إلى العربي، تحقيق شكري محمد عباد، الكتاب للطباعة والنشر القاهرة 1386ه،1967م.
34. **الأمير عبد القادر الجزائري**: الديوان تحقيق ممدوح حقي، دار اليقظة بيروت ط2، 1962.
35. **آن ربول جاك موشلار:** التداولية اليوم علم جديد في التواصل ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة ، بيروت ط1- تموز يوليو 2003.
36. **أوزوالدديكرو، جان ماري سشفاير**: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2007.
37. **باتريك شارودو**: الحجاج وأشكال التأثير ترجمة ربيعة العربي ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي إشراف حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن، 2010 .
38. **براون ويول:** تحليل الخطاب ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، دار النشر والمطابع الرياض ، جامعة الملك سعود، 1418ه.
39. **بناصر البعزا**تي**:** الصلة بين التمثيل والاستنباط، ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة ندوات ومناظرات رقم134، المملكة المغربية جامعة محمد الخامس ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ط1، 1427ه-2006م.
40. **بول ريكور** : نظرية تأويل الخطاب وفائض المعنى ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط 2006/2 .
41. **جار الله** أبي **القاسم محمود بن عمر الزمخشري**: أساس البلاغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ، ط1، 1426-1427ه،2006م.
42. **جاكوبسون،مونان،ميكي،هابرماس،** التواصل نظريات و مقاربات، تصدير عبد الكريم غريب ، ترجمة عز الدين خطابي، زهور حوتي، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، ط1، 1428-2007م.

43. **جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي**: تفسير الإمامين الجلالين للقرآن الكريم، حققه ونسقه الشيخ محمد الصادق القمحاوي، مكتبة: رحاب، الجزائر .
44. **جمال فنان**: ديوان الشهيد الربيع بوشامة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار رويبة ، الجزائر، 1994.
45. **جورج مولينيه**: الأسلوبية ترجمة بسام بركة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،1427ه-2006، ط2.
46. **جون سيرل** : العقل واللغة وا تمع (الفلسفة في العالم الواقعي) ترجمة سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، ط1 2006م - 1427ه.
47. **جون لانكشو أوستين**: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات) ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق 1991 .
48. **جيرار دولودوال: جدويل ريطوري:** التحليل السيميوطيقي للنص الشعري: ترجمة عبد الرحمن بوعلي، ط1، مطبعة المعارف الجديدة 1994.
49. **حازم القرطاجني**: منهاج البلغاء وسراج الأدباء:تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس 1966 .
50. **حافظ إسماعيلي علوي:** الحجاج والاستدلال الحجاجي: دراسات في البلاغة الجديدة: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1-2011.
51. **الحسن اليوسي:** زهر الأكم في الأمثال والحكم تحقيق، محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، منشورات معهد الأبحاث والدراسات للتعريب ط1- 1401ه-1981م.
52. **حسن بدوح**: المحاورة مقاربة تداولية، عالم الكتب الحديث المغرب، إربد، 2012 ط1.
53. **الحسن بن القاسم المرادي**: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوي، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1413ه-1992م .
54. **حلمى خليل** : الكلمة دراسات لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية ،الطبعة الثانية.

55. **حمادي صمود:** أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، تونس كلية الآداب منوبة المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.
56. **حمدي الشيخ:** الحداثة في الأدب، المكتب الجامعي الحديث . 2010.
57. **حنا الفاخوري:** الموجز في الأدب العربي وتاريخه، الأدب المولد، دار الجيل بيروت ا لمد 2، ط2،1411ه-1991م.
58. **الخطيب القزويني**: الإيضاح في علوم البلاغة، اعتنى به محمد الفاضلي، دار أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع ط1، 2007.
59. **خليفة بوجادي** : الثابت اللساني في إلياذة الجزائر بين المنظور الوظيفي والاتجاه الأسلوبي .
60. **:** في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009.
61. **الخليل بن أحمد الفراهيدي**: كتاب العين ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي أ:خ منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1، 2003م-1424ه، باب الحاء ا لمد الأول .
62. **ذهبية حمو الحاج**: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، ط2.
63. **رابح بوحوش**: اللسانيات وتطبيقا ا على الخطاب الشعري، دار العلوم، عنابة، الجزائر 1427-2007.
64. **راجي الأسمر**: علوم البلاغة: الموسوعة الثقافية العامة، إشراف، إيميل يعقوب، دار الجيل بيروت، 2000-1421ه.
65. **رشيد الرضي:** الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنوية ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة الجزء الثاني: الحجاج مدارس وأعلام عالم الكتب الحديث، إربد الأردن ط1، 1431-2010م.
66. **زهير بن أبي سلمى:** الديوان اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة بيروت لبنان، ط2، 1426ه-2005.

67. **سامية الدريدي**: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، أربد عمان الأردن، الطبعة الأولى، 1428-2008.

68. **سامية الدريدي**: دراسات في الحجاج قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم عالم الكتب الحديث إربد، الأردن ط1، 1430-2009م.

69. **السعيد الورقي**: لغة الشعر العربي الحديث، مقوما ا الفنية وطاقا ا الإبداعية، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 2005.

70. **سعيد فاهم** : معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقا ا المختلفة السور السبع الطوال أنموذجا، دراسة دلالية معجمية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر جامعة مولود معمري تيزي وزو كلية الآداب واللغات 2012.

71. **سعيد يقطين**: انفتاح النص الروائي النص والسياق، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب 2001.

72. سمير **شريف استيتية:** اللسانيات ا ال والوظيفة والمنهج عالم الكتب الكويت جدارا للكتاب العالمي ط1 1425هـ 2005 م . ط2 2008/1429 إربد عمان الأردن.

73. **الشريف علي بن محمد الجرجاني:** التعريفات، تحقيق إبراهيم الأنباري، دار اللسان العربي، بيروت ، لبنان 1992.

74. **شكري المبخوت:** تحليل حجاجي لظاهرة بديعية، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الحجاج والمراس، الجزء4، عالم الكتب الحديث، الأردن 2010م، ط1.

75. **صابر الحباشة**: من إشكاليات تطبيق المنهج الحجاجي على النصوص حجاجية المفردة القرآنية نموذجا ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته . عالم الكتب الحديث، إربد الأردن،2010.

76. : التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر دمشق الإصدار الأول 2008.

77. **صالح إسماعيل عبد الحق**: التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد لبنان تنوير لبنان الطبعة الأولى، بيروت، لبنان ط1-1993.
78. **صالح خرفي**: الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 .
79. **صالح خرفي** : عمر بن قدور الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث الجزائر ، 1984،
80. : رمضان حمود بن سليمان، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث.
81. **صلاح فضل**: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة الكويت صفر1413ه أغسطس/أب1992م.
82. **ضياء الدين ابن الأثير**: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي بالرياض ط1، ج2، 1403ه-1983م
83. **طه عبد الرحمن**: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998.
84. : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي،ط4 2010.
85. **عباس حسن**: النحو الوافي، مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة ، 1968.
86. **عبد الرحمن ابن خلدون:** مقدمة دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1413هـ-1993م ، ط1.
87. **عبد السلام المسدي:** الأسلوبية والأسلوب. التونسية للطبعة والنشر وفنون الرسم، ط3.
88. **عبد السلام عشير**: "عندما نتواصل نغير " مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج إفريقيا الشرق، المغرب 2006.

89. **عبد العزيز لحويدق**: الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته الجزء الثالثالحجاج وحوار التخصصات، عالم الكتب الحديث إربد الأردن 2010.
90. **عبد القاهر الجرجاني**: أسرار البلاغة، اعتنى به محمد فاضلي دار الأبحاث الجزائر 2007، ط1.
91. **:**دلائل الإعجاز، تحقيق أبو جمعة محمود شاكر، طبعة المدني، القاهرة 1984.
92. **عبد الكاظم العبودي**: أم المعارك في ديوان الشعر الجزائري، دار الهدى ، عين مليلة، الجزائر. دون سنة ، دون طبعة.
93. **عبد الله ركيبي**: الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1986.
94. : الشعر الديني الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي الأعمال الكاملة، الجزء الثاني، الشعر الديني الإصلاحي. دون سنة دون طبعة.
95. **عبد الله صولة** :في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ميسكيلياني للنشر المغرب ط1، 2011.
96. : الحجاج أطره ومنطلقاته ضمن كتاب حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية.
97. : الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، جامعة منوبة، تونس، ط1، 2001 / ط2 2007 .
98. **عبد الهادي بن ظافر الشهري**: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد.
99. **علوي أباسيدي:** التواصل والحجاج في التداوليات الحجاجية للحوار النقدي نموذج المدرسة الهولندية إيميرين وغروندورست، ضمن كتاب الحجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن،2010.

100. **علي الشبعان:** الحجاج بين المنوال والمثال، نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، مسيكيلاني للنشر، تونس، الطبعة الأولى، 2008.
101. **علي بن محمد بن حبيب الماوردي**، الأمثال والحكم تحقيق ودراسة فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن للنشر الرياض المملكة العربية السعودية، ط1- 1420ه-1999.
102. **علي محمود حجى الصراف:** في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب القاهرة 1431ه-2010م ط1.
103. **عمار ساسي:** منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب، دراسة وصفية وظيفية في نماذج من القرآن والشعر ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن 2011، ط1.
104. **عمارة ناصر** : الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1،1430ه-2003.
105. **عمر أوكان :** اللغة والخطاب، إفرقيا الشرق2001، المغرب.
106. **عمر بن قينة:** في الأدب الجزائري الحديث تاريخا ...أنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية 2009.
107. **فاضل مصطفى الساقي:** أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي القاهرة 1397ه-1977.
108. **فرانسواز أرمينيكو:** المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط 1986.
109. **فواز الشعار:** الأدب العربي، الموسوعة الثقافية العامة إشراف إميل يعقوب، دار الجيل، بيروت ط1، 1420ه-1999م.
110. **فيليب بروطون:** الحجاج في التواصل، ترجمة محمد مشبال، عبد الواحد التهامي، إشراف كاميليا صبحي، المركز القومي للترجمة ط1.
111. **فيليب بلانشيه:** التداولية من أوستين إلى غوفمان، دار الحوار، سورية، اللاذقية، الطبعة الثانية 2007.

112. **القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني**: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه. دون سنة ، دون طبعة.

113. **كاترين كيربرات أوركيوني**: المضمر، ترجمة ريتا خاطر،مراجعة جوزيف شريم ، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، كانون الأول (ديسمبر) 2008.

114. **كلاوس برينكر**: التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمه وعلق عليه ومهد له: سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 1425-2005 القاهرة.

115. **ليونيل بلنجر:** عدة الأدوات الحجاجية، ترجمة قوتال فضيلة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي. عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، 2010.

116. **ماري نوال غاري بريور**: المصطلحات المفاتيح في اللسانيات ترجمة عبد القادر فهيم الشيباني سيدي بلعباس الجزائر ط1، 2007.

117. **محمد الطاهر بن عاشور**: التحرير والتنوير، ط1 الدار التونسية للنشر تونس 1984.

118. **محمد الطيب الفاسي**: مفتاح الوصول إلى علم الأصول في شرح خلاصة الأصول، الشيخ عبد القادر الفاسي، تقديم وتحقيق: إدريس الفاسي الفهري، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث،الإمارات العربية المتحدة، دبي ط1 2004/1425.

119. **محمد العبد**: تعديل القوة الإنجازية: دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث إربد الأردن، ط1، 1423ه-2011 .

120. **محمد العمري**: في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجا إفريقيا الشرق المغرب 2002.

121. : البلاغة العربية أصولها وامتدادا ا، إفريقيا الشرق 1999.
122. : الحجاج مبحث بلاغي فما البلاغة؟ ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن،2010.
123. **محمد العيد آل خليفة**: الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.
124. **محمد الهادي السنوسي الزاهري** :شعراء الجزائر في العصر الحاضر، إعداد وتقديم عبد الله حمادي، دار اء الدين للنشر والتوزيع ، ط2، الجزائر 2007.
125. **محمد الولي**: الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، دار الأمان، الرباط، ط1، 1426ه-2005م.
126. **محمد بلقاسم خمار:** إرهاصات سرابية من زمن الاحتراق. المؤسسة الوطنية للكتاب.
127. **محمد بن أبي بكر الرازي**: مختار الصحاح: عني بترتيبه محمود خاطر بك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع طبعة1401-1981
128. **محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي:** عيار الشعر، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد زغلول سلام، توزيع منشأة المعارف الإسكندرية شركة جلال للطباعة، الطبعة الثالثة.
129. **محمد بن رمضان شاوش الغوثي بن حمدان،** إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر أو الأدب الجزائري عبر النصوص المرتبة ترتيبا تاريخيا من الفتح العربي إلى عصرنا ، ا لمد 1-2، الجزء 4، العصر الحديث، دار البصائر ، للنشر والتوزيع، 2011.
130. **محمد بن يحي:** السمات الأسلوبية في الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 1432ه-2011.
131. **محمد جابر الفياض**: الأمثال في القرآن الكريم، سلسلة الرسائل الجامعية، قضايا الفكر الإسلامي، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي 1401ه-1983.
132. **محمد سالم محمد الأمين:** حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة ، المركز العالمي لدراسات أبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس 2004، ط1.

133. : الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد ط1، 2008.
134. **محمد شطاح بوقرة:** تحليل الخطاب الأدبي والإعلامي بين النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب ط1، 1427هـ 2006م .
135. **محمد صالح الجابري**: الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل بيروت، ط1، 2005م، 1426ه.
136. **محمد طروس**: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء ط1، 1426هـ - 2005.
137. **محمد عبد الباسط عيد**: في حجاج النص الشعري، إفريقيا الشرق، المغرب، الدار البيضاء، 2013.
138. **محمد علي التهناوي:** موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: تقديم وإشراف ومراجعة وفيق المعجم: تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان، ط1-1992.
139. **محمد مصايف**: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
140. **محمد مفتاح**: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ، المغرب، ط4، 2005.
141. **محمد ناصر**: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، دار الغرب الإسلامي 28أكتوبر 1983، ط1،1985 ط2، 2006م .
142. : حمود رمضان حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب. دون سنة دون طبعة
143. **محمود طلحة**: تداولية الخطاب السردي، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، تقديم د.مسعود صحراوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن ط1، 2012.
144. **مسعود صحراوي :**التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط1-2005.

145. : في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيلي علوي عالم الكتب الحديث إربد الأردن ط1-1432-2011.
146. **مصطفى صادق الرافعي**: تاريخ آداب العرب ، راجعه د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية، الجزء الثالث، صيدا بيروت 1427ه-2008م.
147. **مفدي زكريا** : إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 5 ماي 1987م-1407ه
148. **مفدي زكريا** : اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، موفم للنشر الجزائر 2007.
149. **مكلي بوشامة:** الحجاج في شعر النقائض دراسة نصين لجرير والفرزدق دار ميم للنشر الجزائر 2010.
150. **منال النجار:** المقولات البلاغية دراسة مقامية براغماتية، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي عالم الكتب الحديث إربد الأردن 2011، ط1.
151. **مهدي المخزومي:** في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي بيروت لبنان،ط2-1424-2003
152. **موفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش النحوي:** شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية بمصر.
153. **نواري سعودي أبو زيد:** في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة سطيف الجزائر، ط1، 2009.
154. **نور الدين السد:** الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995.
155. **الهذليين**: الديوان، دار الكتب المصرية ، ط2، 1995.
156. **هنريش بليت:** البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة محمد العمري، إفريقيا الشرق 1999.

157. **يوسف السيساوي،** المقاربة التداولية للإحالة ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن ، ط1، 1432ه-2011.
158. **يوسف عز الدين:** التجديد في الشعر الحديث، بواعثه النفسية، وجذوره الفكرية، دار المدى للثقافة والنشر، سورية – دمشق، ط1-2007.

ثانيا- المراجع باللغة الأجنبية:

1. Anscombre et Ducrot : L’argumentation dans la langue, philosophie et langage troisième édition, MARDAGA .
2. Catherin cerbrat Orecchioni , Les actes de langage dans le discours théorie et fonctionnement, Edition Nathan ; Paris 2001
3. Ducrot Osswald : Les Echelles argumentatives, Edition de Minuit, Paris.
4. F. Récanati : La transparence et l’énonciation, Edition du seuil, Paris (1979) .
5. J. L Austin : Quand dise c’est faire, introduction, traduction et commentaire par Gille Lane, édition du seuil, 1970, p. 13/14.
6. J. R. Searle : les actes de langage (essai de philosophie du langage, collection savoir, lettre Herman, Paris, nouveau tirage, 1996.
7. J.L. Searle : Sens et expression, traduction : Joëlle Proust, Edition de minuit, Paris (1972).
8. Jacque Moescheler : Théorie pragmatique et pragmatique conversationnelle.
9. Jacque Moeschler Anne Reboul : Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique , Edision Seuil 1994.
10. Jacques Moeschler : " Argumentation et conversation"

11. Jaque Moeshler –Antonie Auchlin, Introduction à linguistique Contemporaine, Deuxième édition, Armande Colin/ Her –Paris 1997 -2000.
12. Le grand Robert : Dictionnaire de la langue française, T.1 Paris, 1989.
13. Meyer M.: Logique, Langage et Argumentation, Paris, Hachette, 1982.
14. Oswald Ducrot : Dire et ne pas dire, principes de sémantique linguistique, édition HERMANN, 2ème édition, Paris (1980)
15. Oswald Ducrot : Le dire et le dit, édition de minuit, Paris (1984).
16. Patrick charaudeau, Dominique Maingueneuv : Dictionnaire Analyse du discoure édition du seuil, Février 2002 Paris, Vième.
17. Philipe Breton ; l'argumentation dans la communication, Alger. Casbah,1998 .

ثالثا: قائمة الدوريات العربية والمترجمة:

1. **أبو بكر العزاوي**: الحجاج في الشعر، نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر، مجلة سيميائية أدبية لسانية العدد7، 1992، كلية الآداب بني هلال .
2. **حبيب أعراب**: "الحجاج والاستدلال الحجاجي". مجلة عالم الفكر . العدد1. ا لمد 30.
3. **خليفة بوجادي**: الشعر من فن القول إلى (مبدأ التعاون) نحو مدخل تداولي، مجلة الن(ا)ص مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة جيجل ، العدد العاشر ، ديسمبر 2011.
4. **رضوان الرقبي:** الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مقال مجلة عالم الفكر العدد2 ا لمد 40أكتوبر-ديسمبر2011 .
5. **سامية الدريدي**:الحجاج في هاشميات الكميت(مقال) مجلة حوليات الجامعة التونسية العدد40، 1996، كلية الآداب والعلوم الإنسانية منوبة، تونس

6. **عبد الفتاح يوسف**: السيمياء والاستعارة في شعر المعارضات، مقاربة سيميائية في تحليل النصوص وعلاقتها بمرجعيا ا،مجلة سيميائيات، العدد2خريف2006، مجلة دورية محكمة تصدر عن مختبر السيميائيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران، الجزائر.

7. **عبد القادر بقشي**: البعد الحجاجي في الشعر الحواري، دراسة تطبيقية، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب(مجلة فصلية علمية محكمة)، العدد الأول خريف 2012، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء..

8. **عبد الملك مرتاض**: تداولية اللغة بين الدلالية والسياق، مجلة اللسانيات مجلة في علوم اللسان وتكنولوجياته العدد العاشر، مركز البحث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر 2005.

9. **عبد الملك مرتاض**: مقدمة منهجية في دراسة الشعر الجزائري أثناء القرن العشرين، مجلة دراسات جزائرية، يصدرها مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، جامعة وهران، العدد الثالث، مارس 2006.

10. **محمد الولي**: مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر العدد الثاني، ا لس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، ا لد 40 أكتوبر- ديسمبر 2011.

11. **محمد الولي**: مفاهيم بلاغية: الكناية والشاهد والتشبيه والاستعارة والتمثيل والأسطورة، مجلة علامات عدد17.

12. **محمد سالم ولد محمد الأمين**: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر: الكويت، ا لد 28 العدد3، يناير مارس 2000.

13. **مختار حبار**:أسلوب التمثيل في شعر عدة بن أبي تونس المستغانمي، مجلة دراسات جزائرية، مجلة دورية محكمة يصدرها مختبر الخطاب الأدبي، العدد 2، مارس2005.

14. **مصطفى الغرافي**: الأبعاد التداولية لبلاغة حازم من خلال اج البلغاء وسراج الأدباء، مجلة عالم الفكر، العدد1، ا لد40 ،يوليو -سبتمبر 2011.

خامسا:قائمة الرسائل الجامعية:

1. **بلقندوز الهواري**: التداوليات النصية مقاربة في فهم الخطاب وتأويله إشراف أحمد يوسف، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 2009-2010
2. **حاكم عمارية**: تقنيات التبليغ عند سيبويه إشراف، عبد الجليل مرتاض، أطروحة دكتوراه جامعة تلمسان 2012-2013.
3. **زحاف الجيلالي**:أشكال التعبير الأدبي في جريدة البصائر الثانية دراسة موضوعاتية، إشراف عبد الملك مرتاض، رسالة ماجستير، جامعة وهران.
4. **واضح أحمد**: الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري،رسالة دكتوراه، إشراف لزعر مختار، جامعة وهران، 2011-2012.

المواقع الإلكترونية:

1- **ابن رشد** : تلخيص الخطابة، to pdf :www.al-mostafa.com //nj180degree.com ملف pdf
2- **أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي:** معاني الحروف، مكتبة مشكاة الإسلامية، ميلود بن عبد الرحمن ،14 جمادى الثانية1426-2005/07/20
3- **أبو بكر العزاوي**: الحجاج في اللغة مجلة المنارة، الصفحة الثقافية الثلاثاء 5 ديسمبر http://www.almanarah.com
4- **أيوب المزين** المغرب: html4285http://www.aklaam.net/forum/erchive/index.php ?t
5- **بوزناشة نور الدين**: الحجاج في الدرس اللغوي الغربي ، مجلة علوم إنسانية Issue 44, Year 7th , Jan. – 2010 السنة السابعة :العدد : 44 شتاء WWW.ULUM.NL
6- **جيفري ليتش وجيني توماس** Geoffry Leech and Jenny Tomas البراغماتية (المعنى في السياق) ملف pdf created pdf) with pdf Factory trial version www.pdfactory.com

7- **حميد** سمير: شعرية المثل عند المتنبي(البنية والوظيفة)، مجلة فكر ونقد العدد35، البريد الإلكتروني: http://aljabriabed.com

8- **صحيح مسلم**: أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، أم الكتاب والدراسات الإلكترونية.



فهـرس الموضوعات



فهرس الموضوعات: